

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ

مُؤَيَّدَاتُهَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ
حُبُّ الْأُمَّةِ وَتَرْجُمَا الْقُرْآنِ

الحلقة الرابعة: ابن عباس في الميزان
الجزء التاسع عشر

تَأَلَّفَتْ
د. شَيْخَةُ مُحَمَّدٍ تَحْدِيَّيْ بِنْتُ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُسَوِّى بْنِ مُرَّةَ

الخرسان، محمد مهدي ١٩٢٨م.
موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن/ تأليف السيد محمد مهدي
السيد حسن الموسوي الخرسان.
قم : مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٣٣ق = ١٣٩٠
الفهرسة طبق نظام فيبا.
ابن عباس ، عبد الله بن عباس، ٣ - ٦٨ق.
مركز الأبحاث العقائدية.
١٣٩٠ خ / ١٧ الف
Bp ٩٢ / ٨
٢٩٧ / ١٩٢٤
٢٥٥٦١٠١
الرقم في المكتبة الوطنية

مركز الأبحاث العقائدية
● إيران - قم المقدسة - صفائية - ممتاز - رقم ٣٤
ص.ب: ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
الهاتف: ٣٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥) (٠٠٩٨)
الفاكس: ٣٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥) (٠٠٩٨)
● العراق - النجف الأشرف - شارع الرسول ﷺ
شار السور جنب مكتبة الإمام الحسن عليه السلام
ص.ب: ٧٢٩
الهاتف: ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)
● الموقع على الانترنت: www.aqaed.com
● البريد الإلكتروني: info@aqaed.com

شابك (ردمك): ٧ - ٥٠٠ - ٣١٩ - ٩٦٤ - ٩٧٨ / دورة ٢١ جزءاً
شابك (ردمك) ج ١٩ / ٠ - ٤٠ - ٧١٠٠ - ٦٠٠ - ٩٧٨
موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن
تأليف
السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان
الجزء التاسع عشر
الطبعة الأولى: ٢٠٠٠ نسخة
سنة الطبع: ١٤٣٧هـ
الفلم والألواح الحساسة: تيزهوش
المطبعة: الوفاء
السعر ١٥٠٠٠٠ ريال

*** جميع الحقوق محفوظة للمركز ***



الإهداء

إلى كلّ راغب من القراء في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن ابن عباس وذويه، والتي وصلت إلينا عبر الموروث المعثوث، غير مستساغة الفهم بالصورة التي ورثناها، محسوبة مكتوبة، وهي مكذوبة، نتيجة الانشقاق السياسي بين العلويين والعبّاسيين، مضافاً إلى الانقسام في الانتماء النسبي بين العلويين أنفسهم، وممّا زاد الطين بلة الاضطهاد الفكري العقائدي من غلبة المستولين على المحكومين، فتفاقم الخطب بمرور القرون حتّى كان الانفصام، ولا طمع بالوئام.

وكلّ غرضي التنبيه على أنّ ليس كلّ الموروث من الثوابت التي لا تتغيّر، فهو لم يأتنا بوحى منزل، بل هو على المحكّ، منه المقبول، ومنه المردول، فلا حجة لقارئ على صحّة أو رفض إلاّ ببرهان، هداانا الله تعالى جميعاً إلى سواء الصراط المستقيم.

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وبه نستعين

الحمد لله على ما هدانا وأولانا وأبلانا، وصلى الله على سيد الأنبياء والمرسلين، وعليهم وعلى أوصيائه وأبنائه الميامين الأئمة الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن جميع الصحابة المهتدين، الراضين المرضيين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا هو الجزء الرابع من هذه الحلقة الرابعة من موسوعة ابن عباس رضي الله عنه، والذي خصصته للأبحاث التالية:

المبحث الأول: في بحث تشييع ابن عباس وذويه بين السلب والإيجاب.

المبحث الثاني: في بحث بقية ما قيل في ابن عباس من تنقيد وإشكاليات.

المبحث الثالث: في بحث أوهام وأكاذيب من عكرمة إلى المستشرقين.

وفي كل مبحث سأضع نقاط إيضاح على الحروف - كما يقال -

لتصحيح خطأ المفاهيم الموروثة والتي اختمرت في الأذهان، من دون محاباة أو موارد، لإعادة النظر في تحقيق تلك الأخبار التي ملأت صحف

التراث، فعدت جزءاً من الموروث المقدس، تصحيحاً لأخطاء مرّت في التاريخ فأساءت المفاهيم وهي التي يجب أن تصحّح، لئلا يكون حال يومنا الحاضر شراً، أو كحال أمسنا الدابر، بحجّة (هذا ما وجدنا عليه آباءنا)، وهذا ما نعه القرآن الكريم على ذويه القائلين به، ونحن اليوم مع تقدّم وسائل المعرفة، لا ينبغي غضّ النظر والإغماض عن تصحيح أخطاء الماضين، وهذا يتم عن طريق كشف الحقائق المغيبيّة، فلا تصدّنا خشية الإثارة من زعزعة الموروث، فهذا يعني وأد العقل أزاء شذوذ بعض الممارسات في ثقافتنا وأديباتنا الدينيّة، استناداً إلى أخبار هزيلة وأفهام سطحية يستأكل أصحابها بكلّ حشف ويابس، فضلاً عن الوضّاعين الدجّالين الذين لم يسلم منهم التراث الإسلامي بجميع مذاهبه وأطيافه، ففي كلّ واد ثعلبة، بل ولم يسلم من شرّ أولئك الشراذم حتّى تراث الأديان الأخرى، والباحث فيه يجد الشواهد على هذا، ولست بصددّها في المقام.

وما كان ابن عباس في منأى عن شرّهم، أنى يسلم؟ وحقله الثقافي خصب مربع، فلماذا إذاً لا يدُسّ فيه وعليه ما هو نشاز وكذب، ألم يعترف أحد الوضّاعين عليه بجريمته عندما حوقق في ذلك؟ وذلك هو أبو عصمة نوح بن مريم - وكان يقال له: الجامع، لأنّه أخذ الفقه عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى، والحديث عن حجاج بن أرطأة، والتفسير عن الكلبي ومقاتل، والمغازي عن ابن إسحاق - فاستشرف إلى أعلى ما يمكن أن ينفق بضاعته باسمه، فوضع حديثاً في فضائل سور القرآن سورة سورة، ف قيل له: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟!

فقال: إنني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة^(١).

فهذا واحد اعترف بخطيئته عندما حوَّق، فكم غيره مثله ممَّن لم يعترف أو لم يبلغنا اعترافه، وابن عباس رضي الله عنه في سعة آفاق حياته نسباً وسبباً، وعلماً وعملاً، وحكماً وحلماً وفهماً، وسياسة وكياسة ورأسة، إلى ما سواها ممَّا وسَّع باب الوضع عليه، فدخل من نتاجهم في الموروث وكاد يزحم الحقائق فيزيلها، ولكن جهابذة الفنِّ ميَّزوا بين الصحيح والسقيم، والغث والسمين، ولم ينخدعوا بهالة الموروث الذي رواه فلان، أو ذكره علان، فإنَّ الحقَّ أحقُّ أن يتبع.

وإنني لأنحني إجلالاً وتعظيماً لما قاله مولانا أمير البيان أمير المؤمنين عليه السلام، فقد قال:

(إنَّما بدء وقوع الفتن أهواء تُتَّبَع، وأحكام تُبْتَدَع. يُخَالَف فيها كتاب الله، ويتولَّى عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله، فلو أنَّ الباطل خَلَص من مزاج الحقِّ لم يخف على المرتابين، ولو أنَّ الحقَّ خَلَص من الباطل انقطعت عنه ألسنة المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان (فيخرجان)، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم الحسنَى)^(٢).

اللَّهُمَّ أرنا الحقَّ حقًّا فتَّبِعْه، والباطل باطلاً فنجتنبه، ولا تجعله علينا متشابهاً فنضلَّ عن سبيلك، فإنَّك وليُّ التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل المستقيم.

(١) تدريب الراوي للسيوطي ٢٨٢/١.

(٢) نهج البلاغة ٩٩/١ بشرح محمد عبده، ط الاستقامة بمصر.

المبحث الأول

تشيع ابن عباس
وذويه بين السلب والإيجاب

تمهيد:

طالما سهرت الليالي الطوال، وأتعبت نفسي في تقييشي أخبار ابن عباس عليه السلام، ولم يخطر ببالي أنني بعد لأي من السنين، أجد من يحاول زرع الشك في تشيع ابن عباس، فيؤرقني القلق، ويساورني الندم على سهر تلك الليالي التي أجهدت فيها نفسي من معاناة السهر، فما دام ابن عباس بعد في ميزان الإيمان هو في مرحلة الشك، متأرجح بين كفتي الميزان، فلماذا التعب؟ ولماذا الجمع؟ فالرجل مشكوك في تشيعه، وعلى حافة جرف هارٍ، يا الله! ما أقسى هذا الطرح المهين للمشين!

وأنا الذي أراه لم يماثله أحد من شيعة الصحابة في عصره ومصره في مواقفه العقائدية، إذ لم أجد له مماثلاً ومناضلاً في سبيل أئمة الشيعة، من عاصر منهم، ومن لم يكونوا بعد مخلوقين في عصره، وأعني بقية الأئمة الاثني عشر، وذلك من خلال مروياته فيهم، مرفوعة وموقوفة، فصرت أنا المتأرجح بين أقوال قدامى المؤرخين، وتهريج بعض المتأخرين، لذلك رأيت العلاج الناجح والناجع النافع، كشف الحقيقة التي ران عليها الغبش والتضبيب عمداً أو عن جهل لقصور في الفهم، فساء فهم الموروث الذي اخترنته مصادر التراث، تحت طائلة الأهواء الطائفية بين الشيعة والسنة، ثم اختلاف وجهات النظر بين الشيعة أنفسهم، في التطرف بين جهتي الغلو والتقصير، ولم يكن هذا النمط ممن يحتكم إلى العقل بقدر ما هو منداح

مع العاطفة، لقلّة الرصيد العلمي، وآفة الفهم السقيم، ومن سلم من بين هذا وذاك، فهو من النمرقة الوسطى التي حالفها التوفيق في سعة الأفق، وقليل ما هم الذين لم يخدعوا بطرح الرأي الفطير، ولم يكتفوا باجترار الأقوال سليمها وسقيمها، بل استخلصوا من بين ركام التاريخ ممّا خلص من آفات الرواة من تلبيس وتدليس، فكانت لهم آراء ناضجة ومواقف ناصحة، تهدي من أضل سبيلاً إلى موقف وسط بين اليمين واليسار، ليس في ابن عباس وحده، بل فيه وفي ذويه، وعشيرته التي تؤويه، فإنّهم جميعاً كانوا شيعة وسطا - من الوسطية والاعتدال - لهم مواقف مشهودة ومشهورة في نصرة الحقّ المتمثل يومئذ باتّباع أمير المؤمنين عليه السلام في ساعة العسرة، كما هم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم حنين وما تلاه من مواقف، وهذا ممّا لا ينكره إلاّ أعمى البصيرة، فيهرف بما لا يعرف، فخطب خطب العشواء في الظلماء، وقد أشرت إلى نمط من هذا الحال في أواخر الجزء الثالث من هذه الحلقة، وقلت كما قال المتنبي^(١):

وليس يصحّ في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

فإنّ فضل بني هاشم - ومنهم ابن عباس - قد شاع وذاع على لسان النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله، ولولا غلبة الموروث على الأذهان كما احتجت أن أذكر في هذا المقام ما صحّ من حديث نبويّ شريف، لكن ثمة أزمة فهم، وأزمة

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبيّ للبديعي ٣٥٠/٢، ط الأولى سنة ١٣٠٨هـ المطبعة العامرة الشرقية بهامش شرح العكبري لديوان المتنبيّ.

تميز، وأزمة من مخلفات ذلك الموروث، أورثت نتائج سيئة، ظلمات بعضها فوق بعض، وما دامت معاني الأزمة إنما تختلف باختلاف موارد استعمالها، فهي لا تختلف في معناها اللغوي: الأزمة: الشدة والقحط كما في صحاح الجوهري (إزم).

وهذا ما عاشه الفرد المسلم منذ الانشقاق العقائدي الذي أصاب الصحابة المسلمين، منذ يوم الخميس الذي أراد النبي ﷺ أن يكتب كتاباً لأُمَّته لن يضلّوا ما إن تمسكوا به، لكنّ عمر منع من ذلك (وقال كلمة معناها: غلبه الوجع)، فأحدث الانشقاق في جماعة الحضور وتنازعوا، فطردهم النبي ﷺ وقال: (قوموا عني لا ينبغي عندي نزاع)، فكان ابن عباس يقول: ((الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب))، وقد مرّ بحث هذا الحديث بجميع ملابساته في الجزء الأول من الموسوعة، وموقف ابن عباس وأبيه العباس في ذلك اليوم^(١)؛ فراجع!

وأقولها بإصرار: لولا غلبة المستولين على الحكم بعد النبي ﷺ كما أسيء الطرح منهم، حتّى يساء الفهم من المسلمين فيهم، وكلّما مرّ وتمادى الزمان، اتسعت شقّة الخلاف في الخلافة، وازدادت الأزمات النفسية عند الفرد المسلم شدة، فعاش القحط الإيماني، لسيطرة الموروث الطائفي على عقله، لما فيه من تبديع، وبما فيه من تضليل، وما أورثه من اختلاف في تفسير النصّ، فساءت المفاهيم، وطال الدرب فعظم الخطب، وصار التجريح

(١) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء الأول، الفصل الثاني / ثالثاً: حديث الرزية.

والتقبيح بلغة الاستفزاز بالشتائم، فعمّت البلية الجاني والبريء، والحالي والعاقل، وخفيت حقائق، وشوّهت صحائف، ما كان الحق أن تكون، وما كان ينبغي للمسلمين لهم ذلك.

ولو استثمر قارئ العصر النصوص القرآنية وهي لا شك في أنها لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، لأراح واستراح، فأخذ بقوله تعالى عند الجدلية العقيمة في هذا اليوم بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١)، وعمل بقوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢)، ووقف عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(٣)، وأخيراً اكتفى بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾^(٤)، وبقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٥)، إلى غير ذلك من آيات الله الينّات التي تنير الدرب والظلمات، أعادنا الله من زلل الأقوال، وخطل الآراء، ومرديات الهوى.

(١) سورة سبأ/٢٤.

(٢) سورة الحجرات/٦.

(٣) سورة الأنعام/١٦٤.

(٤) سورة الإسراء/٨٤.

(٥) سورة المائدة/١٠٥.

لست أنا محامي دفاع!

لقد حاولت قدر المستطاع أن لا أزيغ في هذه الموسوعة عن قوله الحقّ لوجه الحقّ تعالى، وهذا تمّ لي فيما أرى بحمد الله ومنّه بكشف الحقائق، والابتعاد عن العواطف، فابن عباس رضي الله عنه فضلاً عن باقي ذويه، كلّهم أناس كسائر بني آدم من غير المعصومين، ليس لهم من تمييز إلا ما وهبهم الله تعالى من شرف الانتماء، ثمّ هم وأعمالهم على حدّ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).

وجهدت قدر ما استطعت الابتعاد عن التعميم، لنلا يختلط الحابل بالنابل، والحالي بالعاطل، فأبو لهب من بني هاشم وهو من أعمام النبي صلّى الله عليه وآله، فقد أنزل الله تعالى في ذمّه وامراته حمالة الحطب سورة في كتابه تتلى إلى يوم القيامة، فهو ليس مشمولاً بالبحث عنه، ولعلّي بهذا المنهج القويم، أصل بالقارئ إلى المنهج المستقيم، من خلال النقاط التالية:

(١) سورة الزلزلة/٧ - ٨.

النقطة الأولى

بنو هاشم فوق الانتماء لحديث الاصطفاء

أخرج مسلم في صحيحه^(١)، وأبو يعلى في مسنده^(٢)، والخطيب^(٣)، وابن عساكر^(٤)، عن الجميع الألباني في الصحيحة، قال: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)، قال الألباني: وأخرجه أحمد (١٠٧/٤)^(٥)...

وقال الطبري في (ذخائر العقبى): ((وأخرج أحمد في المناقب بسنده عن عائشة رض قالت: قال رسول الله ﷺ (قال جبريل ﷺ قَلْبَتِ الْأَرْضَ مِشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ بَنِي أَبِ أَفْضَلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))^(٦).

و((عن ابن عباس رض قال: دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية.

فقالت صفية: منّا رسول الله ﷺ.

(١) صحيح مسلم ٥٨/٧.

(٢) مسند أبي يعلى ٣٥٥/٢.

(٣) تاريخ بغداد ٦٤/١٣.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١/٣٥٣/١٧.

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٧/١ رقم ٣٠٢.

(٦) انظر: ذخائر العقبى ٦١/١، وفي الهامش ذكر جملة من المصادر.

فقالوا: تنبت النخلة أو الشجرة في الأرض الكبا.

فقلت: وما الكبا؟

قالوا: الأرض التي ليست بطيبة.

فذكرت صفية للنبي ﷺ فغضب، وقال: (يا بلال! هجر بالصلاة)،

فهجر، فقام ﷺ على المنبر فنادى بصوت، فقال: (أيها الناس! من أنا؟)

قالوا: أنت رسول الله ﷺ.

قال: (انسبوني)؟

قالوا: محمد بن عبد المطلب.

قال: (ما بال أقوام يتنزلون أهلي، فوالله إنني لأفضلهم أصلاً).

فقلت الأنصار: قد غضب رسول الله ﷺ، فقوموا فخذوا السلاح، فقاموا

فأخذوا السلاح ودخلوا فيه حتى لا ترى منهم إلا الحديق، حتى أحدقوا بالناس، وغصت بهم أبواب المسجد والسكك، فقام نفر واعتذروا إلى رسول الله ﷺ.

ثم قال للأنصار: (الناس دثاري، وأنتم شعاري)، وأثنى عليهم خيراً^(١).

و((عن أبي هريرة، قال: جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى النبي ﷺ،

فقلت: يا رسول الله! إن الناس يقولون لي: أنت بنت (حمالة حطب) النار.

فقام رسول الله ﷺ وهو مغضب، فقال: (ما بال أقوام يؤذونني في

قرايتي، من آذى قرايتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله))^(٢).

(١) ذخائر العقبى ٦٢/١ - ٦٣.

(٢) ذخائر العقبى ٣٩/١، وقال: أخرجه الملا في سيرته.

النقطة الثانية

تشيع صحابة بني هاشم فوق الشبهات

أخرج الخطيب البغدادي بسنده: ((عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: إنَّ العباس جاء إلى النبي - رسول الله صلَّى الله عليه وآله - فقال: قد تركتَ فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت.

فقال النبي صلَّى الله عليه وآله: (لا يبلغون الخير - أو قال الإيمان - حتَّى يحبَّوكم الله تعالى ولقرايتي، أترجو سلهم - حيٍّ من مراد - شفاعتي ولا ترجو بني عبد المطلب شفاعتي))^(١).

أقول: ليت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يبعث نظرة إلى رجال من أُمته ما زالت تبدي ضغائن نفوسهم، فلا يتهمون ما قال في أهل بيته!

فلقد قال صلَّى الله عليه وآله: (لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتَّى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين كسبه، وعن حبنا أهل البيت)، أخرج الطبراني في (المعجم الكبير)^(٢)، فعلق محقق الكتاب (حمدي عبد المجيد السلفي) بقوله في الهامش: ((قال في المجمع (٣٤٦/١٠): وفيه حسين بن الحسن الأشقر وهو ضعيف جداً، وقد وثقه ابن

(١) تاريخ بغداد ٤١٣/٢ برقم ٩١٣ و٣١٧/٥، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٤٣/١١ برقم ١٢٢٢٨.

(٢) المعجم الكبير ٨٣/١١ برقم ١١١٧٧.

حبّان مع أنّه يشتم السلف، قلت - والقائل هو حمدي السلفي - تقدّم من حديث ابن مسعود، وله شواهد من حديث معاذ بن جبل، وأبي برزة الأسلمي، قال شيخنا في سلسلة الصحيحة (٦٦٧/٢): وهو بهذه الزيادة - وعن حبّنا أهل البيت - باطل)).

أقول: أتريد نصّاً فوق هذا؟! حديث يرويه مع شواهد أربعة من الصحابة، ويخرّجه حفاظ الأئمة كالطبراني والهيثمي وغيرهما، وفيه: بأنّ العبد يسأل يوم القيامة عن أربع... (وعن حبّنا أهل البيت)، فغصّ السلفي بذكرها، وجعلها زيادة مع أنّها هي الرابعة، وحكى عن شيخه - وهو الألباني صاحب (سلسلة الأحاديث الصحيحة) - بطلان الحديث للزيادة التي فيه.. ألا يقظة ضمير آناً ما! فيتدبّر السلفي وشيخه ومن شايعهما على ذلك، فيعيدان النظر في قراءة ما رواه مسلم في صحيحه في باب فضائل أهل البيت (عليهم السلام) بسنده: ((عن زيد بن أرقم، قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: (أمّا بعد، أيّها الناس! إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي عزّ وجلّ فأجبتة، وإنّي تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فتمسّكوا بكتاب الله عزّ وجلّ وخذوا به)، وحثّ عليه ورغب فيه، ثمّ قال: (وأهل بيتي، أذكركم الله عزّ وجلّ في أهل بيتي) ثلاث مرّات.

ف قيل لزيد: من أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

فقال: بلى إنّ نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرّم عليهم الصدقة بعده.

قال: ومن هم؟ قال: هم آل عليّ، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل عبّاس.

قال: أكل هؤلاء حرم عليهم الصدقة؟ قال: نعم»^(١).

وليتني أدري ما رأي السلفي وشيخه فيما رواه مسلم في صحيحه أيضاً، بسنده: ((عن سعد بن أبي وقاص، قال: ولما نزلت هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(٢)، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: (اللهم هؤلاء أهلي))^(٣)، إلى غير هذا مما قاله النبي ﷺ في فضل أهل بيته، وأنهم فاطمة وبعلاها عليّ وولداها الحسن والحسين، كما في رواية شهر ابن حوشب، عن أم سلمة، وقد أخرجها الترمذي، وقال: وهذا حديث حسن، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب.

أقول: وهذا صححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي)^(٤)، فهل هذا باطل أيضاً؟ ولفظه: أن النبي ﷺ جلل الحسن والحسين وعلياً وفاطمة كساءً، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: (إنك إلى خير).

وما رأي حمدي السلفي في ابن تيمية وهو إمام السلفية؟ حيث قال في (عقيدته الواسطية) في بيان عقيدة أهل السنة: ((ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولّونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ، حيث قال يوم غدیر خم: (أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم

(١) صحيح مسلم ١٨٧٣/٤، تح محمد فؤاد عبد الباقي مصورة، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) سورة آل عمران/٦١.

(٣) صحيح مسلم ١٨٧١/٤.

(٤) صحيح سنن الترمذي ٥٧٠/٣.

الله في أهل بيتي). وقال للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قریش يجفوا بني هاشم، فقال: (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبواكم لله ولقرابتي)، وقال: (إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)^(١).

فكيف يسوغ لسلفي بعد هذا الاعتراف الصريح من ابن تيمية وهو إمامهم، أن يشرق أو يغرب عن محبة أهل البيت، ويأتي بتفسير لهم آخر، فلا مناص له من الإذعان بأن علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هم من أهل البيت، كما أن بيتهم من أفاضل تلك البيوت التي في بيوت، ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾^(٢)، كما في تفسير الآية عن أبي بكر.

فقد روى الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل): ((عن أنس بن مالك، وعن بريدة، قالاً: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ﴾، إلى قوله: ﴿وَالْأَبْصَارُ﴾، فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول الله! هذا البيت منها؟ - بيت علي وفاطمة - قال: نعم من أفاضلها))^(٣)، ورواه السيوطي في (الدر المنثور)^(٤)، والآلوسي في (روح المعاني)^(٥).

(١) العقيدة الواسطية، ضمن مجموع الفتاوى ١٠٢/٣.

(٢) سورة النور/٣٦.

(٣) شواهد التنزيل ٤١٠/١ برقم ٥٦٨.

(٤) الدر المنثور ٥٠/٥.

(٥) روح المعاني ١٧٤/١٨.

النقطة الثالثة

لماذا إذا تحصرمت الأبناء نستضرس نحن الآباء؟

إنّ النفاذ إلى باطن الأحداث التاريخية، يوضح ما استبهم فبدا غامضاً، وفي قراءة ما مرّ رأينا غضب النبي ﷺ على من تناول بعض قرابته بما يسيء فقال ما قال..

والآن إلى السؤال التالي الذي يطرح نفسه في المقام: هل يؤدي النبي ﷺ من تناول ابن عباس أو أحد عشيرته التي تؤويه بكلمة جارحة؟ وهل قول القائل تبريراً لكلمته الجارحة: إنّ العباس وبنيه لم يأتوا يوماً بخير - كما في خطبة قيس بن سعد بن عبادة كما سيأتي ذكرها - أو لم ينصروا عليّاً عليه السلام من بعد رسول الله ﷺ، فبادر إلى بيعة أبي بكر، كما في خبر علي بن إبراهيم القمي في تفسيره؟ وهل كان عليّاً راضياً عنهم ومنهم؟ إذا فلماذا لم يندد بهم في بعض نفثاته؟!

وهكذا تتوالى المؤاخذات في سؤال بعد سؤال، حتى استحقوا اللوم على ما كان منهم وفيهم من تقصير، ولا بدّ من جواب مقنع للتبصير لا للتعذير، وهذا الذي دعاني إلى بحث هذا الجانب لكثرة السؤال عنه شفاهاً ومراسلةً، لكثرة التناول على العباس بن عبد المطلب وبنيه في الوسط العامي الشيعي، المأخوذ بالموروث الذي أضحت أخطاؤه من الثوابت التي

أحيطت بهالة التقديس باسم أهل البيت عليهم السلام، ولما أصابهم من ظلم بني العباس أيام حكمهم، وإذا بالعباس بن عبد المطلب وبنيه هم الضحايا، لأن خلفاء بني العباس من ذراريه؟! إنها بلية الموروث، وأزمة التمييز، وأزمة الإيمان..

وقبل الجواب، فلنقرأ قول النبي ﷺ لبني عبد المطلب: (إني سألت الله أن يثبت قائمكم، ويهدي ضالككم، وأن يعلم جاهلكم، وأن يجعلكم رحماء نجباء، ولو أن رجلاً صف قدميه وصلّى ولقي الله وهو مبغض لأهل هذا البيت لدخل النار)^(١).

مواقف مكتوبة وهي مكذوبة

لقد كثرت القالة والمهاجاة بين حكام العباسيين وثوار العلويين، ممّا ألهب عواطف الأتباع والشييع خلال الموروث غير النقي، واستبدال الأدوار، فشاعت أعاجيب الأكاذيب، وتصدّرت واجهة التراث مفاهيم خاطئة، فغيّبت حقائق واقعة، في غيابات الحبّ والبغض، فصار الموروث المؤوف من الثوابت، فمن يسمع أو يقرأ الصحيح الذي لم يألفه من قبل، علا منه الشهيق والزفير استنكاراً واستكباراً.

وأقوى شاهد لنا في المقام: ما روي في ذمّ العباس بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، من قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد سأله الأشعث ابن قيس عن عدم مطالبته بحقه يوم السقيفة، فقال:

(١) أخرجه الملا في سيرته، وعنه في ذخائر العقبى ٦٨/١ عن جابر بن عبد الله.

(... ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به، ولا أقوى به، أمّا حمزة فقتل يوم أحد، وأمّا جعفر فقتل يوم مؤتة، وبقيت بين جلفين جافيين ذليلين حقيرين [عاجزين] العباس وعقيل، وكانا قريبي العهد بكفر...) (١).

هذا بعض من خبر طويل ذكره سليم بن قيس - على ما في الكتاب المنسوب إليه - وفيه محاوراة طويلة بين الأشعث بن قيس وبين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد خطبة له عليه السلام يستنفر بها أهل الكوفة للسير إلى معاوية، وقد طال الحوار بين الإمام عليه السلام وهو على المنبر وبين الأشعث الذي هو مع الناس، وكانت طبيعة الحوار مغاضبة نافرة، ومباغضة ظاهرة، فقد قال الإمام عليه السلام للأشعث في إحدى المرات: (عرف النار)، ورد الأشعث يا بن أبي طالب، وانتهى الحوار بقول الأشعث ساخراً: والله لئن كان الأمر كما تقول لقد هلكت أمّه محمد ﷺ غيرك وغير شيعتك، فقال له عليه السلام: (فإنّ الحقّ والله معي يا بن قيس كما أقول...) .

وختمها سليم بقوله: فما شهدت يوماً قطّ على رؤوس العامة كان أقرّ لأعيننا [من ذلك اليوم] لما كشف أمير المؤمنين عليه السلام للناس من الغطاء وأظهر فيه من الحقّ، وشرح فيه من الأمر... وصارت الشيعة بعد ذلك المجلس أجّل الناس وأعظمهم، وذلك بعد وقعة أهل النهروان، وهو يأمر بالتهيئة والمسير إلى معاوية، ثمّ لم يلبث أن قتله ابن ملجم لعنه الله...

(١) كتاب سليم بن قيس ٦٦١/٢ الحديث الثاني عشر، ط تح الأنصاري، نشر الهادي في خبر طويل من دون ذكر السند.

إنَّها مزيج من أمر مريج، فخطبة الإمام عليه السلام رواها إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣هـ) في كتابه (الغارات ص ٤٩٣/ بتحقيق المرحوم السيّد المحدث الأرموي)، كما رواها الشيخ المفيد في (الأمال في المجلس الثامن عشر) بسند يلتقي وسند الثقفي في كتابه (الغارات).

أمَّا بقية فصول المحاورات بين الإمام وبين الأشعث بن قيس، فلم ترد فيهما ولا في بقية مصادر الخطبة التي لم تروها عن سليم، أمَّا التي نقلت الخطبة وما لحقها فهي عن كتاب سليم، كـ (إرشاد القلوب) للديلمى، و (بحار الأنوار) للمجلسي، فالجميع في المؤاخذه الآتية سواء.

وليس كثرة رواة الخبر عن سليم ما يضيف الوثاقة والاطمئنان بصحة المروي، إذ هو - كتاب سليم - لا يخلو من نقد بناء، لما فيه من خلط وخبط، وحسبنا في المقام قول الشيخ المفيد في خاتمة كتابه (تصحيح الاعتقاد): ((إنَّ هذا الكتاب - كتاب سليم - غير موثوق به، ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتدين أن يجتنب العمل بكلِّ ما فيه، ولا يعوّل على جملته والتقليد لروايته، وليفزع إلى العلماء فيما تضمّنه من الأحاديث ليوقفوه على الصحيح منها والفاقد، والله الموفق للصواب))^(١).

ولعلَّ ممَّا أشار إليه الشيخ المفيد في كتاب سليم من الفاسد ما جاء من قول الإمام عليه السلام: (ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به...)، فإنَّ في

(١) تصحيح الاعتقاد: ٢١٧، ط سنة ١٣٨٨ بتقديم صديقنا العلامة المرحوم الشيخ محمد رضا الجعفري.

كلام الإمام عليه السلام في (نهج البلاغة) الذي رواه الشريف الرضي رحمته الله مرتين بروايتين ما ينفي ذلك:

فقال في الأول: ومن خطبة له عليه السلام، ومنها: (فنظرت فإذا ليس مُعين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت عن القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرٍ من طعم العلقم...) ^(١).

وقال في الثانية: ومن كلام له عليه السلام: (اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم... فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقى على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمرٍ من العلقم، وآلم للقلب من حزّ الشفار...) ^(٢).

فمن هم أهل بيته الذين ضنّ بهم عن الموت، عن المنية؟ أليس هم الذين قال عنهم في رواية سليم: ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به. فكيف صار الأكوس وعريض اللحية في حال واحدة؟! وسيأتي الكلام والتعقيب على هذا الخبر بذكر شواهد بالتكذيب له، وإنّ هذا من فاسد ما في كتاب سليم..

ويجدر بنا في المقام أولاً قراءة ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه للرواية الثانية للرضي رحمته الله، فقال: «فصل: في أنّ جعفرًا وحمزة لو كانا حيّين

(١) نهج البلاغة ٦٢/١ بشرح محمّد عبده.

(٢) نهج البلاغة بشرح محمّد عبده ٢٢٧/٢.

لبايعا علياً: وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد رحمه الله، قلت له: أتقول: إن حمزة وجعفرأ لو كانا حيّين يوم وفاة رسول الله ﷺ أكانا يبايعانه بالخلافة؟

فقال: نعم: كانا أسرع إلى بيعته من النار في ييس العرفج.

فقلت له: أظن أن جعفرأ كان يبايعه ويتابعه، وما أظن حمزة كذلك، وأراه جباراً قوي النفس، شديد الشكيمة، ذاهباً بنفسه، شجاعاً بهمة، وهو العم والأعلى سنّاً، وآثاره في الجهاد معروفة، وأظنه كان يطلب الخلافة لنفسه.

فقال: الأمر في أخلاقه وسجايه كما ذكرت، ولكنّه كان صاحب دين متين، وتصديق خالص لرسول الله ﷺ، ولو عاش لرأى من أحوال عليّ التليّ مع رسول الله ﷺ ما يوجب أن يكسر له نخوته، وأن يقيم له صعره، وأن يقدمه على نفسه، وأن يتوخى رضا الله ورضا رسوله فيه، وإن كان بخلاف إيثاره... لو أن حمزة حيّ حتى رأى من عليّ ما رآه غيره، لكان أتبع له من ظلّه، وأطوع له من أبي ذرّ والمقداد.

وأما قولك: هو العم والأعلى سنّاً، فقد كان العباس العم والأعلى سنّاً، وقد عرفت ما بذله له وندبه إليه...)).

ثم ذكر ابن أبي الحديد فيما حكى عن النقيب كلاماً لأبي حيان في تفضيل جعفر على عليّ: ((قال النقيب رحمه الله: اعلم - فداك شيخك - أن أبا حيان رجل ملحد زنديق يحبّ التلاعب بالدين، ويخرج ما في نفسه فيعزوه

إلى قوم لم يقولوه... ثم قال: يا أبا حيان مقصودك أن تجعلها مسألة خلاف تثير بها فتنةً بين الطالبين لتجعل بأسهم بينهم، وكيف تقلبت الأحوال فالفخر لهم لم يخرج عنهم، ثم ضحك رحمه الله حتى استلقى ومدّ رجله، وقال: هذا كلام يستغني عن الإطالة في إبطاله بإجماع المسلمين، فإنه لا خلاف بين المسلمين في أنّ عليّاً أفضل من جعفر، وإنّما سرق أبو حيان هذا المعنى الذي أشار إليه من المنصور أبي جعفر إلى محمّد بن عبد الله، النفس الزكية، قال له: وكانت بنو أمية يلعنون أباك في أدبار الصلوات المكتوبات كما تلعن الكفرة، فعنفناهم وكفّرناهم، وبينا فضله، وأشدنا بذكره، فاتخذت ذلك علينا حجة، وظننت أنّه لما ذكرناه من فضله أنّا قدّمناه على حمزة والعبّاس وجعفر، أولئك مضوا سالمين مسلمين منهم وابتلي أبوك بالدماء»^(١).

والآن إلى إعادة قراءة: موروث معثوث يستبطن كذبه

جاء في كتاب (سليم بن قيس) في خبر طويل ضمّ في أوّله خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام خطبها بعد أن كان قد استنفر الناس للجهاد فلم ينفروا، فخطبهم موبّخاً وعاتباً وغاضباً، جاء في آخرها:

((قال الأشعث بن قيس: فهلاًّ فعلت كما فعل ابن عفّان؟

فقال عليّ عليه السلام: يا عرف النار - وذكر فيه كلاماً فيه استعاذته من فعل ابن عفّان - ثمّ ضمّ سليم محاوره طويلة عريضة بين الإمام عليه السلام وبين الأشعث

(١) شرح نهج البلاغة ١١/١١٥.

على مغاضبة أحدهما للآخر، جاء في فصلة منها قوله عليه السلام:

(فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مال الناس إلى أبي بكر فبايعوه، وأنا مشغول برسول الله بغسله ودفنه، ثم شغلت بالقرآن، فأليت على نفسي أن لا أرتدي إلا للصلاة حتى أجمعه في كتاب ففعلت، ثم حملت فاطمة وأخذت بيدي ابني الحسن والحسين، فلم أدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلا ناشدتهم الله في حقي، ودعوتهم إلى نصرتي، فلم يستجب لي من جميع الناس إلا أربعة رهط: سلمان، وأبو ذر، والمقداد، والزبير، ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به، ولا أقوى به، أمّا حمزة فقتل يوم أحد، وأمّا جعفر فقتل يوم مؤتة، وبقيت بين جلفين جافين ذليلين حقيرين [عاجزين] العباس وعقيل، وكانا قريبي العهد بكفر... فأكرهوني وقهروني، فقلت كما قال هارون لأخيه: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْني وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾^(١)).

واستدامت المحاورة طويلاً بين الإمام عليه السلام وبين الأشعث بن قيس، وانتهت بقول الأشعث بلغة الهزء والسخرية: لئن كان الأمر كما تقول هلكت أمة محمد صلى الله عليه وآله غيرك وغير شيعتك.

فقال له علي عليه السلام: (فإن الحق والله معي يا بن قيس كما أقول...).

قال سليم: فما شهدت يوماً على رؤوس العامة كان أقرّ لأعيننا [من ذلك اليوم] لما كشف أمير المؤمنين عليه السلام للناس من الغطاء، وأظهر فيه من

(١) سورة الأعراف/١٥٠.

الحق، وشرح فيه من الأمر... وصارت الشيعة بعد ذلك المجلس أجلّ الناس وأعظمهم، وذلك بعد وقعة أهل النهروان، وهو يأمر بالتهيئة والمسير إلى معاوية، ثم لم يلبث أن قتله ابن مجلم لعنه الله...»^(١).

وهذا قد مرّ قريباً ذكره، وإنّما أعدته لغرض ما عندي من:

تعقيب وتصويب

قال الشيخ المفيد في آخر كتابه (تصحيح الاعتقاد): ((... إنّ هذا الكتاب - كتاب سليم - غير موثوق به، ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتدّين أن يتجنب العمل بكلّ ما فيه، ولا يعولّ على جملته والتقليد لروايته، وليفزع إلى العلماء فيما تضمّنه من الأحاديث لوقفوه على الصحيح منها والفاقد، والله الموفق للصواب))^(٢).

أقول: إنّ هذا الخبر الذي ذكره سليم هو ممّا حصل فيه تخليط وتدليس، فالخطبة دون المحاوراة الطويلة، رواها الشيخ المفيد في (أماله) في المجلس الثامن عشر مسندة بسند لا يخلو من كلام في بعض رجاله، وأحسبه أخذها من كتاب (الغارات) لإبراهيم بن محمّد الثقفي (ت ٢٨٣هـ)^(٣)، وهذا ليس فيه ما يبعث الريبة والشكّ في صحّته، لكن الذي هو فيه مواقع للنظر بقية المحاورات، إذ لم ترد في مصادر لا تخلو من غثّ

(١) كتاب سليم بن قيس ٦٦١/٢ في الحديث الثاني عشر بتحقيق الأنصاري نشر الهادي.

(٢) تصحيح اعتقادات الشيعة: ١٥٠، ط دار المفيد، بيروت ١٤١٤هـ.

(٣) لاحظ ص ٤٩٣ بتحقيق السيّد جلال الدين المحدث رحمه الله.

وسمين، مثل (إرشاد القلوب) للديلمى، و(البحار) للمجلسي، وكلاهما نقل ذلك عن (كتاب سليم)، وهذا لا يزيد القارئ في اعتبار القبول، بل هو من الفضول، وتبقى بقية الخبر بطوله على المحكّ، إذ فيه من أقوال الإمام عليه السلام ما لا تصحّ نسبته إليه، وذلك ما ذكرته آنفاً، وعلمت عليه بالخطّ تحته، كيف يصحّ هذا وواقع الحال على خلافه، وقد مرّ في الحلقة الأولى في الجزء الثاني الكلام في (فترة بين عهديين) ما ينسف ما في خبر سليم، من تهشيم وتهميش لبني هاشم، خصوصاً العباس بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب رضوان الله عليهما.

النقطة الرابعة

مواقف العباس في نصره الإمام

ولزيادة الإيضاح والإفصاح عن مواقف بني هاشم في تلك الفترة العصيبة، أشير باختصار إلى ما قام به العباس من مواقف في نصره ابن أخيه الإمام علي بن أبي طالب من بعد وفاة النبي ﷺ، وقد مر ذكر مواقف العباس في تلك الفترة في الجزء الثاني من الحلقة الأولى^(١):

أولاً: في مرض النبي ﷺ.

وثانياً: في يوم موت النبي ﷺ قبل أن يبلغهم خبر السقيفة، فقال للإمام: امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله ﷺ بايع ابن عم رسول الله ﷺ، ولكن الإمام أبي لأنه مشغول بتجهيز النبي ﷺ، وكرّر ذلك القول حين جاء أبو سفيان بن حرب صارخاً بهما: أين الأذلان علي والعباس مستكراً بيعة أبي بكر، وسمّاه أبي الفصيل - يعني أبا بكر - فلم يلق استجابة من الإمام علي بن أبي طالب بخلاف العباس الذي كرّر العرض، وفي (نهج البلاغة) في خطبة الإمام علي بن أبي طالب: (شقوا بنا أمواج الفتن بسفن النجاة) ما يغني؛ فراجع الجزء الثاني من الحلقة الأولى^(٢).

(١) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء الثاني، الفصل الأول/فترة بين العهدين/مواقف العباس في

تلك الفترة.

(٢) المصدر نفسه.

ثالثاً: موقفه يوم أخرجوا الإمام عليه السلام للبيعة ملبياً، فقال له عمر: بايع.

فقال: (إذا لم أفعل فمه؟).

فقال له عمر: إذا أضرب والله عنقك.

فقال له علي: (إذا والله أكون عبد الله المقتول، وأخا رسول الله).

فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم، وأما أخو رسول الله صلى الله عليه وآله فلا -

حتى قالها ثلاثاً -.

فبلغ ذلك العباس بن عبد المطلب فأقبل مسرعاً يهرول - يقول الراوي -

فسمعتة يقول: ارفقوا بابن أخي، ولكم علي أن يبايعكم، فأقبل العباس وأخذ

بيد علي فمسحها على يد أبي بكر، ثم خلّوه.

فخرج مغضباً، فسمعتة يقول - ورفع رأسه إلى السماء -: (اللهم إنك

تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله قد قال لي: إن تمّوا عشرين فجاهدكم، وهو قولك في

كتابك: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾^(١)، حتى قالها

ثلاثاً، ثم انصرف^(٢).

رابعاً: موقفه ليلة أتاه أبو بكر وعمر في بيته، فساوموه بإمرة له ولعقبه

ليقطعوه عن علي عليه السلام. والخبر بطوله رواه ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة)، وقد

مرّ ذكره في الجزء الثاني من الحلقة الأولى في (فترة بين عهديين)^(٣)، فراجع!

(١) سورة الأنفال/٦٥.

(٢) تفسير العياشي ٦٨/٢ في تفسير سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ

صَابِرُونَ﴾ الآية.

(٣) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء الثاني، الفصل الأول/فترة بين العهديين/مواقف العباس في

تلك الفترة.

إلى غير هذا من المواقف التي مرّ ذكرها؛ فراجع!

والذي يبعث الشكّ في صحّة خبر سليم مضافاً إلى ما مرّ حول المحاورة بين الإمام عليه السلام وبين الأشعث بن قيس بتلك اللغة المتنافرة، فالإمام على المنبر، والأشعث وسط الناس يخاطب الإمام عليه السلام بكلّ سوء أدب، فيقول له: يا بن أبي طالب! ولم يخاطبه بإمرة المؤمنين عليه السلام، ويختم المحاورة بقوله ساخراً: لئن كان الأمر كما تقول هلكت أمة محمد صلى الله عليه وآله غيرك وغير شيعةك، فقال له عليه السلام: فإنّ الحقّ والله معي يا بن قيس، كما أقول...

وزاد سليم في خبره غرابة! ما عقّب به من مزاعم بهلوانية للشيعة يومئذ.. وليتني أدري أين مظاهر تلك العزّة التي زعمها سليم للشيعة يومئذ؟! وما بالهم لم يبطشوا بالأشعث وهو يهاجم الإمام عليه السلام بلغته النابية في التخاطب؟!!

ولماذا لم يكن مصيره كمصير أربد الفزاري الذي قال للإمام وقد خطب أهل الكوفة ودعاهم للجهاد، فقال أربد الفزاري: والله لا نجيبك، فضربه قوم من همدان حتّى مات، فوداه عليّ عليه السلام من بيت المال، فقال علاقة بن عركي التميمي:

معاذ إلهي أن تكون منيّي كما مات في سوق البراذين أربد
تعاوره همدان خصباً نعالها إذا رفعت عنه يد وقعت يد^(١)

(١) التذكرة الحمدونية ٢٢٢/٣ برقم ٦٦٩.

فالحقّ إنّ كتاب سليم يبقى على حدّ تقويم الشيخ المفيد رحمته الله بقوله: «إنّ هذا الكتاب - كتاب سليم - غير موثوق به، ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتدين أن يتجنّب العمل بكلّ ما فيه، ولا يعوّل على جملته والتقليد لروايته، وليفزع إلى العلماء فيما تضمّنه من الأحاديث ليقفوه على الصحيح منها والفاقد، والله الموفق للصواب».

النقطة الخامسة

بنو هاشم بعد النبي ﷺ

إنّ من يقرأ تاريخ المسلمين في أيام الصحابة الأوائل من أنصار ومهاجرين، لا تخفى عنه طبيعة الأحداث التي تسببت في انشقاق الأمة طوائف وأحزاباً، وأظهرها بيعة السقيفة التي غلبت قريش من المهاجرين الأنصار بحجة القرابة، لكنهم لم يفلحوا بها في استبعاد أهل البيت عليه السلام، حيث أفلجهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (واعجباً أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة)، قال الرضي رحمه الله في (النهج): وقد روي له شعر قريب من هذا المعنى، وهو:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشiron غيب
وإن كنت بالقربى حجبت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب^(١)

ومن يقرأ تاريخ الحدث ذلك اليوم، يجد مواقف بني هاشم جميعاً كانوا مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كما مرّت الإشارة في (النقطة الرابعة) من قبل إلى مواقف العباس بن عبد المطلب وهو زعيم بني هاشم يومئذ. وأظهر من جميع ذلك ما أخرجه البخاري^(٢) في صحيحه، بسنده عن

(١) نهج البلاغة ١٨/٤١٦، تح محمد أبو الفصل إبراهيم.

(٢) صحيح البخاري ١٢٠/٥.

معمر، عن الزهري، عن عائشة، والبخاري رواه عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني، وهذا أخرجه في كتابه (المصنف): ((عن معمر، عن الزهري، عن عائشة: إن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فذك وسهمه من خير.

فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال.

قالت: فهجرته فاطمة، فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت، فدفنها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، قالت عائشة: وكان لعليّ من الناس حياة فاطمة حبة - كذا - فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عنه، فمكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله ﷺ، ثم توفيت.

قال معمر: فقال رجل للزهري: فلم يبايعه عليّ ستة أشهر؟ قال: لا ولا أحد من بني هاشم حتى يبايعه عليّ^(١).

أقول: والخبر طويل، ذكرته في كتابي (المحسن السبط مولود أم سقط)^(٢)، وقد أخرجه أحمد في مسنده^(٣)، والبخاري كما مرّت الإشارة إليه، ولكنهما - أحمد والبخاري - تصرفا فيه تصرفاً مشيناً؛ فراجع وقارن!

(١) المصنف ٤٧٠/٥ - ٤٧٣.

(٢) المحسن السبط مولود أم سقط: ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٣) مسند أحمد ٢٩/١ برقم ٩.

النقطة السادسة

مَنْ هُمُ الشَّيْعَةُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ؟

قال السيّد علي خان المدني الشيرازي في كتابه (الدرجات الرفيعة)^(١):
 ((اعلم أنّ بني هاشم كلّهم من ذكرناه ومن لم نذكره لم يبايعوا أبا بكر،
 حتّى بايع أمير المؤمنين عليه السلام كرهاً لقلّة أنصاره، لعهد عهده إليه رسول
 الله صلى الله عليه وآله، وقد تكرر ذلك في كلامه عليه السلام).

فمن ذلك: قوله عليه السلام: (اللّهمّ أنّي أستعديك على قريش ومن أعانهم،
 فإنّهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى
 به من غيري، وقالوا: ألا أنّ في الحقّ أن تأخذهنّ، وفي الحقّ أن تمنعهنّ،
 فاصبر مغموماً، أو مت متأسفاً، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذابّ ولا
 مساعد، إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن المنية، فأغضيت على القذى،
 وجرعت ريقى على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمرٍ من العلقم،
 وآلم للقلب من حزّ الشفار))^(٢).

قال الرضي رحمته الله: وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدّمة، إلّا أنّي
 ذكرته هنا لاختلاف الروايتين.

(١) الدرجات الرفيعة: ١٩٥، ط الحيدرية.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٠٩/١١، تح محمّد أبو الفضل إبراهيم.

أقول: ولشراح (النهج) في المقام كلام تحسن مراجعته، اكتفي بإعانة القارئ في المقام بنقل كلام الشيخ ابن ميثم، وكلام ابن أبي الحديد، وهما من أوائل الشراح الفصّاح، الذين ذكروا مواقف بني هاشم يومئذ مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

قال ابن ميثم: «اعلم أنّ هذا الفصل يشتمل على اقتصاص صورة حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر الخلافة، وهو اقتصاص في معرض التظلم والشكاية ممّن يرى أنّه أحقّ منه بالأمر، فأشار إلى أنّه فكّر في أمر المقاومة والدفاع عن هذا الحقّ الذي يراه أولى به، فرأى أن لا ناصر إلاّ أهل بيته وهم قليلون، بالنسبة إلى من لا يعينه أو يعين عليه، فإنّه لم يكن له معين إلاّ بني هاشم كالعبّاس وبنيه، وأبي سفيان بن الحرث ومن يخصّهم، وضعفهم وقتلتهم عن مقاومة جمهور الصحابة ظاهر، فضنّ بهم على الموت، لعلمه عليه السلام أنّه لو قام بهم لقتلوا، ثمّ لا يحصل له مقصوده»^(١).

وقال ابن أبي الحديد في (شرح النهج): «واعلم أنّ هذا الكلام قد نُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يناسبه ويجري مجراه، ولم يؤرّخ الوقت الذي قال فيه، ولا الحال التي عناها به، وأصحابنا يحملون ذلك على أنّه قاله عقيب الشورى وبيعة عثمان، فإنّه ليس يرتاب أحد من أصحابنا على أنّه تظلم وتألّم حينئذ، ويكره أكثر أصحابنا حمل هذا الكلام على التألم من يوم السقيفة»^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢٦/٢، ط قم.

(٢) شرح نهج البلاغة ١١/١١.

وقال السيد المدني في الدرجات الرفيعة: ((والذي عليه جمهور الشيعة أنَّ علياً عليه السلام امتنع عن البيعة لأبي بكر، وامتنع معه جماعة من بني هاشم، كالزبير، وأبي سفيان بن الحرث، والعباس وبنيه، وغيرهم، وقالوا: لا نبايع إلاَّ علياً...)).

وقال: ((وروى هذا غير واحد أنَّ علياً عليه السلام وسائر بني هاشم لم يبايعوا أبا بكر ستة أشهر، حتَّى بايع علي عليه السلام مكرهاً فبايع بنو هاشم)).

ثم قال السيد المدني: ((ولهذا ذكرنا بني هاشم في طبقات الشيعة، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل))^(١).

(١) الدرجات الرفيعة: ١٩٥ - ١٩٧.

النقطة السابعة

أسماء بني هاشم الذين ذكرهم السيّد المدني وعدّهم من الشيعة:

لقد ذكر السيّد في (الدرجات الرفيعة) أسماء ستّة وعشرين إنساناً، ترجم لهم كلّ حسب مكانته في المجتمع، وماله من موقف يشار إليه، وهم كالآتي حسب ذكره لهم:

- ١- العباس بن عبد المطلب.
- ٢- عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.
- ٣- الفضل بن العباس بن عبد المطلب.
- ٤- عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب.
- ٥- قثم بن العباس بن عبد المطلب.
- ٦- عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب.
- ٧- معبد بن العباس بن عبد المطلب.
- ٨- كثير بن العباس بن عبد المطلب.
- ٩- تمام بن العباس بن عبد المطلب.
- ١٠- عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب.
- ١١- أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب.
- ١٢- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

- ١٣- عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب.
 - ١٤- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
 - ١٥- عون بن جعفر بن أبي طالب.
 - ١٦- محمد بن جعفر بن أبي طالب.
 - ١٧- ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب.
 - ١٨- الطفيل بن الحرث بن عبد المطلب.
 - ١٩- المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب.
 - ٢٠- عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب.
 - ٢١- عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب.
 - ٢٢- العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب.
 - ٢٣- العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب.
 - ٢٤- عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب.
 - ٢٥- جعفر بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب.
 - ٢٦- الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب.
- واللافت للنظر أنّ منهم جملة رجال جهلت أقدارهم، وكادت أن تضيع أخبارهم، وفيهم الشاعر المبدع في الفخر كالمسمّين بالفضل، وهما كاسميهما فضلاً وأدباً وشجاعة وبراعة، ومنهم الكريم الجواد الذي أفاض سيبه على العباد، كابن جعفر وعبيد الله بن العباس، وأهم من هؤلاء، وأفضل

من جميع من ذكر، هو عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، الذي قال عنه الواقدي: قتل عبد الله بن أبي سفيان بكر بلاء شهيداً مع الحسين عليه السلام، هذا هو أبو الهياج، ومما يؤسف له جهالة أصحاب المقاتل له، وعن ذكر شهادته، بينما هو علم من الأعلام، قالوا عنه: رأى النبي صلى الله عليه وآله وكان معه مسلماً بعد الفتح، وقال ابن عساكر: ولحق بعليّ في (المدائن)، وله موقف مشرف في الردّ على الفاسق الوليد بن عقبة، وهو يحرض على بني هاشم، وكان الوليد بن عقبة أخو عثمان لأُمّه، يذكر قبض أمير المؤمنين عليه السلام نجائب عثمان وسيفه وسلاحه، فقال:

بني هاشم ردّوا سلاح ابن أختكم	ولا تنهبوه لا تحلّ نهائبه
بني هاشم كيف الهوادة بيننا	وعند عليّ درعه ونجائبه
بني هاشم كيف التودّد منكم	وبزّ ابن أروى فيكم وخرائب
بني هاشم إلّا تردّوا فإنّنا	سواء علينا قاتلاه وسالبه
بني هاشم إنّنا وما كان منكم	كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه
قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه	كما غدرت يوماً بكسرى مرأيه

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان بأبيات طويلة من جملتها:

فلا تسألونا سيفكم إنّ سيفكم	أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه
وشبهته كسرى وقد كان مثله	شبيها بكسرى هديه وضرائبه
ومنا عليّ الخير صاحب خير	وصاحب بدر يوم سالت كتابه
وكان وليّ الأمر بعد محمّد	عليّ وفي كلّ المواطن صاحبه

وصي النبي المصطفى وابن عمه وأول من صلى ومن لان جانبه
وصنو رسول الله حقاً وجاره فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه^(١)

(١) لقد نسب المسعودي في مروج الذهب أبيات الرد على الوليد إلى الفضل بن العباس بن عتبة ابن أبي لهب، فذكر بعد البيت الأول:

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي الأمر بعد محمد عليّ وفي كلّ المواطن صاحبه
عليّ ولي الله أظهر دينه وأنت مع الأشقين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من أهل صفواء نازح فمالك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق فمالك في الإسلام سهم تطالبه

وجاء في الاستيعاب في ترجمة الوليد ذكر أبياته وردّ الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب عليه، وقد غيّر في بيت التشبيه بكسرى فذكر (وما كان مثله)، فعلق المحقق بقوله: (في ي) وقد كان مثله ثم قال في هامشه: بش ما ذكره إن كان صحيحاً عنه، وقد أخطأ أبو عمر في إirاده هذا إن كان سهواً، وإن كان عمداً فقد أثم.

أقول: لقد ذكر أبو الفرج في الأغاني ج ١١١/٥ أبيات الوليد، وقال: وقد أجاب الفضل بن العباس ابن عتبة بن أبي لهب الوليد عن هذه الأبيات، وقيل: بل أبوه العباس بن عتبة هو المجيب له أيضاً، والجواب:

فلا تسألونا بالسلاح فإنه أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه
وشبهته كسرى وقد كان مثله شبيها بكسرى هديه وعصائبه

وقال ابن حمدون في التذكرة ٣١١/٧ برقم ٩٥٣ في الحجج البالغة والأجوبة الدامغة في الباب الثالث والثلاثون، ط دار صادر بيروت: لمّا قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين قتل عثمان رض أبياته المشهورة التي من جملتها، من الطويل:

قال شيخنا المفيد: ((في هذا الشعر دليل على اعتقاد هذا الرجل في أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل. وكان المنصور إذا أنشد شعر الوليد المذكور يقول: لعن الله الوليد هو الذي فرق بين بني عبد مناف بهذا الشعر))^(١).

أقول: فهل لنا أن نسأل منه عن الذي فرق بين بني هاشم، بوثته على الخلافة وقد اختانها باسم العلويين؟ وقد مرّ في حديثه مع الأعمش اعترافه بهذا، فهل لنا أن نلعنه نحن أيضاً كما لعنّا أصحاب السبت؟ ومن شعر عبد الله بن أبي سفيان رحمه الله وسلام عليه قوله في علي عليه السلام:

وصلّى عليّ مخلصاً بصلاته لخمس سنين من سنيه كوامل
وخلّى أناساً بعده يتبعونه له عمل أفضل به صنع عامل

⇨

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازيه

أجابه الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بأبيات منها يقول، من الطويل:

وشبهته كسرى وقد كان مثله شبيها بكسرى هديه وعصائه

فكلّ هذه المصادر ذكرت (وشبهته كسرى وقد كان مثله). أي: كان كافراً كما كان كسرى كافراً، وكذا جاء في التفسير في الدرجات الرفيعة.

(١) الدرجات الرفيعة: ١٨٨ - ١٨٩، وغيرها.

النقطة الثامنة

مواقف مطلوبة ومحسوبة، صحيحة ومكذوبة

إنني لأقف إجلالاً لسيدنا الأستاذ (السيد الخوئي رحمته) الذي علمنا الدقة والصرامة عن الحق، وكشف الزيف في معجم رجاله، لذا فأنا يطيب لي - متمنياً بكل صدق وإخلاص أن لا يساء الظن بي - لتصحيح ما ورد في المعجم من موروث مقدس حول رجال من بني هاشم وممن له مواقف ومقام، فحيكت حوله أوهام، من الأوائل: العباس بن عبد المطلب، فقد أسيء عنه فهماً، فأسيئ إليه حكماً، فصار هو ضحية الموروث، لأنه وابنه عبد الله، وحتى ابنه الآخر عبيد الله، لحقتهم تبعات مظالم العباسيين للعلويين أيام حكمهم، فكانوا أكباش الفداء، فقالوا فيهم وعنهم، صحيحاً ومعيباً، ما غفلت عنه عين الرقيب.

فالعباس بن عبد المطلب ورد ذكره في (معجم رجال الحديث) لسيدنا الأستاذ قدس سره، فترجمه بترجمة وافية ضمن ما ورد في المصادر الأولية مدحاً وذمماً، وقال في آخر الترجمة: «(وملخص الكلام: أنّ العباس لم يثبت له مدح، ورواية الكافي في ذمه صحيحة السند، ويكفي هذا منقصة له، حيث لم يهتم بأمر علي بن أبي طالب عليه السلام ولا بأمر الصديقة الطاهرة في قضية فدك معشار ما اهتم به في أمر ميزابه)»^(١).

(١) معجم رجال الحديث ٢٣٩/٩ - ٢٤٢، ط الآداب.

أقول: وأنا أقلّ طلابه - عاتباً لا محاسباً عائباً - كيف قال هذا؟ وغفل عن كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة)، وقد رواه الشريف الرضي رحمته مرتين، فقد قال الإمام عليه السلام: (فرأيت ليس معي إلا أهل بيتي فضننتُ بهم عن المنية)، وقد مرّ ذكره من قبل، وقوله عليه السلام في آخر الخطبة الخامسة من (النهج)، قال الشريف الرضي رحمته: ومن خطبة له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة: (أيها الناس: شقّوا بنا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح، هذا ماء آجن، ولقمة يغصّ بها آكلها، ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها، كالزراع بغير أرضه، فإن أقل، يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت، يقولوا: جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة)^(١).

لقد كان على سيّدنا الأستاذ قدس سرّه مزيد بحث في المصادر التاريخية ليقف على مدى اهتمام العباس عليه السلام بأمر الإمام عليه السلام، ولا يخلو خبر: ((أفأجب نفسي))، من دلالة على صدق المودّة لحدّ التضحية.

وقد روى الخبر الشيخ الصدوق رحمته في آخر باب ٥٦/ العلة التي من أجلها لا تجوز الصلاة في سواد، بسنده: ((عن محمد بن معاوية بإسناده

(١) نهج البلاغة ٣٥/١ - ٣٦ بشرح محمد عبده، ط الاستقامة بمصر.

رفعه، قال: هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه قباء أسود ومنطقة فيها خنجر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل! ما هذا الزي؟ قال: زي ولد عمك العباس، يا محمد! ويل لولدك من ولد العباس، فخرج النبي صلى الله عليه وآله إلى العباس، فقال: يا عم ويل لولدي من ولدك، فقال: يا رسول الله: أفأجب نفسي؟ قال: جفّ القلم بما فيه)).

وهذا بعض ما دلّ على حرصه عليه السلام، وسلام عليه، بأمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو بدءاً من يوم السقيفة، ومروراً بزيارة الحاكمين له في بيته إغراء له بإمرة له ولعقبه من بعده، وجوابه الشديد في طردهم وموقفه هذا من المواقف المطلوبة المحسوبة له، لأنه صحيح، وقد رواه من لا يهتم في روايته، وإلى القارئ ذكره:

فقد روى ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة): ((...قال المغيرة: أترى يا أبا بكر أن تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه، وتكون لكم الحجة على عليّ وبني هاشم إذا كان العباس معكم.

قال: فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى دخلوا على العباس عليه السلام فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، ثم قال: إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله عليه وسلم نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن الله تعالى بمقامه بين أظهرنا، حتى اختار له الله ما عنده، فخلّى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم، متفقين لا مختلفين، فاختاروني عليهم والياً، ولأموهم داعياً، وما أخاف بحمد الله وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقى إلا بالله العليّ العظيم عليه توكلت وإليه أنيب، وما زال يبلغني عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت

عليه عامّة المسلمين، ويتّخذونكم لحافاً فاحذروا أن تكونوا جهد المنيع، فإمّا دخلتم فيما دخل فيه العامّة أو دفعتموهم عمّا مالوا إليه، وقد جنّناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك إذ كنت عمّ رسول الله ﷺ، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان أصحابك فعدلوا الأمر عنكم، على رسلكم بني عبد المطلب، فإنّ رسول الله منّا ومنكم.

ثمّ قال عمر: أي والله وأخرى إنّنا لم نأتكم حاجة منّا إليكم، ولكنّا كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامّة فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم ولعامّتكم.

فتكلّم العباس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الله بعث محمّداً كما زعمت نبياً، وللمؤمنين وليّاً، فمنّ الله بمقامه بين أظهرنا حتّى اختار له ما عنده، فخلّى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحقّ، لا مائلين عنه بزيغ الهوى، فإنّ كنت برسول الله طلبت فحقّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدّمون فيهم، وإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنّا كارهين، فأما ما بذلت لنا فإن يكن حقّاً لك فلا حاجة لنا فيه، وإن يكن حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم، وإن كان حقّنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض، وأمّا قول: أنّ رسول الله منّا ومنكم، فإنّه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها^(١).

(١) الإمامة والسياسة: ٦ نسخة مصوّرة عن نسخة في مكتبة مجلس الشورى بطهران بخط مغربي من القرن السابع والثامن، وفي ص ١٥، ط مصر ١٣٢٨ هـ وعنهما أخذت النص.

وهذا رواه ابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح النهج) عن البراء بن عازب بأبسط ممّا مرّ، وزاد في آخره، أنّ العباس قال لعمر: «أمّا قولك: إنّنا نخاف أن يتفاقم الخطب بكم، فهذا الذي فعلتموهم أوائل ذلك، والله المستعان».

وإلى غير هذا من مواقف العباس بن عبد المطلب رحمه الله تعالى، وآخرها وصيته عند موته للإمام عليّ (عليه السلام) في تحذيره من عواقب الخلاف مع عثمان، وقد مرّ ذكر هذا في الحلقة الأولى في أجزائها الأولى؛ فراجع!

وختم العتب بما يثير العجب: أنّه قال في ص ٢٤٠: «روى الكشي في ترجمة عبد الله بن العباس (١٥) بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام): أنه نزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾^(٢) في العباس بن عبد المطلب».

وهذا ما يوحى بالعجب من سيّدنا الأستاذ قُدّس! فالخبر رواه الكشي عن جعفر بن معروف، وقد قال فيه سيّدنا الأستاذ في ج ١٣٤/١ من معجمه: «لَمْ تثبت وثاقته»، فكيف اعتمد عليه في المقام ولم يعقّب على الخبر بشيء؟! وكذلك قوله: «وروى في ترجمة عبيد الله بن العباس (٥١) عن كتاب الفضل بن شاذان، عن قيس بن سعد بن عبادة: أنّه قال: إنّ هذا (عبيد الله بن

(١) سورة الإسراء/٧٢.

(٢) سورة هود/٣٤.

العبّاس) وأباه لم يأتيا قطّ بخير)).

وهذا من الغريب العجيب أن يعمد سيّدنا قَدْحُ إِلَى ذكر هذا معتمداً عليه مع إرساله وجهالة سنده في كتاب الفضل بن شاذان!! مضافاً إلى جهالة نفس الكتاب، إذ للفضل عدّة كتب، فأَيُّها المراد؟

وإنّ ما ورد في خطبة قيس، فيه تزيّد، فذكر (أباه وأخاه)، كما في (مقاتل الطالبيين)، وفي (شرح ابن أبي الحديد) ذكره (أباه) فقط، وفي غيرهما لم يرد سوى ذكر عبيد الله، وقد مرّ بحث هذا في الحلقة الأولى؛ فراجع!

على أنّ في قيس بن سعد ما يثير علامة استفهام في صيغة بيعته للإمام الحسن عليه السلام؛ فراجع!

وأخيراً نختم الحديث في المقام عن ذكر العبّاس بن عبد المطلب بما أخرجه الكليني في (الكافي) في كتاب الأشربة، بسنده الصحيح عن صفوان الجمال، قال: ((كنت مبتلى بالنبذ معجباً به، فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أصف لك النبذ.

فقال لي: بل أنا أصفه لك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (كلّ مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام).

فقلت له: هذا نبذ السقاية بفناء الكعبة.

فقال لي: ليس هكذا كانت السقاية، إنّما السقاية زمزم، أتدري من أوّل من غيرها؟

قال: قلت: لا.

قال: العباس بن عبد المطلب، كانت له حيلة، أفندري ما الحيلة؟

قلت: لا.

قال: الكرم، فكان ينقع الزبيب غدوة ويشربونه بالعشي، وينقعه بالعشي ويشربونه من الغد، يريد به أن يكسر غلظ الماء عن الناس، وإنّ هؤلاء قد تعدّوا فلا تشربه ولا تقربه»^(١).

ففي هذه الحديث إيماءة بلطف إلى فعل العباس بن عبد المطلب وجعله حجة لجواز استعمال النبيذ بالصفة المذكورة.

(١) الكافي ٤٠٨/٦ برقم ٧.

النقطة التاسعة

ابن عباس في ذويه

لقد غدت ثقافتنا الدينية تبعاً - بامتياز - لموروث تلقيناه بالقبول، دون إعادة النظر بدقّة في مصادره وموارده..

ولا أقول: إننا فقدنا الأصالة بالمرّة، ولكننا بحاجة ماسّة إلى مزيد صراحة في الكشف عن التزييف ودرن التغليف ببريق التوصيف، ولغرض التوظيف كما في بعض الممارسات لحساب الدين، فعلينا أن نعلن النقد لما كان منها من إملاء العاطفة فصار من الثابت، لئلا نخلط الواقع بغيره، والحقيقة بحبّ الذات وبغض الآخرين، وليبقى عذب الفرات سائغاً شرابه، ويبقى الملح الأجاج علينا اجتنابه، فليس كلّ الأنماط من الناس سواء، فالله سبحانه وتعالى فضّل بعضهم على بعض في الخلق والرزق، وحتى في الاصطفاء، فقال تعالى عن الذين اصطفى من عباده: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(١).

فقد أخرج الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل)، بسنده: ((عن أبي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: إنني لجالس عنده إذ جاءه رجلان من أهل العراق، فقالا: يا بن رسول الله! جئناك كي نخبرنا عن آيات من القرآن.

(١) سورة فاطر/ ٣٢.

فقال: وما هي؟

قالا: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾؟

فقال: يا أهل العراق وأيش يقولون؟

قال: يقولون: إنها نزلت في أمة محمد ﷺ.

فقال لهم علي بن الحسين: أمة محمد كلهم إذاً في الجنة!

قال - أبو حمزة - فقلت من بين القوم: يا بن رسول الله فيمن نزلت؟

فقال: نزلت - والله - فينا أهل البيت، ثلاث مرّات - أي قالها - .

قلت: أخبرنا من فيكم الظالم لنفسه؟

قال: الذي استوت حسناته وسيئاته، وهو في الجنة.

فقلت: والمقتصد؟

قال: العابد لله في بيته حتى يأتيه اليقين.

فقلت: والسابق بالخيرات؟

قال: من شهر سيفه ودعا إلى سبيل ربّه^(١).

وما دام التفاضل موجوداً بين العباد، فلا غضاضة لو قلنا للمحسن:

أحسن، وإن كان عبداً حبشياً، وللمسيء: أسأت، وإن كان سيّداً قرشياً،

فالله سبحانه قضى في خلقه بذلك، وفيما تقدّم من آي الذكر الحكيم نهج

مستقيم.

(١) شواهد التنزيل ١٥٥/٢ - ١٥٦ رقم ٧٨٢.

فابن عَبَّاسٍ فِي ذَوِيهِ كَذَلِكَ بَدْءاً مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ عَنْهُمَا بِإِحْسَانٍ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَوْسُوعَةِ، مُضَافاً إِلَى مَا مَرَّ مِنْ ذِكْرِ لِهَمَا بِخَيْرٍ فِي بَقِيَّةِ الْأَجْزَاءِ اسْتِطْرَاداً، أَمَّا عَنْ إِخْوَتِهِ فَهَمَّ عَلَى تَفَاوُتٍ فِي الْحَالِ وَالتَّفَاضُلِ فِي الْأَعْمَالِ، فَمِنْهُمْ الْفَاضِلُ فِي عَمَلِهِ وَسُلُوكِهِ كَالْفَضْلِ، وَقَتْمٌ، وَكَثِيرٌ، وَمِنْهُمْ الْفَاشِلُ الْآفِلُ كَعَبِيدِ اللَّهِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُمْ الْخَامِلُ كَتَمَّامٌ، وَمَعْبُدٌ، فَإِلَى قِرَاءَةِ عَابِرَةٍ وَمَعْبَرَةٍ عَنْهُمْ كَلَّا بِحَسْبِهِ.

١- الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

نَقْتَبِسُ تَرْجُمَتَهُ مِمَّا قَالَ السَّيِّدُ ابْنُ مَعْصُومٍ الْمَدَنِيُّ الشِّيرَازِيُّ (ت ١١٢٠هـ) فِي كِتَابِهِ (الدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ)^(١):

((أُمُّهُ أُمُّ الْفَضْلِ، كَانَ أَكْبَرُ أَوْلَادِ الْعَبَّاسِ وَبِهِ كَانَ يَكْنَى، وَكَانَ هُوَ يَكْنَى بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: بِأَبِي مُحَمَّدٍ، وَكَانَ أَجْمَلَ النَّاسِ وَجْهًا.

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّارِيخِ: غَزَا الْفَضْلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ وَحُنَيْنًا، وَثَبَتَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ، وَشَهِدَ حِجَّةَ الْوُدَاعِ، وَأَرْدَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ لَمَّا دَفَعَ مِنْ مَزْدَلِفَةِ إِلَى مَنَى، وَكَانَ الْفَضْلُ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا، فَمَرَّتْ ظَعْنُ بَحْرِيمَ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشَّقِّ الْآخَرِ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَصَرَفَ وَجْهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرِ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: لَوَيْتَ عَنُقَ ابْنِ عَمِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: (رَأَيْتَ شَابًا وَشَابَةً فَلَمْ آمِنْ

(١) الدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ: ١٤٢، فَمَا بَعْدَهَا، ط الْحَيْدَرِيَّةُ فِي النُّجُفِ الْأَشْرَفِ.

الشيطان عليهما).

وأخرج ابن بابويه رحمته في الفقيه: عن القدّاح، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، قال: قال الفضل بن عباس: أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بغلة، أهداها إليه كسرى أو قيصر، فركبها رسول الله صلى الله عليه وآله بحبل من شعر وأردفني من خلفه، ثم قال لي: (يا غلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد مضى بما هو كائن، فلو جهد الناس أن ينفعوك بأمر لم يكتبه الله لك لم يقدرُوا عليك، ولو جهدوا أن يضرّوك بأمر لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا، فإن استطعت أن تعمل الصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإنّ في الصبر على أمورٍ خيراً كثيراً، واعلم أنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسراً، إنّ مع العسر يسراً)). والظاهر صحّة رواية الوصية لعبد الله بن عباس لما مرّ^(١).

(١) تقدّم في الجزء الأوّل من الحلقة الأولى من الموسوعة الفصل الثاني/وصايا نبويّة خاصّة له، منسوبة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه نصحه بها النبي صلى الله عليه وآله كما مرّت مشروحة في الجزء (١٤) وهو الرابع من الحلقة الثالثة، وقد ذكرتُ هناك الاختلاف في الرواية، وبيّنت السهو في ذكر كسرى فيها، فهو الذي مرّق كتاب النبي صلى الله عليه وآله، فمتى أهدى له البغلة؟ ولعلّ ذكره ورد سهواً من قبيل الإتيان والمزاوجة، لكثرة الاستعمال، في ذكر كسرى وقيصر معاً، نحو قول الراوي في خبر (الكافي) في باب (من يجب عليه الجهاد ومن لا يجب ج ١٧/٥ ح ١) فهو صلى الله عليه وآله لم يشركهما بالكتاب حين كتب صلى الله عليه وآله إلى كسرى وقيصر، كما ذكرهما معاً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه الذي كتبه لشريح عندما اشترى داراً بثمانين ديناراً. والخبر في (نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨)، وذكرهما معاً أيضاً في خطبته عليه السلام التي رواها ابن قتيبة في (الإمامة

وذكر السيد ابن معصوم المدني الشيرازي في (الدرجات الرفيعة) بعض حالات الفضل من حضور عند النبي ﷺ في أخريات أيامه:

فمنها: خرج متوكئاً عليه وعلى عليّ ﷺ وهو مريض تخط قدماه الأرض، وهذا رواه العامة عن عائشة، غير أنها لم تسم علياً ﷺ، وقالت بين

⇨

والسياسة ١: ١٤٤)، فقال... لعلوا فيكم بعمل كسرى وقيصر، وثالثة ذكرهما معاً في ذمّ متعلّم علم الكهانة، قاله عندما أراد الخروج إلى حرب الخوارج في النهروان، فنهاه المنجّم، فقال ﷺ: (أما إنّه ما كان لمحمد ﷺ منجّم ولا لنا من بعده حتّى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر)، ولشيوخ الاستعمال ظلّ ذكر كسرى وقيصر معاً حتّى ورد في الشعر فقال القائل:

هي الأرض للمستضعفين هدية من الله ضاعت بين كسرى وقيصرا

قال ليبد:

عبدٌ لحي حمير إن تملكوا وتظلمنا عمال كسرى وقيصرا

ولأبي نواس:

ولو أنّ مالي يستقلّ بلذتي لأنسيت أهل اللهو كسرى وقيصرا

وجاء في شعر الشريف الرضي قوله:

وإن نلتموها دولة عجيبةً فقد نال ما قد نال كسرى وقيصر

وما أكثر ما قيل في هذا، ومن جميل ما قيل فيه قول محمود سامي البارودي:

أرى كلّ شيء عرضة للتغيّر فما بالنّا بعد الحقيقة نمّيري

ترسم فضاء الأرض شرقاً ومغرباً عساك ترى آثار كسرى وقيصر

رجلين أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر، فأخبر من سمعها تقول ذلك عبد الله بن عباس بقولها، فقال له: فهل تدري من هو الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال الراوي: قلت: لا، فقال ابن عباس: هو علي، إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير^(١).

ومنها: مشاركته في تجهيز النبي ﷺ في غسله، ففي رواية: كان يصب الماء وعلي ﷺ يغسله، وفي رواية: إن الذي كان يصب الماء أبوه العباس، وهو حاضن للنبي ﷺ وعلي يغسله.

ومنها: ما روي أن أمير المؤمنين ﷺ منع أن ينزل معه أحد من الناس، فقال: لا ينزل قبره غيري وغير العباس، ثم أمر بنزول الفضل وقتل.

وروى الزبير بن بكار، قال: روى محمد بن إسحاق: أن أبا بكر لما بويج افتخرت تيم بن مرة، قال: وكانت عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فقال الفضل بن عباس: يا معشر قريش! وخصوصاً يا بني تيم! إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة، ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهية الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسداً منهم لنا، وحقداً علينا، وإننا لنعلم أن عند صاحبنا عهداً، وهو ينتهي إليه.

وقد ورد في (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد^(٢) بعض ما جرى

(١) راجع الجزء الأول من الموسوعة: الفصل الثاني / فترة عهد النبي الأكرم / النهاية المحزنة.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣٣/٦ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

من مهاترة عمرو بن العاص وهجائه للأنصار نقلاً عن الزبير بن بكار، فقال: بعد تعريض ابن العاص بالأنصار: «ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب، وندم على قوله، للخزولة التي بين ولد عبد المطلب وبين الأنصار، ولأن الأنصار كانت تعظم علياً وتهتف باسمه حينئذ، فقال الفضل: يا عمرو! إنه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك، وليس لنا أن نجيبك وأبو الحسن شاهد بالمدينة، إلا أن يأمرنا فنفعل، ثم رجع الفضل إلى عليّ فحدثه، فغضب وشم عمرًا، وقال: آذى الله ورسوله، ثم قام فأتى المسجد، فاجتمع إليه كثير من قريش وتكلم مغضباً، فقال: يا معشر قريش! إن حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق، وقد قضوا ما عليهم وبقي ما عليكم... ألا وإن عمرو بن العاص قام مقاماً آذى فيه الميت والحي، ساء به الواتر وسر به الموتور، فاستحق من المستمع الجواب، ومن الغائب المقت، وإنه من أحب الله ورسوله أحب الأنصار، فليكف عمرو عنا نفسه...

قال الزبير - بن بكار - فمشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص، فقالوا له: أيها الرجل أما إذا غضب عليّ فاكف...

قال الزبير: وقال عليّ للفضل: يا فضل! أنصر الأنصار بلسانك ويدك، فإنهم منك، وإنك منهم، فقال الفضل:

قلت يا عمرو مقالاً فاحشاً	إن تعد يا عمرو والله فلأك
إنما الأنصار سيف قاطع	من تصبه ضبة السيف هلك
وسيوف قاطع مضر بها	وسهام الله في يوم الحلك

نصروا الدين وآووا أهله منزل رَحْبٍ ورزق مشترك
وإذا الحرب تلظت نارها بركوا فيها إذا الموت برك

ودخل الفضل على عليٍّ فأسمعه شعره، وفرح به، وقال: وريت بك زندي يا فضل، أنت شاعر قريش وفتاها، فأظهر شعرك، وابعث به إلى الأنصار، فلمّا بلغ ذلك الأنصار، قالت: لا أحد يجيب إلاّ حسان الحسام، بعثوا إلى حسان بن ثابت فعرضوا عليه شعر الفضل، فقال: كيف أصنع بجوابه، إن لم أتحرّ قوافيه فضحني، فرويداً حتّى أقفو أثره في القوافي، فقال له خزيمة بن ثابت: أذكر عليّاً وآله يكفك كلّ شيء، فقال:

جزى الله عنّا والجزاء بكفّه أبا حسن عنّا ومن كأبي حسن
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
تمنّت رجال من قريش أعزة مكانك هيهات الهزال من السمن
وأنت من الإسلام في كلّ موطن بمنزلة الدلو البطين من الرسن
غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة أُمات بها التقوى وأحيا بها الإحن
فكنت المرجى من لويّ بن غالب لما كان منهم والذي كان لم يكن
حفظت رسول الله فينا وعهده إليك ومن أولى به منك من ومن
ألست أخاه في الهدى ووصيه وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن
فحقك ما دامت بنجد وشيعة عظيم علينا ثمّ بعد على اليمن

قال الزبير: وبعثت الأنصار بهذا الشعر إلى عليّ بن أبي طالب، فخرج إلى المسجد وقال لمن به من قريش وغيرهم:

يا معشر قريش! إنّ الله جعل الأنصار أنصاراً، فأثنى عليهم في الكتاب، فلا خير فيكم بعدهم، أنّه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وتره الإسلام، ودفعه عن الحقّ، وأطفأ شرفه، وفضّل غيره عليه يقوم مقاماً فاحشاً فيذكر الأنصار، فاتّقوا الله وارعوا حقّهم، فوالله لو زالوا لزلت معهم، إنّ رسول الله ﷺ قال لهم: (أزول معكم حيثما زلتم)، فقال المسلمون جميعاً: رحمك الله يا أبا الحسن قلت قولاً صادقاً.

قال الزبير - بن بكار -: وترك عمرو بن العاص المدينة وخرج عنها حتى رضي عنه عليّ والمهاجرون^(١).

وقد ذكر السيّد الأمين رحمته الله في (أعيان الشيعة) ترجمة الفضل بن العباس هذا، فيها تفصيل، وفيها ملاحظات، وختمها بقوله: وأنشد القاضي أبو بكر الباقلاني للفضل بن العباس في كتاب فضائل الأئمة يسجح بزمزم والولاية عليها، وخصومتهم بها:

ولنا أسام لا تليق بغيرنا وهواتف تهتز حين ترانا
حوض النبيّ وحوضنا من زمزم ظمئ امرؤالم يروه حوضانا(٢)

أقول: أظنّ أنّ هذا الشعر للفضل بن العباس اللهبيّ الآتي ذكره في آخر تراجم هذه الكواكب الباهرة والنجوم الزاهرة من بني هاشم شيعة الإمام عليه السلام الطاهرة رضي الله عنهم أجمعين.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٥/٦، تح محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) أعيان الشيعة ٢٨٥/٤٢ - ٢٩٠.

أقول: وهذا الفضل بن العباس بن عبد المطلب، ممّن حاز شرف الفضل مع أبيه وذويه الذين ثبتوا يوم حنين يحامون رسول الله ﷺ ويدافعوا عنه، فأنزل الله فيهم قوله كما في سورة التوبة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وكانوا ثمانية، وهم الذين ثبتوا مع النبي ﷺ، وفرّ عنه ﷺ جميع الذين كانوا معه من مهاجرين وأنصار، فكان أمير المؤمنين عليه السلام يضرب بين يديه بسيفه حتى قتل أربعين رجلاً قبل أن يفيء الأصحاب، وكان العباس عن يمينه آخذاً بشكيمة البغلة، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب عن يساره، والفضل ابن العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب من حوله يقاتلون، ومعهم أيمن بن أمّ أيمن وقد قتل جليله، وفي ذلك يقول العباس بن عبد المطلب:

ألا هل أتى عرسي مكريّ ومقدمي	بوادي حنين والأسنة تشرع
وقولي إذا ما النفس جاشت لها قدي	وهام تدهده والسواعد تُقطع
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة	بزوراء تعطي باليدين وتمنع
كأنّ السهام المرسلات كواكب	إذا أدبرت عن عجزها وهي تلمع
وما أمسك الموت الفظيع بنفسه	ولكنّه ماض على الهول أروع
نصرنا رسول الله في الحرب سبعة	وقد فرّ من قد فرّ عنه وأقصوا

(١) سورة التوبة/ ٢٥ - ٢٦.

وثامننا لاقى الحمام بسيفه بما مسّه في الله لا يتوجّع

ومنها:

هفوت إليه حين لا يحناً امرؤ على بكره والموت في القوم منع

ومنها قوله:

وقولي إذا ما الفضل شدّ بسيفه على القوم أخرى يا بُني ليرجعوا (١)

ومن شعر الفضل بن العباس بن عبد المطلب من أبيات قالها في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

ألا إنّ خير الناس بعد محمّد وصيّ النبيّ المصطفى عند ذي الذكر
وأوّل من صلّى وصنونيّه وأوّل من أردى الغواة لدى بدر

قال أبو عمر - ابن عبد البرّ صاحب الاستيعاب - : اختلف في وفاة الفضل بن العباس، فقليل: أصيب بأجنادين في خلافة أبي بكر سنة ١٣هـ وقيل: قتل يوم مرج الصفرا سنة ١٣هـ وقيل: مات بطاعون عمواس... وهو أوّل طاعون كان في الإسلام بالشام سنة ١٧هـ وقيل: ١٨هـ قال بعضهم: والأوّل أصحّ، وذلك في خلافة عمر، ومات في هذا الطاعون خمس وعشرون ألفاً، وقيل: ثلاثون ألفاً، قال السيوطي: من جيش المسلمين... ولم يترك الفضل ولداً غير بنت تزوّجها الإمام الحسن عليه السلام فأولدها: محمّداً،

(١) انظر: الجزء الأوّل من الموسوعة، الفصل الأوّل / بداية حديثنا عن العباس / مشاهده في الإسلام.

وجعفرًا، وحمزة، ثم فارقها فتزوجها أبو موسى الأشعري، فولدت له موسى ومات عنها، فتزوجها عمر بن طلحة بن عبيد الله...

٢- قثم بن العباس بن عبد المطلب

قال السيد ابن معصوم المدني الشيرازي في (الدرجات الرفيعة): ((أمه أم الفضل، وهو رضيع الحسن بن علي، روي أن أم الفضل قالت لرسول الله ﷺ: رأيت عضواً من أعضائك في بيتي؟ قال: (خيراً رأيته، تلد فاطمة غلاماً ترضعينه بلبن قثم)، فولد الحسن فأرضعته بلبن قثم، وكان قثم يشبه النبي ﷺ.

أخرج ابن الضحاك عن ابن عباس: أن العباس رأى ابناً له يقال له قثم، فوضعه على صدره، وهو يقول:

حَبِّي قَثْمَ حَبِّي قَثْم شبيه ذي الأنف الأشم
نَبِيَّ ذِي النِّعَم برغم من رغم

وروى ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب، عن عبد الله بن جعفر، قال: كنت أنا وعبيد الله وقثم ابني العباس نلعب، فمرّ رسول الله ﷺ راكباً، فقال: (ارفعوا إليّ هذا الفتى) - يعني قثم - فرفعه إليه، فأردفه ثم جعلني بين يديه ودعا لنا.

قال ابن عبد البر: روى عبد الله بن عباس، قال: كان قثم آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ، أي آخر من خرج من قبره ممّن نزل فيه، وكان المغيرة بن شعبة يدّعي ذلك لنفسه، فأنكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام ذلك،

وقال: بل آخر من خرج من القبر قثم بن العباس.

قال ابن عبد البر: وكان قثم واليا لعليّ على مكة، عزل عنها عليّ خالد ابن العاص بن هشام، وكان وليها لعثمان، وولّاها أبا قتادة الأنصاري، ثمّ عزله عنها ووّلّى مكانه قثم بن العباس، فلم يزل والياً حتّى قتل عليّ عليه السلام.
وقال الزبير بن بكار: استعمل عليّ قثم بن العباس على المدينة.
- أقول: وهذا منه وهم، والصحيح على مكة كما مرّ ذكره -

قال ابن عبد البر: واستشهد بسمرقند، كان مع واليه سعيد بن عثمان بن عفّان زمن معاوية فقتل هناك.

وقال ابن الضحاك:... وقبره خارج سور سمرقند في قبة عالية معروفة بمزار شاه يعني: السلطان الحي.

وفي قثم يقول داود بن مسلم:

عُتِّقْتُ مِنْ حَلِي وَمِنْ رَحْلَتِي	يَا نَاقَ إِن أَدْنَيْتَنِي مِنْ قَثْمٍ
إِنَّكَ إِن أَدْنَيْتَنِي مِنْهُ غَدَاً	حَالْفَنِي الْيَسْرُ وَمَاتِ الْعَدَمِ
فِي كَفِّهِ بَحْرٌ وَفِي وَجْهِهِ	بَدْرٌ وَفِي الْعَرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ
أَصَمٌّ عَنْ قِيلِ الْخَنَّا سَمِعَهُ	وَمَا عَنْ الْخَبْرِ بِهِ مِنْ صَمَمٍ
لَمْ يَدْرِ مَا وَلَا وَبَلَى قَدْ دَرَى	فَعَاظَهَا وَاعْتَاضَ عَنْهَا نَعَمَ

وقيل: إنّ هذه الأبيات لابن المولى في قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس، لا قثم بن العباس هذا.

وكان قثم بن العباس بن عبيد الله والياً على المدينة، وقيل: على اليمامة

من قبل أبي جعفر المنصور، وكان جواداً ممدحاً، والله أعلم)).

وختم السيد ابن معصوم ترجمة قثم، بضبط الاسم ومعناه، فأفاد بقوله: ((قُثَم) بضم القاف وفتح الكاف المثلثة على وزن عُمَر، يقال: رجل قثم إذا كان كثير العطاء وجموعاً للخير، وبه سمي الرجل، وهو معدول عن قائم تقديرًا، ولا ينصرف للعدل والعلمية))^(١) اهـ.

٣- كثير بن العباس بن عبد المطلب

أمّه أم ولد، اسمها: سبأ، وقيل: حميرية، وكان يكنى أبا تمام، قال أبو عمر - ابن عبد البر - ولد قبل وفاة النبي ﷺ بأشهر، سنة عشر من الهجرة، وكان فقيهاً فاضلاً عابداً سيّداً، روى عن أبيه وأخيه عبد الله، وعنه ابن شهاب - يعني الزهري - وعبد الرحمن الأعرج وجماعة^(٢).

تزوج أم هاني زينب الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن عقيل، ثم خلف عليها كثير بن العباس، وتزوج كثير بن العباس رملة الصغرى أم كلثوم الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام، تزوجها قبل أختها أو بعدها^(٣).

وقال البلاذري: كان فقيهاً صالحاً حمل عنه الحديث، وكان ينزل بقريس على فراسخ من المدينة، فيأتي المدينة في كل جمعة وينزل دار أبيه العباس، فإذا صلى انصرف، وكتب كثير على كفنه الذي أمر أن يكفن فيه:

(١) الدرجات الرفيعة: ١٥١ - ١٥٢.

(٢) انظر: الدرجات الرفيعة: ١٥٢ - ١٥٣.

(٣) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري في ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

((كثير بن العباس يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّد عبده ورسوله))، وقد ذكر الطبري في (ذيل المذيل): أنّ كثيراً مات بينع بالذبحه^(١).

وقال بعض من ذكره: كان له ولد اسمه يحيى أمّه أمّ كلثوم الصغرى بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام فدرج، وقيل: كان له الحسن بن كثير درج. فهذا - كثير - بقية الثلاثة من أولاد العباس بن عبد المطلب، وهم من جملة أخوة عبد الله حبر الأمة الذي كان فوق الشبهات، ولم تنلهم العين اللوامة بسوء نظرة.

أمّا إخوته الذين قيل عنهم وفيهم ما لا يحمد قوله، وهما على المحكّ..

فهما اثنان: عبيد الله، وعبد الرحمن.

وإلى القارئ تعريفهما:

الأوّل: عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب

وقبل الشروع في ترجمته، أشير إلى بعض ما وقع في المصادر من خلط وخطب بينه وبين أخيه عبد الله من أوهام وإيهام، لتشابه الاسمين خطأً في عبد الله وعبيد الله، ما أدى إلى خلط الأوراق واستبدال الأدوار في تاريخي الرجلين، بدءاً من أصحاب الكتب ومروراً بالنسّاخ، وانتهاءً بأخطاء المطابع ممّا أربك الباحث والقارئ، وكنموذج عابر ومعاصر فضلاً عمّا في

(١) ذيل المذيل: ٥٣٦.

التراث الغابر:

١- فقد جاء في كتاب (الإمام الحسن القائد والأسوة) للشيخ حسين سليمان سليمان معاصر، الصفحة (٥): «...كما أعدم القيسي في البصرة التي كان عبيد الله بن العباس والياً عليها...».

وهذا من وهم المؤلف! فالوالي كان عبد الله لا عبيد الله.

وفي صفحة (٦): «...وكتب عبيد الله بن العباس الوالي على البصرة رسالة مماثلة...».

وهذا كسابقه في وهمه.

٢- ما جاء في كتاب (صلح الإمام الحسن من منظور آخر) تأليف الأسعد بن علي معاصر^(١)، الصفحة (٢٩): «...ثم قام عبيد الله بن العباس بحذاء المنبر في المسجد الجامع، وقال بصوته المدوّي: معاشر الناس! هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه يهدي به الله من اتبع الرضوان سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم...».

وهذا كما سبق في وهمه واستبدال الأدوار.

٣- وجاء في كتاب (معالم الفتن) لسعيد أيوب معاصر، الصفحة (٢٢٤): «(فعن عبيد الله بن عباس، قال: نظر النبي ﷺ إلى علي، فقال: يا علي! أنت سيّد في الدنيا سيّد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله،

(١) انظر: سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت (عليه السلام) / إعداد مركز الأبحاث العقائدية.

وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله)).

وهذا من أحاديث عبد الله لا عبيد الله، ولم يعهد لعبيد الله رواية واحدة في هذا الموضوع، بينما المروي عن عبد الله فيه خير كثير. وهذا الحديث أخرجه الحاكم النيسابوري في (المستدرک)، بإسناده: ((عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي، فقال: (يا علي...) ^(١)، وكذلك ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق/ ترجمة الإمام عليه السلام) ^(٢)، وابن المغازلي في (المناقب) ^(٣)، وغيرهم.

٤- وجاء في كتاب (الجوهرة) للبري التلمساني، الصفحة (٣٢): ((...ولما توفي الحسن عليه السلام، أدخله قبره الحسين، ومحمد بن الحنفية، وعبيد الله بن عباس؟)).

وقد مر أن عبد الله وابنه علي كانا ممن اشترك في تغسيل الإمام الحسن عليه السلام؛ فراجع!

٥- وجاء في كتاب (كلمة الإمام الحسن عليه السلام) للمرحوم الشهيد السعيد السيد حسن الشيرازي: ((وكتب عامله على البصرة عبيد الله بن عباس إلى معاوية...)).

(١) المستدرک ١٢٧/٣، ط حيدر آباد.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٢٣١/٢، ط بيروت.

(٣) المناقب: ١٠٣ برقم ١٤٥.

وهذا كالسابقين في استبدال الاسم والدور، وهو وهم..

وثمة غير من ذكرت مثلهم.

وسبب الاختلاف هو تشابه الأسماء في الخطّ، فلهذا كثر الخلط والخلط بين أدوار الأخوين، فنسب إلى أحدهما ما هو للآخر، وهذا سبب عناء الباحث في تمييز ما لكل منهما، على أنّ التمايز والتفاضل بينهما حاصل بالتفاضل علماً وأدباً وسلوكاً، لكنّ الغمز والهمز والتطاحن بين العلويين والعبّاسيين زاد في التعتيم، وأخلّ بالتقويم حتّى التجريم.

ومن نماذج وهم الرواة، أو النسخ، أو المطابع، ما تقدّم ذكره في أواخر الجزء الثالث من هذه الحلقة^(١)، في خبر التميمي الذي جاء من البصرة وقد أرسله ابن عبّاس مع المال، فذكر خبر ضيافته عند منزل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأنّ الذي استغاث به الإمام عليه السلام في ضيافته كان هو ابنه الإمام الحسن عليه السلام كما في رواية محمّد بن سليمان الكوفي، بينما ذكر ابن أبي الحديد في (شرح النهج) برواية عقيل بن أبي طالب أنّ الإمام عليه السلام أوعز إلى ابنه الحسين عليه السلام باستضافة ذلك الضيف، واحتمال تعدّد الواقعة في الخبرين بعيد، لتشابه ما بين الروایتين في حديث مفردات الضيافة وما جرى فيها من خبر زقّ العسل الذي جاء من اليمن؛ فراجع!

وإنّ ما يوحى بالغمز واللّمز في أحد ابني العبّاس (عبد الله وعبيد الله) صار يحمل على الآخر للوهم الذي ذكرت أسبابه، مضافاً إلى التشنّج الذي

(١) أي: الجزء الثامن عشر من الموسوعة.

حصل في أيام حكومة العباسيين منهم كما مر ذكره.

ولمّا كان عبيد الله بن العباس لم يعرف براوية الحديث مثل أخيه عبد الله في كثرة ما روي عنه، فلم يذكر له من الحديث وعنه إلا القليل.

فقد روى عنه أحمد في مسنده بضع أحاديث لم تتجاوز الآحاد، ولم يخرج له من أصحاب الصحاح إلا النسائي حديثاً واحداً، وسبب قلّة حديثه لأنّه معدود من صغار الصحابة، وأشهر ما روي عنه خبر الغميصاء التي جاءت إلى النبي ﷺ تشكو زوجها أنّه لا يصل إليها، فلم يلبث أن جاء زوجها، فقال: يا رسول الله! هي كاذبة، وهو يصل إليها، ولكنّها تريد أن ترجع إلى زوجها، فقال رسول الله ﷺ: (ليس ذلك حتّى يذوق عسيلتك رجل غيره)، وهذا أخرجه أحمد في مسنده^(١).

بينما نجد هذا الحديث رواه النسائي في (سننه الكبرى)، وفيه: ((عن عبد الله بن عباس... فقال رسول الله ﷺ: (ليس ذاك حتّى تذوقي عسيلته)))^(٢).

ومما روي عن عبيد الله خبر الميزاب، فهو كما أخرجه الروياني في مسنده، الحديث (١٣١٨)، قال: ((كان للعبّاس ميزاب على طريق عمر، فخرج يوم الجمعة، وقد ذبح للعبّاس فرخان، فلمّا وافى الميزاب صبّ فيه فأصاب عمر، فأمر عمر بقلع الميزاب، فأتاه العبّاس، فقال: إنّ الله لموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر: وأنا أعزم عليك إلاّ صعدت على

(١) مسند أحمد ٢١٤/١ برقم ١٨٣٧.

(٢) سنن النسائي ١٤٨/٦ برقم ٣٤١٣.

رقتي حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ).

وهذا خبر رواه غيره أيضاً، وصار من ثوابت الموروث، مع أنه لا يخلو من ملاحظة النقاش فيه حدوثاً، وبقاءً، وزوالاً، وإعادة، مما لست بصدده فعلاً، ولا يعيننا أمره.

وروى ابن حجر في (إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة): ((عن عبيد الله بن العباس: إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن أبي أدركه الإسلام ولم يحجّ أفأحجّ عنه؟ قال: نعم))^(١)، ولم يعقب ابن حجر العسقلاني على هذا بشيء، مع أن له في (الإصابة) وقد ترجم لعبيد الله تحقيق حول سنّه عند موت رسول الله ﷺ، وذكر عن ابن سعد قوله: رأى النبي ﷺ ولم يحفظ عنه.

أقول: ومهما يكن حاله عند غيرنا، فليس هو الذي يعيننا معرفته، إنما المراد معرفته فيما قاله علماؤنا فيه..

فقد ذكروا عن الشيخ الطوسي أنه ذكره في رجاله في الصحابة، وقال: ((لحق بمعاوية))، ولم يزد على هذا، ولما كان كتاب الكشي الموجود بأيدينا - وقيل: إنه اختيار الشيخ الطوسي - قد ذكر فيه ترجمة عبيد الله افتتحها بما يلي: ((ذكر الفضل بن شاذان في بعض كتبه (؟) قال: إن الحسن العليّ لما قتل أبوه العليّ خرج في شوال (؟) من الكوفة إلى قتال معاوية، فالتقوا بكسكر (؟)، وقاتله ستة أشهر (؟)، وكان الحسن العليّ جعل

(١) إتحاف المهرة ح ٢٤٤٧.

ابن عمّه عبيد الله بن العباس على مقدّمته، فبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم، فمرّ بالراية (؟) ولحق بمعاوية، وبقي العسكر بلا قائد ولا رئيس، فقام قيس بن سعد بن عبادة فخطب الناس، وقال: «أيّها الناس! لا يهولنكم ذهاب عبيد الله لكذا وكذا (؟) فإنّ هذا وأباه لم يأتيا بخير قطّ»، وقام بأمر الناس، ووثب أهل عسكر الحسن بالحسن عليه السلام في شهر ربيع الأوّل فانتهبوا فسطاطه وأخذوا متاعه، وطعنه ابن بشير (؟) الأسد في خاصرته (؟)، فردّوه جريحاً إلى المدائن، حتّى تحسّن فيها عند عمّ المختار بن أبي عبيدة (؟).

وروى محمد بن عيسى العبيدي، عن محمد بن سنان، عن موسى بن بكر الواسطي، عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهمّ العن ابني فلان وأعم أبصارهما كما أعميت قلوبهما الآكلين في رقتي، واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما (؟)).

فهذا كلّ الذي ذكره الكشي..

فأمّا الخبر الأوّل، فساقط بالمرّة، لما فيه من إرسال عن الفضل، وجهالة بعض كتبه، مع كثرة المعلومات الخاطئة فيه، والتي أتبعها بعلامات استفهام، ويكفي ما في أوّل الخبر من ذكر خروج الإمام الحسن عليه السلام في شوال من الكوفة إلى قتال معاوية (؟)، وهذا لم يرد في كتب التاريخ في خروجه في شوال، فبأي شوال أريد توجيهها لا يصحّ، فإنّ الحسن عليه السلام لم يخرج من الكوفة إلى حرب معاوية إلّا بعد عدّة مراسلات جرت بينهما، ولا شكّ في أنّها استغرقت عدّة أشهر لبعده المسافة بين الكوفة والشام وتعدّدت المراسلات، مضافاً إلى ما سبقها من إرسال معاوية الجاسوسين

إلى الكوفة والبصرة، ومن بعد قتلها بدأت الرسائل من الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية، ومن عبد الله بن عباس من البصرة إلى الإمام الحسن عليه السلام بالتهيوء للحرب، وما أدري هل أن الكشي رأى الفضل بن شاذان قد ذكر في بعض كتبه ما حكاه عنه؟! أم أنه رأى ما قاله اليعقوبي في تاريخه بأن الإمام الحسن عليه السلام تجهز لحرب معاوية بعد ثمانية عشر يوماً من وفاة أبيه ^(١)؟! وهذا مرفوض جملة وتفصيلاً لما بيناه من سبق المراسلات.

وعلى هذه الكبوة من الكشي، أو الفضل بن شاذان، أو من غيرهما، فقس ما سواها من كبوات وفجوات أتبعها بعلامات الاستفهام تسقط الاحتجاج بالخبر المذكور بالمرّة.

وأما الخبر الثاني، فقد ورد ذكره في الكشي مرتين، مرّة في آخر ذكر خزيمة بن ثابت، وقبل ذكر عبد الله بن عباس، وهو من غلط النسخة ظاهراً، وأعاده مرّة أخرى في ترجمة عبيد الله بن العباس، وفي المكانين ورد اللعن وذكر العمى، ولما كان الخبر رواه الكشي مسنداً عن رجال منهم محمد بن سنان - المختلف فيه ولم تثبت وثاقته - عن موسى بن بكر الواسطي - وهو على ما قيل: كان واقفياً - وقد روى الكشي نفسه عن الإمام الجواد عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ ^(٢)، قال: نزلت في النصاب والزيدية والواقفة من النصاب ^(٣).

(١) تاريخ اليعقوبي ١٩١/٢.

(٢) سورة الغاشية/٢ - ٣.

(٣) رجال الكشي: ٢٢٩، تح المصطفوي.

ولئن قيل: هذا في عماهما، فلقد قال المسعودي في (مروج الذهب):
إنَّ عبد الله كان سبب ذهاب بصره كثرة بكائه على أمير المؤمنين والحسن
والحسين عليهم السلام.

أمَّا قول الشيخ الطوسي رحمته الله: لحق بمعاوية، فهذا ما ثبت في الموروث
تاريخياً، ولا شكّ عندي في نقله.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه: متى كان ذلك زماناً؟ هل هو قبل
المصالحة؟ أم في زمان المراسلة بين طرفي النزاع؟

ثمّ في ترديد أسماء الرسل، وذكر مقدار ثمن الصفقة الخاسرة،
والاختلاف في روايات هذا الجانب يبعث الريبة في الصحة تمام الصحة.

ثمّ ما سيأتي من خبر المصاهرة بين العباس الأكبر الشهيد ابن الإمام
أمير المؤمنين عليه السلام وبين عبيد الله هذا على ابنته لبابة، ففي هذا الدلالة على
صفاء الجوّ الهاشمي بين آل عليّ وآل العباس، ممّا يستبعد أن يكون للحاق
المذكور قد ألقى بضلاله القاتمة على ما بين البيتين من صفاء ومودة، مع ما
روي في التاريخ من مواقف لعبيد الله هذا موافقة لأهل البيت عليهم السلام أيام
معاوية، ممّا يستبعد التضخيم والتفخيم لذلك الحدّث المهين المشين، بينما
يراها الباحث سحابة صيف عن قليل تقشعت.

ولا أريد تبرئة عبيد الله من ذلك التصرفّ النشار، المخالف للقيم
الدينية والأعراف القبلية والأخلاق العربية، فهو أسقط نفسه في حمأة سوداء
بسوء اختياره ما كان ينبغي له ذلك، وما قيل في أنّ حبّ المال أغراه حتّى
سدّ عليه منافذ بصيرته، فلست ممّن يثق بهذا القول تماماً، لما ورد في

التاريخ من ذكر مواقف له تخالف هذا القيل من جشع وحب المال.

فقد روى ابن قتيبة في (عيون الأخبار): ((عن ابن الكلبي، قال: أخبرني غير واحد من قريش، قالوا: أراد عبد الله وعبيد الله ابنا العباس أن يقتسما ميراثهما من أبيهما بمكة، فدعي القاسم ليقسم، فلما مدّ الحبل قال له عبد الله: أقم المطمر^(١) - يعني الحبل الذي يمد - فقال له عبيد الله: يا أخي الدار دارك، لا يمدّ والله فيها اليوم مطمر. وكان يقال: من أراد العلم والسخاء والجمال، فليأت دار العباس، كان عبد الله أعلم الناس وعبيد الله أسخى الناس، والفضل أجمل الناس...))^(٢).

ومهما اتّهمنا ابن قتيبة في روايته هذه، فلا يسعنا تكذيب جميع ما رواه غيره عن عبيد الله هذا من حكايات دالة على السؤدد والسخاء، ومن شواهد الحال في هذا المجال.

فمن أخبار جوده، ما قاله السيّد ابن معصوم المدني الشيرازي (ت ١١٢٠هـ) في (الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة) بلفظه، وهو ممّن لا يتّهم في المقام: ((وكان عبيد الله بن العباس من أجواد الإسلام المشهورين، فمن جوده أنّه أوّل من فطر جيرانه، وأوّل من وضع الموائد على الطريق.

ومن جوده أنّه أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه، وقال: يا بن

(١) جاء في المعاجم اللغوية كتهذيب اللغة للأزهري، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، في مادة (طمر) المطمر: خيط البناء، ويقال: أقم المطمر يا محدث، قوم الحديث وصحّح ألفاظه ونقّحه، وأصدق فيه، وهذا قول نافع بن أبي نعيم لابن دأب.

(٢) عيون الأخبار ٣٣٤/١، ط دار الكتب المصرية.

عبّاس! إنّ لي عندك يداً وقد احتجت إليها، فصعد إليه بصره فلم يعرفه، فقال له: ما يدك عندنا؟ قال: رأيته واقفاً عند زمزم وغلّامك يملأ من مائها والشمس قد صهرتك فظلللتك بطرف كسائي حتى شربت.

قال: أجل إنّني لأذكر لك ذلك، ثمّ قال لغلّامه: ما عندك؟

قال: مائة دينار وعشرة آلاف درهم.

قال: ادفعها إليه، وما أراها تفي بحقّ يده.

فقال الرجل: والله لو لم يكن لإسماعيل ولد غيرك لكان فيك كفاية، فكيف وقد ولد سيّد الأولين والآخرين ثمّ شفع بك وبأبيك»^(١).

ثمّ قال السيّد: «ومن جوده أيضاً أنّ معاوية حبس عن الحسين بن عليّ عليه السلام صلاته حتى ضاقت حاله، فقيل له: لو وجّهت إلى ابن عمّك عبيد الله بن عبّاس لكفّاك وقد قدم بنحو ألف ألف.

قال الحسين عليه السلام: فما مقدارها عنده، والله، إنّّه لأجود من الريح إذا عصفت، وأسخى من السحاب إذا زخر، ثمّ وجّه إليه رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق ذات حاله، وأنّه يحتاج إلى مائة ألف.

فلما قرأ عبيد الله كتابه، وكان أرق الناس قلباً، وألينهم عطفاً انهملت عيناه، ثمّ قال: ويلك يا معاوية! ما اجترحت يدك من الإثم حين أصبحت لئّن المهادر رفيع العماد، والحسين يشكو ضعف الحال وكثرة العيال، ثمّ قال لقهرمانه: احمل إلى الحسين نصف ما نملكه من فضّة وذهب ودابة وأخبره

(١) الدرجات الرفيعة: ١٤٩، ط الحيدرية سنة ١٣٨٢هـ.

إنني شاطرته، فإن أقنعه ذلك، وإلا فأرجع واحمل إليه الشطر الآخر.

قال: ولما وصل الرسول إلى الحسين عليه السلام، قال: إنا لله، ثقلت والله على ابن عمي، وما حسبت أنه يتسع لنا بهذا كله، فأخذ الشطر من ماله، وهو أول من فعل هذا في الإسلام^(١).

ثم قال السيد: ((ومن جوده أيضاً: أن معاوية أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا النيروز حللاً كثيرة ومسكاً وآنية من ذهب وفضة، ووجهها إليه مع حاجبه، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو يطيل النظر فيها، فقال: في نفسك منها شيء؟

قال: نعم والله، إن في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف.

فضحك عبيد الله، وقال: فشأنك بها فهي لك.

قال: جعلت فداك أنا أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيغضب لذلك.

قال: فاختمها بخاتمك وادفعها إلى الخازن وهو يحملها إليك ليلاً.

فقال الحاجب: والله، إن هذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم، ولوددت أن لا أموت حتى أراك مكانه - يعني معاوية -

فظن عبيد الله أنها مكيدة منه، فقال: دع عنك هذا الكلام، فإننا من قوم نفي بما عقدنا، ولا ننقض ما أكدنا^(٢).

أقول: فأين كان الشعور بما تكلم ليلة لحق بمعاوية قبل تمام الصلح،

(١) الدرجات الرفيعة: ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه.

إن صحّت الأخبار هنا وهناك؟.

وذكر السيّد ابن معصوم في (الدرجات) أيضاً في ترجمة عبيد الله: «وقال له رجل من الأنصار: جعلت فداك، والله لو سبقت حاتماً بيوم ما ذكرته العرب، وأنا أشهد أنّ عفو جودك أكثر من مجهوده، وطلّ صوبك أكثر من وابله»^(١).

وإذا رجعنا إلى ما قاله ورواه ابن الأثير في (أسد الغابة)، فذاك يحملنا على تصديق ما مرّ، فقد قال في ترجمته له: «وكان عظيم الكرم والجود، يضرب به المثل في السخاء، واستعمله عليّ بن أبي طالب على اليمن، وأمّره على الموسم، فحجّ بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين، فلمّا كان سنة ثمان وثلاثين بعثه عليّ على الموسم، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي ليقيم الحجّ، فاجتمعوا فاصطلحا على أن يصلّي بالناس شعبة بن عثمان، وقبل هذا كان مع قثم بن العباس، ولم يزل على اليمن حتّى قتل عليّ (رضي الله عنه)، لكنّه فارق اليمن لمّا سار بسر بن أرطاة إلى اليمن لقتل شيعة عليّ، فلمّا رجع بسر إلى الشام عاد عبيد الله إلى اليمن، وفي هذه الدفعة قتل بسر ولدي عبيد الله، وقد ذكرناه في بسر.

ثمّ قال ابن الأثير: وكان ينحر كلّ يوم جزوراً، فنهاه أخوه عبد الله، فلم ينته، ونحر في كلّ يوم جزورين، وكان هو وأخوه عبد الله (رضي الله عنهما) إذا قدما المدينة أوسعهم عبد الله علماً، وأوسعهم عبيد الله طعاماً.

(١) المصدر نفسه.

أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم - وساق السند إلى أبي الحجاج
 الفزاري - أنَّ عبيد الله بن العباس خرج في سفر له ومعه مولى له، حتَّى إذا
 كان في بعض الطريق رفع لهما بيت أعرابي، قال فقال لمولاه: لو أنا مضيّنا
 فنزلنا بهذا البيت وبتنا به، قال: فمضى، قال: وكان عبيد الله رجلاً جميلاً
 جهيراً، فلمّا رآه الأعرابي أعظمه وقال لامرأته: لقد نزل بنا رجل شريف،
 فأنزله الأعرابي، ثمّ إنّ الأعرابي أتى امرأته فقال: هل من عشاء لضيفنا هذا؟
 فقالت: لا إلّا هذه الشويهة التي حياة ابتك من لبنها، قال: لا بدّ من ذبحها،
 قالت: اتقتل ابتك؟ قال: وإن، ثمّ إنّ أخذ الشاة والشفرة، وجعل يقول:

يا جارتى يا جارتى لا توقظى البنية
 إن توقظيها تتحبب عليّه
 وتنزع الشفرة من يديّه

ثمّ ذبح الشاة، وهياً منها طعاماً، ثمّ أتى به عبيد الله ومولاه فعشاهما،
 وعبيد الله يسمع كلام الأعرابي لامرأته ومحاورتهما، فلمّا أصبح عبيد الله
 قال لمولاه: هل معك شيء؟ قال: نعم خمسمائة دينار فضلت من نفقاتنا،
 قال: ادفعها إلى الأعرابي، قال: سبحان الله أتعطيه خمسمائة دينار! إنّما ذبح لك
 شاة ثمن خمس دراهم؟ قال: ويحك والله لهو أسخى منّا وأجود، إنّما أعطيناه
 بعض ما عندنا، وجاد هو علينا وآثرنا على نفسه وولده، قال: فبلغ ذلك معاوية،
 فقال: لله درّ عبيد الله من أيّ بيضة خرج، ومن أيّ عشّ درج^(١).

(١) أسد الغابة ٣/٣٤٠، ط أفتت المكتبة الإسلامية.

وليس قول معاوية سوى شاهد على صحة ما قيل ويقال، ومهما شككنا في صحة هذه الأخبار فلا يسعنا أن نشكّ في خبر المصاهرة، والذي أطبق النسابون على ذكره، وهذا الذي لم نشكّ فيه، هو ما يعني الوثام الذي كان بين أولاد العباس وأولاد عليّ، وأظهر مظاهره هي المصاهرة بين العباس بن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبين عبيد الله بن العباس هذا الذي قيل عنه ما قرأنا من مدح وذمّ، ولئن صحّت المصاهرة - وقد ثبتت تاريخياً^(١) -

(١) دلالة المصاهرة، ظاهرة طاهرة قاهرة:

قال أبو نصر البخاري (ت ٣٤١هـ) في كتابه (السلسلة العلوية: ٨٩، ط الحيدرية سنة ١٣٨٢هـ) وجرى عليها تصحيح منّي بعد مقابلة على مصوّة نسخة بجامعة طهران في سنة ١٣٨٤هـ: ذكر أبو اليقضان سحيم بن حفص الجعفي النسابة، وعلي بن مجاهد الكابلي، ومحمّد بن عمر الواقدي، وعلي بن محمّد بن سيف المدائني، وهشام بن محمّد الكلبي، والشرقي بن القطامي، والهيثم بن عدي، وأبو القاسم خرداذبة، ومحمّد بن حبيب، والزبير بن بكار الزبيري، وعبد الله بن سليم القيني^(*).

(*) أظنه عبد الله بن مسلم القتيبي، وهو ابن قتيبة المعروف وجرى عليه تصحيف.

ومحمّد بن أبي جرة العدوي، وحمزة بن الحسن الأصفهاني، وأحمد بن يحيى ثعلب، ومحمّد بن جرير الطبري، والشريف أبو الحسين يحيى بن الحسن بن عبيد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الأصغر، وأبو طاهر عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والناصر الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن كلّهم ذكروا: أن العباس بن عليّ ولد عبيد الله بن العباس من لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلّب، ومنه أعقب، وتزوّج عبيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أربع عقائل كرام:

⇨

رقية بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّ علي بنت علي بن الحسين بن علي عليه السلام لم تلد له، وأمّ أبيها بنت عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب، وابنة المسور بن مخرمة الزهري.

ولد لعبيد الله بن العباس بن علي عليه السلام عبد الله والحسن ابنا عبيد الله أمهما بنت عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب، العدد والنسل والشهرة في ولد الحسن بن عبيد الله وهو ابن سبع وستين سنة، وعبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الذي ولّاه المأمون مكة والمدينة واليمن، وكان كبير القدر^(*).

(*) سرّ السلسلة: ٩٠.

قال شيخ الشرف العبدلي في كتابه المجدي ص ٢٣١، ط الأولى من مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي العامة:

وولد العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام عبيد الله، والفضل، أمهما لبابة بنت عبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب، أخوهما لأُمهما: القاسم بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، واختهما لأُمهما، نفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

فولد عبيد الله بن العباس - وكان يوصف بالكمال والمروءة والجمال، ومات وله خمسة وخمسون سنة - أبا جعفر عبد الله وحسنًا.

وقال أبو الحسن البیهقي الشهير بابن فندق (ت ٥٦٥هـ) في لباب الأنساب ص ٣٥٧، نشر مكتبة المرحوم آية الله السيّد المرعشي:

أمّا العباسية العلوية، فمنهم من أولاد عباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام الملقّب بـ(عبّاس السقا)، وأولاد العباس عبيد الله وأمّه لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وتوفي عبيد الله ابن العباس بن علي عليه السلام وهو ابن خمس وخمسين سنة، ومنه العقب، فكلّ من انتمى إلى العباس بن علي عليه السلام من غير عبيد الله بن العباس، فهو كاذب...

⇨

فهي تبعث على الشك في تهمة الخيانة والانحدار الخلقي والتصرف النشاز من عبيد الله ولحوقه بمعاوية قبل صلح الإمام الحسن عليه السلام، إذ أن اختيار العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام مصاهرة عبيد الله الخائن تثير العجب والتساؤل! كيف اختار أن يخطب ابنة إنسان قيل عنه: خذل ابن عمه وصار

⇨

العقب من عبيد الله - أمه لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب - من أولاد عبيد الله بن العباس المعقب: الحسن بن عبيد الله وأبو جعفر عبد الله بن عبيد الله بن العباس، أمه بنت عبيد الله بن معبد بن العباس، إلى غير هذا من وشائج قري نسبية بالمصاهرة، وهي كما قلت: ظاهرة ظاهرة قاهرة^(*).

(*) ذكر الطبري في ذيل المذيل: ٥٢٣: أن أسماء بنت عبد الله بن العباس كانت عند عبد الله ابن عبيد الله بن العباس - ابن عمها - فولدت له حسناً وحسيناً.

أقول: لا شك أن للتسمية دلالة على حب المسمى والمسمى به بعمق المحبة وصدق المودة، وأن لا انفصام في عرى وشائج الأرحام ما لم ينزغ الشيطان. قال ابن أبي الدنيا القرشي في مقتل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المطبوع في ج ٨ من موسوعته ص ٤٠٢:

وكانت زينب الصغرى بنت علي عند محمد بن عقيل بن أبي طالب، فولدت له عبد الله - الذي يُحدّث عنه، وفيه العقب من ولد عقيل - وأيضاً ولدت له عبد الرحمن والقاسم ابني محمد، ثم خلف عليها كثير بن العباس فولدت له كلثم تزوجها جعفر بن تمام بن العباس... وقال أيضاً: وكانت ميمونة بنت علي عند عبد الله الأكبر بن عقيل فولدت له عقيلاً، وأم كلثوم الصغرى واسمها نفيسة... ثم خلف عليها كثير بن العباس بعد زينب الصغرى فولدت له الحسن، ثم خلف عليها تمام بن العباس فولدت له نفيسة تزوجها عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. المصدر نفسه ص ٤٠٣.

إلى عدوه اللدود؟! إنها مفارقة عجيبة غريبة!

ألم يعلم العباس بن علي الصهر الجديد بما قاله النبي ﷺ: (اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضجيعين)، وأنّ العرق دساس؟! وإذا لم يعلم هذا، ألم يعلم بخبر تزويج أبيه عليّ عليه السلام من أمّه أمّ البنين كيف كان باستشارة عمّه عقيل كما في الموروث؟ فهل استشار هو أيضاً من أعمامه وإخوته فدّلّوه على لبابة بنت عبيد الله بن العباس، مع ما قيل في أبيها من ذمّ؟

فإن صحّت المصاهرة، وصحّ الاختيار، سيبقى خبر المفارقة على المحكّ لبحث ظروفه وأسبابه وتداعياته، وهل كان قبل الصلح؟ أو بعده؟ أو في أثناء المفاوضات وتردد الرسل الذين أرسلهم معاوية، وهم: المغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن أمّ الحكم، فهؤلاء - كما في رواية اليعقوبي الآتية - دخلوا على الحسن عليه السلام بالمدائن نازل في مضاربه، ثم خرجوا من عنده وهم يقولون ويُسمعون الناس أنّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكّن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح، فاضطرب العسكر ولم يشكّك الناس في صدقهم.

وكان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن من يتحدّث أنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ووجه إلى عسكر قيس من يتحدّث أنّ الحسن عليه السلام قد صالح معاوية وأجابه، وسيأتي ما في (تاريخ اليعقوبي) من روايته لهذا الحدث الذي أحيط بالشكوك، حتّى يظنّ الباحث أنّ وراء الأكمة ما وراءها من إظهار عجز الإمام الحسن عليه السلام عن إدارة الحكم، فيرسل قواد جيشه من الخونة مع علمه عن بعضهم بأنّه سيخون، كما في

قائده الثاني الذي أرسله في أربعة آلاف، كما أرسل الأول وهو من مراد فخان، وقال عن هذا الثاني بأنه سيخون أيضاً، فإذا كان هذا رأيه فيه فلماذا أرسله؟! فهل هو في قحط من الرجال القادة المخلصين؟ ثم قاصمة الظهر خيانة ابن عمه؟ فلا خبرة يستطيع معها إدارة الحكم فصالح معاوية؟

أليس هذا هو مطلوب الأمويين ورواتهم؟ ألم يقل أمير المؤمنين عليه السلام في خبر مبارزة العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب في صفين يوم دعاه أبو الأغر إلى المبارزة - وقد مرّ الخبر بتفاصيله في الجزء الرابع من الحلقة الأولى^(١) ويأتي أيضاً قريباً - فقال الإمام: والله يودّ معاوية ما بقي من بني هاشم نافخ ضربة إلا طعن في نيطة إطفاء لنور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنهم منّا رجال ورجال يسومونهم سوء الخسف، حتّى يحفروا الآبار ويتكفّفوا الناس^(٢)، فلماذا لا يذكر الإمام الحسن عليه السلام بهذا اللون من التهاوي على حبّ السلامة والإخلاص إلى الدعة، وللتبرير فليذكر أيضاً خيانة ابن عمه له، وكأنّها هي الأوّل والآخر في اضطراب الأمر حتّى اضطر الإمام عليه السلام إلى الصلح والمصالحة، وإذ تم لمعاوية ما أراد من تحطيم قيادة رشيدة، وتهديم صرح مشيد، فلماذا لا يتفرّغ لمن بقي من عناصر القوّة في جيش الحسن عليه السلام، وهو قيس بن سعد ابن عباد، فليكن هو أيضاً كبش فداء مستهدفاً، بخبث سياسي يرفع بضبعه عالياً، ثمّ يسحب البساط من تحت رجله ليهوي تحوط به أوهام وتضحى

(١) انظر: الموسوعة، الجزء الرابع/ جبر الأئمة وولايتهم على البصرة/ ماذا عن ابن عباس في صفين.

(٢) ابن قتبية في عيون الأخبار ١/ ١٧٩ - ١٨٠.

به الوساسوس، وتجعل من توليته على مصر ثم عزله عنها، ما يشير علامة استفهام حول إخلاصه ممّا لم يسلم من شماتة أعدائه، ومودّة أوليائه، فليكن هو الضحية الثالثة في تاريخ تلك الفترة المظلمة التي أسموها عام الجماعة، وما هو إلاّ عام فرقة كما سمّاه الجاحظ في كتابه^(١).

وتعقياً على ما مرّ من قصّة لحوق عبيد الله بن عباس بمعاوية، والتي أضحت من ثوابت التراث، فليس من السهل إنكارها، كما أنّها كذلك ليس من السهل تصديقها بكلّ مفرداتها، ولا شكّ بينها ما هو حقيق بالتصديق، ولا يخلو بعض منها ما عراه التزييق بالتلفيق.

وإن صدق الرواة في التحبير، ولكن من حقّ أهل التفكير بصورة موضوعية ومنهجية وعميقة باتزان، ولهم حقّ التعبير بالسؤال التالي: حول وشائج القربى بين آل عليّ وآل العباس، والمتحقّقة بالمصاهرة مع هذا الإنسان الخائن صاحب القصّة التي نحن في فلکها ندور، وفي المروي من خطبة قيس بن سعد بن عبادة، وقد تناول عبيد الله وأباه وأخاه بكلّ نقد جارح، فهل أنّ الراوي لها كان على إيمان بصدقها مع ما توحى به من سوء التقدير وفشل التدبير في قيادة الإمام الحسن عليه السلام؟ وهذا إيمان فطير وخطير، ويبعث على الشكّ في احتمال الحبك بتوجيه من الإعلام المعاكس، المستعمل عادة في الحروب، لإسقاط الطرف الآخر قيادة وقادة في حمأة السقوط والانهيار، فيكون الإمام الحسن عليه السلام وهو القائد الأعلى هو صاحب

(١) انظر: رسائل الجاحظ: ٢٩٢٩ - ٢٩٧ الرسالة (١١) جمع السندوبي.

الجفنة والخوان نكاح النساء^(١)، وله من خيرة القادة عنده عبيد الله بن العباس ابن عمه الذي أغراه معاوية بالمال فلهحق به وترك ابن عمه، فأثار حفيظة القائد البديل قيس بن سعد فخطب خطبة ساعرة وشاعرة بسقوط الخائن وأبيه وأخيه إلى منحدر من الأخلاق لا تقوم لهم من بعده قائمة.

قال الدكتور زكي مبارك رحمه الله: «أما دسائس الأمويين ضد الحسن فقد ظفرت ببعض النجاح، ألم يستطيعوا أن يشيعوا في المشرق والمغرب أن الحسن لم يكن صالحاً للملك، وأنه كان رجلاً يحب النساء؟

ومن العجب أن بني أمية حاربوا الحسن بلباقة سياسية منقطعة النظير، فقد كانوا يودون اتهامه بضعف الأخلاق، وحب الإثم والفسوق، فلما عزّ عليهم ذلك قالوا: إنه لم يكن يتمتع بالنساء إلا عن طريق الحلال، فكان يتزوج المرأة ليلهو بها يوماً أو بعض يوم، ثم يطلقها لبحث عن امرأة أفتن وجهاً وأنضر شباباً.

ومن العجب أيضاً أن الهاشميين لم يقاوموا هذه الدسياسة، وأعجب من ذلك أن يعدّوها من مفاخر ذلك السيد المزواج...

وقال: وقليل من التنبيه كافٍ لتعريفنا بخطر هذه الدسياسة في عالم السياسة، فإن الرجل الذي يشغل نفسه بسياسة المرأة يعسر عليه أن يتفرغ لسياسة الدولة، وهذا المغمز لا يزال معروفاً في ميادين النضال السياسي، ولو شئنا لضربنا لذلك الأمثال^(٢)، نجح الأمويون في تشويه سمعة الحسن من

(١) رجال الكشي في ترجمة سلمان المحمدي - الفارسي - من جملة خطبة له؟

(٢) صنع الأمويون مع علي بن أبي طالب أشنع مما صنعوا مع ابنه الحسن، فقد اتهموه بالبطنة

الوجهة السياسية، ولكنهم لم ينجحوا في تشويه سمعة الحسين...^(١).

أليس يصح ما قاله الأستاذ زكي مبارك في هذا المقام؟

سؤال صريح، ولكن الأجوبة ستبقى متلثمة وقد تناولت وقائع التاريخ يومئذ..

كنحو ما رواه الطبري في (ذيل المذيل)، فقال: «وكان عبيد الله بن العباس سيّداً شجاعاً سخياً، كان ينحر كل يوم جزوراً، وكان على مقدّمة الحسن بن عليّ عليه السلام إلى معاوية...»^(٢)، ولم يذكر شيئاً عن لحوقه بمعاوية، وما ذكره من المناقبيات لا تخلو من علامة استفهام!

إلاّ أنّه في تاريخه، قد قال في ذكربيعة الحسن بن علي: «وفي هذه السنة - أعني سنة أربعين - بويح الحسن بن عليّ عليه السلام بالخلافة، وقيل: إنّ أوّل من بايعه قيس بن سعد، قال له: أبسط يدك أبايعك على كتاب الله عزّ وجلّ وسُنّة نبيّه وقاتل المحلّين.

فقال له الحسن (رضي الله عنه): على كتاب الله وسُنّة نبيّه، فإنّ ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت (؟) وبايعه الناس.

فماذا يعني السكوت غير أنّه على مضض؟

⇨

وضعف الرأي، وأكثروا من وصف معاوية بالسياسة والدهاء، ومضى الناس على هذه الآراء. هامش ص ٥٩ المدائح النبوية.

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي للدكتور زكي مبارك: ٥٨ - ٥٩، ط القاهرة.

(٢) ذيل المذيل: ٥٣٦.

ثم قال: وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا سليمان، قال: حدثنا عبد الله، عن يونس، عن الزهري، قال: جعل عليّ عليه السلام قيس بن سعد على مقدمته من أهل العراق إلى قبل أذربيجان وعلى أرضها، وشرطة الخميس الذي ابتدعه من العرب، وكانوا أربعين ألفاً بايعوا علياً عليه السلام على الموت، ولم يزل قيس يدارئ ذلك البعث حتى قتل عليّ عليه السلام، واستخلف أهل العراق الحسن بن عليّ عليه السلام على الخلافة، وكان الحسن لا يرى القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ثم يدخل في الجماعة (؟) وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه، فزعه وأمر عبيد الله بن عباس، فلما علم عبد الله (كذا والصواب عبيد الله) بن عباس بالذي يريد الحسن بن عليّ عليه السلام أن يأخذه لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه على الأموال التي قد أصاب، فشرط ذلك له معاوية، بعث إليه معاوية ابن عامر في خيل عظيمة، فخرج إليهم عبيد الله ليلاً حتى لحق بهم، ونزل، وترك جنده الذي هو عليه لا أمير لهم، فيهم قيس بن سعد، واشترط الحسن عليه السلام لنفسه، ثم بايع معاوية، وأمرت شرطة الخميس قيس بن سعد على أنفسهم، وتعاهدوا هو وهم على قتال معاوية، حتى يشترط لشيعة عليّ عليه السلام ولمن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم وما أصابوا في الفتنة، فخلص معاوية حين فرغ من عبيد الله بن عباس والحسن عليه السلام إلى مكايمة رجل هو أهم الناس عنده مكايمة ومعه أربعون ألفاً، وقد نزل بهم معاوية وعمره وأهل الشام وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله ويقول: على طاعة من تقاتل؟ وقد بايعني الذي أعطيته

طاعتك، فأبى قيس أن يلين له، حتّى أرسل معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله، فقال: اكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك - قال عمرو لمعاوية: لا تعطه هذا وقاتله، فقال معاوية: على رسلك، فإنّه لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتّى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك، وإنّي والله لا أقاتله أبداً، حتّى لا أجد من قتاله بدءاً - فلمّا بعث إليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس له ولشيعة عليّ الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالا، فأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس ومن معه في طاعته»^(١).

أقول: فهذا الذي ذكره الطبري فقد رواه بسنده عن الزهري، وحال الزهري في النُصب حال أسياده، ولزيادة معرفة حاله فليرجع القارئ إلى أوّل أجزاء هذه الموسوعة^(٢) سيجد ذكر أكثر من عشرة موارد فيها دلائل نُصب الزهري؛ فراجع!

وفي كتابي (عليّ إمام البررة) أوفى من ذلك؛ فراجع^(٣)، ولا يفوتني التنبيه على أنّ هذا الزهري مع نُصبه فلم يذكر لقيس بن سعد بن عبادة خطبة تعرّض فيها لمفارقة عبيد الله بن العباس لا من قريب ولا من بعيد. ومن راجع (تاريخ اليعقوبي) لا يجد أيضاً ذكراً لخطبة قيس بن سعد،

(١) تاريخ الطبري ١٥٨/٥، ط محقّقة.

(٢) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء الأوّل / مقدّمة المؤلّف.

(٣) عليّ إمام البررة ٢: ٣١٧.

على أنّ يعقوبي المتوفى سنة (٢٩٢هـ) قد ذكر في خلافة الحسن عليه السلام، فقال: «أقام بعد أبيه شهرين، وقيل: أربعة أشهر، ووجه عبيد الله بن العباس في اثني عشر ألف لقتال معاوية، ومعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وأمر عبيد الله أن يعمل بأمر قيس بن سعد ورأيه، فسار إلى ناحية الجزيرة، وأقبل معاوية، لما انتهى إليه الخبر بقتل علي عليه السلام، فسار إلى الموصل بعد قتل علي عليه السلام بثمانية عشر يوماً (?) والتقى العسكران، فوجه معاوية إلى قيس بن سعد يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه، فأرسل إليه بالمال، فقال: تخذعني عن ديني! (فيقال) أنه أرسل إلى عبيد الله بن عباس وجعل له ألف ألف درهم، فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه، وأقام قيس على محاربتة، وكان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن من يتحدث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار إليه، ووجه إلى عسكر قيس من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية وأجابه، ووجه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن أمّ الحكم وأتوه وهو بالمدائن نازل في مضاربه، ثم خرجوا من عنده وهم يقولون ويستمعون الناس: إنّ الله قد حقن بآبن رسول الله الدماء وسكن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح، فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس في صدقهم، فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن عليه السلام فرساً له ومضى في مظلم سباط، وقد كمن الجراح بن سنان الأسدي فجرحه بمغول في فخذه، وقبض على لحية الجراح ثم لواها فدقّ عنقه، وحمل الحسن عليه السلام إلى المدائن، وقد نزع نزعاً شديداً، واشتدّت به العلة، فتفرّق

عنه الناس، وقدم معاوية العراق فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلة، فلمّا رأى الحسن أن لا قوّة به وأنّ أصحابه قد تفرّقوا عنه فلم يقوموا له صالح معاوية، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيّها الناس! إنّ الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاوية، ﴿وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾^(١) (٢).

هذا موروث التاريخ في ماضيه أيام خلافة الإمام الحسن عليه السلام، قرأناه بإمعان، فكانت مفردات الأحداث تشير بأصابع الخبث إلى اختلال في قيادة الإمام الحسن عليه السلام وضعف تدبير، حين يرسل قائداً من مراد في أربعة آلاف فيخون ويذهب إلى معاوية، فيدعو الإمام الحسن عليه السلام آخر من كندة فيرسله في أربعة آلاف، ويقول عليه السلام عن هذا بأنّه سيخون أيضاً، وكان الأمر كما أخبر عليه السلام، ثمّ في عزل قيس بن سعد - الذي كان أبوه أمير المؤمنين عليه السلام قد ولّاه من قبل على خيرة جنده وهم شرطة الخميس - وتولّيته ابن عمّه عبيد الله الذي لم يسبق له حضور حرب يذكر فيه من قبل، ثمّ هو الذي فرّ من اليمن حين بلغه مجيء بسر بن أبي أرطاة وحملته المدمّرة في المدينة ومكة في طريقه إلى اليمن، وترك ابنه فقتلها بسر، فهل مثل هذا الرعديد يكون أهلاً لأن يؤلّى جيشاً ضمّ صناديد الرجال؟ إنّ هذا يعدّ من التخبّط القيادي في عُرف الساسة، واستهانة بقدرات الرجال الأكفاء أمثال قيس بن سعد بن عبادة الذي باشر الحرب منذ عهد النبي صلّى الله عليه وآله وخبر مطالعها ومطامعها، إنّ

(١) سورة الأنبياء/١١١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٣١٧/٢، ط الأولى بمطبعة الغري سنة ١٣٥٨ هـ.

أخبار هذا الحدّث فيه غمغة تاريخ، وهممة تضييع لمواقف مناقبية، وتشويه لقيادة حسنة فذة في معالجة الأمور، وقد أحيط به من عناصر لم ترع الله فيه حرمة، ومن ورائهم مكائد معاوية، وزاد الأمر سوءاً ما جاء في كتب المثالب التي افتتحها زياد بن أبيه الذي قالوا فيه: أنه أول من ألف كتاباً في المثالب.

فقد ذكر في (سمط اللثالي في شرح أمالي أبي علي القالي)، فقال: ((...وكتاب المثالب أصله لزياد بن أبيه، فإنه لما ادّعى أبا سفيان أبا علي أن العرب لا تقرّ له بذلك مع علمها بنسبه، فعمل كتاب المثالب وألصق بالعرب كل عيب وعار وباطل وأفك وبُهِت، ثم ثنى على ذلك الهيثم بن عدي، وكان دعياً فأراد أن يعرّر أهل الشرف تشفياً منهم، ثم جدّد ذلك أبو عبيدة وزاد فيه، لأن أصله كان يهودياً أسلم جدّه على يدي بعض آل أبي بكر فانتفى إلى ولاء تيم، ثم نشأ علان الشعوبي الوراق، وكان زنديقاً ثنويّاً لا يشكّ فيه، فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً خارجاً عن الإسلام، بدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحتهم وأمّهاتهم، ثم بطون قريش ثم سائر العرب، ونسب إليهم كل كذب وزور، ووضع عليهم كل إفك وبهتان، ووصله طاهر عليه بثلاثين ألفاً.

وأما كتاب (المثالب والمناقب) الذي بأيدي الناس اليوم، وهو كتاب الواحدة المعلوم فإنما هو للنضر بن شميل الحميري وخالد بن سلمة المخزومي، وكانا أنسب أهل زمانهما، أمرهما هشام بن عبد الملك أن يبيّنا مثالب العرب ومناقبها، وقال لهما ولمن ضمّ إليهما، فدعوا قريشاً بمآلها

وعليها، فليس لقرشي في ذلك الكتاب ذكر^(١).

لا شك في أنّ معاوية ومن عنده من بني أمية قاموا بترويج أكاذيب على نطاق واسع، تغطية لجرائمهم في استبعاد أهل البيت عليهم السلام عن ممارسة الحكم، فكانت ذمم الرواة تشرى لتزوير الحقائق، فكانت النتائج كما قال الإمام الباقر عليه السلام: (...ووجد الكاذبون والجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله ولم نفعله ليغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام...) ^(٢).

قال إبراهيم المهاجر البجلي:

عجباً زاد على كل العجب	أيها الناس اسمعوا أخبركم
فتحوا للناس أبواب الكذب	عجباً من عبد شمس إنهم
دون عباس بن عبد المطلب	ورثوا أحمد فيما زعموا
يحرز الميراث إلا من قرب ^(٣)	كذبوا والله ما نعلمه

قال المسعودي: وذكر بعض الأخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام

(١) سمط اللثالي: ٨٠٧، مطبعة لجنة التأليف والنشر بمصر سنة ١٣٥٤هـ

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤٣/١١.

(٣) مروج الذهب ٤٢/٣.

على المنبر؟ قال: أراه لصاً من لصوص الفتن^(١).

وقال: فانظر إلى إجماع ملتهم، إن رسول الله ﷺ أقام يدعو الخلق إلى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحي، ويمليه على أصحابه فيكتبونه ويدونوه، ويلتقطونه لفظة لفظة، وكان معاوية في هذه المدّة بحيث علم الله، ثمّ كتب له ﷺ قبل وفاته بشهور، فأشادوا بذكره، ورفعوا من منزلته، بأن جعلوه كاتباً للوحي، وعظّموه بهذه الكلمة، وأضافوه إليها وسلبوها عن غيره، وأسقطوا ذكر سواه^(٢).

فهل بعد هذا ما يمنع من القول بغثاثة الموروث، وأنّ اليد الأموية الأثيمة لها ضلع في تسجيل الجريمة؟

وبهذا حسبنا في تعريف عبید الله بن العباس الذي لم يسلم من قدح وإن مرّ ممّا له فيه مدح.

الثاني - من أبناء العباس الذين لم يسلم من جرح هو : عبد الرحمن.
وقيل: إنّما هو الحارث.

قال البلاذري في أنسابه: ((هو ابن الهذلية، وقال بعضهم: أمّه أمّ ولد، وكان يلقّب أبا عضل، وكان أبوه العباس بن عبد المطلب وجد عليه وطرده، فأتى الشام ثمّ صار إلى الزبير بمصر، وهو في بعض مغازيه، فلمّا قدم الزبير قدم به معه وأتى به العباس، فلمّا رآه قال: يا زبير! جئتني بأبي

(١) مروج الذهب ٤٣/٣.

(٢) مروج الذهب ٤٤/٣.

عضل، لا وصلتك رحم نَحَّه عَنِّي، فمات العباس وعمي الحارث بعده، فقال حين عمي: كلا زعمتم أنه ليس أبي وأنني لست ابنه، وقد عميتُ كما عمي^(١).

وهذا من سخف عقله إن صحَّ هذا من قوله.

وبهذا أختتم الكلام في ذوي عبد الله بن عباس من آله الأقربين.. فإلى قراءة ماذا عن آله الأبعدين..

(١) أنساب الأشراف ٦٨/٤.

النقطة العاشرة

ابن عباس في عشيرته التي تؤيه

أخرج الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل) بسنده عن ابن عباس، في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١)، قال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: بنو عبد شمس، وأما ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: بنو هاشم وبنو عبد المطلب^(٢).

وهؤلاء المعنيون في العنوان ستة عشر إنساناً كلهم له شأن يذكر وشيخهم وأكبرهم سنّاً هو عقيل بن أبي طالب، وقد ذكرته المصادر الأولية وحسبنا الإحالة فعلاً على (الدرجات الرفيعة) لابن معصوم المدني^(٣).

ودونه شأنًا وسنّاً ابن أخيه عبد الله بن جعفر، الذائع الصيت بالجلود والكرم كنار على علم، وستأتي بعض أخباره في البحث الثاني حول مواقف الهاشميين من نهضة الحسين عليه السلام.

وأما الباقيون من بني هاشم فكلهم أسياد أمجاد أنجاد، غير أن بعضهم أظهر من بعض ذكراً، إمّا لموقف في حرب اشتهر به كالعباس بن ربيعة، أو

(١) سورة الجاثية/٢١.

(٢) شواهد التنزيل ٢٣٨/٢ برقم ٨٧٤.

(٣) الدرجات الرفيعة: ١٥٤ - ١٦٥.

لشعر لم يساجله فيه أحد كالفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، فأذكرهما نقلاً عن (الدرجات الرفيعة) مع إضافة تخريج أو زيادة مصدر.

١- العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب

قال ابن معصوم في (الدرجات): ((كان من شجعان قريش وأبطالها، ذا قدرة وجاه، أقطعه عثمان داراً بالبصرة وأعطاه مائة ألف درهم، وشهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وأبلى بها بلاء حسناً^(١))).

روى ابن قتيبة في كتاب (عيون الأخبار)، قال: ((قال أبو الأغر التميمي: بينا أنا واقف بصفين إذ مرّ بي العباس بن ربيعة مكفراً في السلاح، وعينه تبصان من تحت المغفر، كأنهما عينا أرقم، ويده صفيحة يمانية، وهو على فرس له صعب، فبينا هو يمغثه ويلين من عريكته، إذ هتف به هاتف من أهل الشام يعرف بعرار بن أدهم: يا عباس! هلم إلى البراز. قال العباس: فالنزول إذاً، فإنه أياس من القفول.

فنزل الشامي وهو يقول:

إنّ تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلونا فإننا معشر نزل

وثنى العباس رجله وهو يقول:

ويصد عنك مخيلة الرجل العريض موضحة عن العظم
بحسام سيفك أو لسانك والكلم الأصيل كأرغب الكلم

(١) الدرجات الرفيعة: ١٨٩.

ثمَّ عَصَبَ فضلات درعه في حجزته، ودفع فرسه إلى غلام أسود يقال له أسلم، كأنني والله أنظر إلى فلافل شعره، ثم دلف كل واحد منهما إلى صاحبه، فذكرت قول أبي ذؤيب:

فتنازلا وتوافقت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مخدع

وكفّت الناس أعنة خيولهم ينظرون ما يكون من الرجلين، فتكافحا بسيفيهما مليًا من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لامته، إلى أن لحظ العباس وهنا في درع الشامي، فأهوى إليه بيده فهتكه إلى ثنדותه، ثم عاد لمجاولته، وقد أصحر له مفتق الدرع، فضربه العباس ضربة أنتظم بها جوانح صدره، فخرّ الشامي لوجهه، وكبر الناس تكبيرة ارتجت بها الأرض من تحتهم، وسما العباس في الناس، فإذا قائل يقول من ورائي: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيَزِيدُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، فالتفت فإذا أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال: يا أبا الأغر! من المنازل لعدونا؟

قلت: هذا ابن أخيكم، هذا العباس بن ربيعة.

فقال: وأنه لهو؟ يا عباس! ألم أنهك وابن عباس أن تخلّا بمراكز كما وأن تباشرا حرباً؟!

قال: إنّ ذلك كان.

(١) سورة التوبة/ ١٤ - ١٥.

قال العَلِيَّةُ: فما عدا ممّا بدا؟

قال: يا أمير المؤمنين! أفأدعى إلى البراز فلا أجيب؟

قال: نعم طاعة إمامك أولى من إجابة عدوك، ثمّ تغيّظ واستطار حتّى قلت الساعة الساعة، ثمّ سكن وتطامن ورفع يديه مبتهلاً، فقال: اللّهم اشكر للعبّاس مقامه وأغفر له ذنبه، اللّهم إنّني قد غفرت له فاغفر له.

وأسف معاوية على عرار، وقال: متى ينطف فحل بمثله، أيطل دمه لاها الله إذاً، ألا رجل يشري نفسه لله، يطلب بدم عرار؟ فانتدب له رجلان من لخم.

فقال لهما: اذهبا فأيكما قتل العبّاس برازاً فله كذا، فأتياه ودعوه للبراز.

فقال: إنّ لي سيّداً أريد أن أوامره، فأتي عليّاً فأخبره الخبر.

فقال عليّ العَلِيَّةُ: والله لو ددّ معاوية أنّه ما بقي من بني هاشم نافخ ضربة إلّا طعن في نيّطه، إطفاءً لنور الله، ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره المشركون، أمّا والله ليملكنهم منّا رجال ورجال يسومونهم الخسف حتّى يحتفروا الآبار، ويتكفّفوا الناس، ويتواكلوا على المساحي.

ثمّ قال: يا عبّاس! ناقلني سلاحك بسلاحي، فناقله ووثب العَلِيَّةُ على فرس العبّاس وقصد اللّخميين، فما شكّا أنّه هو.

فقالا له: أذن لك صاحبك؟

فتحرّج أن يقول نعم، فقال العَلِيَّةُ: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنْ

اللَّهُ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ»^(١).

فبرز له أحدهما فكأنه اختطفه، ثم برز إليه الآخر فألحقه بالآخر، ثم أقبل وهو يقول: «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»^(٢).

ثم قال: يا عباس! خذ سلاحك وهات سلاحي، فإن عاد إليك أحد فعد إليّ. قال: فبلغ الخبر إلى معاوية، فقال: قبح الله اللجاج إنه لقعود ما ركبه أحد قط إلا خذله.

فقال عمرو بن العاص: المخذول والله اللخميان لا أنت.

فقال: أسكت أيها الرجل فليست هذه من ساعاتك.

قال: وإن لم يكن فرحم الله اللخمين وما أراه يفعل.

قال: فإن ذلك والله أخسر لصفقتك لحجرك.

قال: قد علمت ولولا مصر لركبت المنجاة منها.

قال: هي أعمتك ولولاها ألفت بصيراً.

قال ابن قتيبة وكان تحت العباس أمّ فراس بنت حقان بن ثابت فولدت له أولاداً وعقبه كثير»^(٣).

(١) سورة الحج/٣٩.

(٢) سورة البقرة/١٩٤.

(٣) عيون الأخبار ١/١٧٩.

٢- الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف

قال ابن معصوم: الفضل هذا أحد شعراء بني هاشم المذكورين،
وفصحائهم المشهورين، هاشمي الأبوين، أمّه أُمينة بنت العباس بن عبد
المطلب عمّ النبي ﷺ، وكان شديد الأدمة، وفي ذلك يقول:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب

فسمعه الفرزدق وهو يمتح بدلو من زمزم ويقول:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكُرب
ورسول الله جدّي جدّه وعلينا كان تنزيل الكتب

فقال: من يساجلك فرجلي من كذا أمّه.

قال: أتعرفني لا أمّ لك؟

قال: كيف لا أعرفك وقد نزل في أبويك سورة من كتاب الله، فقال عزّ

من قائل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١).

قال: فضحك وقال: أنت الفرزدق؟

قلت: نعم.

(١) سورة المسد/١.

قال: قد علمت أن أحداً لا يحسن هذا غيرك.

قال أبو الفرج المعافي بعد نقل هذه الحكاية: وقد ألطف الفرزدق فيما خاطب به الفضل، لأنه لما لم يمكنه مساجلته وقد فخر بنفسه من هاشم وقرباه من رسول الله ﷺ، أتى يمضه ويفلّ من غربه^(١)...

وحكى أيضاً عن عيسى بن علي والي البصرة قوله: قد جمع هذا الكلام - في فضل بني هاشم - اللهي في بيت قاله ثم أنشد قوله:
ما مات قوم يدعون يداً إلا لقومي عليهم منة ويذا

فمن صلى صلاتنا وذبح ذبيحتنا عرف أن رسول الله ﷺ يداً بما هداه الله تعالى إلى الإسلام به، ونحن قومه، فتلك منة لنا على الناس.

وحكى وفوده على عبد الله بن العباس بمكة حاجاً، فأتاه إلى منزله مسلماً عليه - وكان هذا خاله - فقال له: كيف أنت وكيف حالك، قال: بخير نحن في عافية، قال: فهل لك من حاجة؟ قال: لا والله وإنني لأشتهي هذا

(١) لقد ذكر خبر المساجلة وقول الفرزدق في كثير من المصادر الأدبية منها:

١- ربيع الأبرار للزمخشري ٤١٨/٣.

٢- الأغاني ١٧٥/١٦، ط دار الكتب.

٣- التذكرة الحمدونية ٤٤٣/٣.

٤- شرح نهج البلاغة ٥٥/٥.

٥- كامل المبرد: ٢٥٠.

٦- شرح المقامات للشرشي ١١٠/٣.

٧- معجم الشعراء للمرزباني: ٣٠٩.

العنب، وقد أغلاه علينا هؤلاء العلوج، فغمز غلاماً له، فذهب فأتاه بسلة عظيمة من عنب، فجعل يغسل عنقوداً عنقوداً ويناوله، فكلما فعل ذلك، قال له: برّتك رحم.

وحكى أيضاً: إنّ سليمان بن عبد الملك حجّ في خلافة الوليد فجاء إلى زمزم فجلس عندها، ودخل الفضل بن العباس اللهبي يستقى، فجعل يرتجز ويقول:

يا أيّها السائل عن عليّ سألت عن بدر لنا بدريّ
مقدّم في الخير أبطحيّ ولينّ الشيمة هاشميّ
زمزنا بوركّت من ركيّ بوركّت للساقي وللمسقيّ

فغضب سليمان وهمّ بالفضل، فكفّه عنه علي بن عبد الله - بن عباس - ثمّ أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إيّاه، فسأله أن يشربه، فأخذه من يده كالمتعجّب، ثمّ قال: نعم، إنّهُ يستحب ووضعه في يده فلم يشربه، فلما ولى الخلافة وحجّ لقيه الفضل فلم يعطه شيئاً.

وذكر السيّد ابن معصوم عدّة قضايا، منها محاوراة الفرزدق الطويلة في المساجلة التي سأل عنها عبد الملك من الفرزدق فحدثه بها، حرّية بالمراجعة.

وذكر له نوادر وأشعار، ومن شعره ما يرثي به الحسين عليه السلام ومن استشهد معه من الطالبين عليهم صلوات الله أجمعين، وسيأتي ذكرها وذكر أبيات من مرثيته.

وله في الحماسة خمسة أبيات دلت على شمم وإباء، وشجاعة عزّ نظيرها، حيث قال:

مهلأ بني عمّنا مهلاً موالينا	لا تنبشوا ما كان مدفونا
لا تطمعوا أن تهينونا فنكرمكم	وأن نكفّ الأذى عنكم وتؤذونا
مهلأ بني عمّنا من تحت أثلتنا	سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا
الله يعلم أنّنا لا نحبّكم	ولا نلومكم إن لا تحبّونا
كلّ له نعمة في بغض صاحبه	بنعمة الله نقلبيكم وتقلونا

وحكى عن صاحب (الإصابة) - ابن حجر - : أنه نسبت إليه هذه الأبيات (التالية):

ما كنت أحسب أن الأمر منصرفاً	عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أول من صلّى لقبلكم	وأعرف الناس بالقرآن والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبّيّ ومن	جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم من كلّ صالحة	وليس في كلّهم ما فيه من حسن
ماذا الذي ردّكم عنه فنعرفه	ها إنّ بيعتكم من أول الفتن

وقد ذكر السيّد ابن معصوم في (الدرجات الرفيعة) الاختلاف في نسبة قائل الأبيات، فقال بعد ما تقدّم: وعن مؤيّد الدين الخوارزمي في المناقب، قال: هذه الأبيات للعبّاس بن عبد المطلب عمّ النبيّ ﷺ، وعزاها الشريف المرتضى في كتاب (المجالس) لربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، وعزاها القاضي البيضاوي والنيسابوري في تفسيريهما لحسان بن ثابت.

وقال الزبير بن بكار: لمّا بويغ أبو بكر، قال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرفاً عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
...الأبيات.

قال: فبعث عليه عليّ فنهاه وأمره أن لا يعود، وقال السّيد: سلامة الدين أحبّ إلينا من غيره^(١).

ثمّ ذكر عن القاضي نور الله ردّه على ابن حجر، فذكر عنه من الكلام والنقض والإبرام ما لا حاجة له في المقام.

وسأتي قريباً ذكر من حظي من بني هاشم بالشهادة مع الحسين السّيد
وجُهل قدره وخمل ذكره، ومن رامها فعاقه المرض وردّه الحسين السّيد من الطريق..

(١) الدرجات الرفيعة: ١٩٣.

فإلى بقيّة نقاط هذا المبحث التي تخصّ مواقف بني هاشم من النهضة الحسينية، التي أسيء تصويرها من قبل رواة السوء، فأسيء فهمها من قبل الرعاع من الأتباع، فعمّيت أخبارها..

فهل كان بنو هاشم من أنصارها؟

أم هم تحيّدوا جميعاً عنها، فتناولتهم سهام التجريح بكلّ قبيح؟

أم كان منهم معها أو عليها؟

فماذا هو الصحيح؟!

والجواب على هذه الأسئلة في النقاط التالية:

النقطة الحادية عشرة: النهضة الحسينية في منظور بني هاشم.

النقطة الثانية عشرة: أسماء المشاركين بالفعل أو بالقوّة.

النقطة الثالثة عشرة: سهام التجريح صائبة أم خاطئة.

النقطة الرابعة عشرة: خلاصة المبحث، ابن عباس في آلّه وذويه من

بني هاشم.

النقطة الحادية عشرة

مواقف بني هاشم من النهضة الحسينية

قال الله سبحانه وتعالى يعير أقواماً تخلفوا عن امتثال أمره، فقال: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَا تَبْعُنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١).

فهذا الوحي المبين يشتد بالتفريع على من تخلف عن امتثال أمر الله بالجهاد- كما أنه يشيد بالسعادة التي يحظى بها الشهداء في سبيله، وهي الحياة الأبدية التي يجهلها من لم يذق طعمها ويتلذذ بحلاوتها، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٢).

هكذا كانت النهضة الحسينية محك اختبار صعب، وامتحان عسير لجميع الذين عاصروها من المسلمين، وأشدّهم ابتلاء الذين عايشوها زماناً ومكاناً، وأخصّهم عناء الذين جمعتهم وصاحب النهضة أوامر القرابة، وكلّما تكثر الأسباب وقربت الأنساب، كانت المحنة أشدّ.

(١) سورة آل عمران/ ١٦٧ - ١٦٩.

(٢) سورة البقرة/ ١٥٤.

فهي - النهضة - ألقت بظلالها على المواقف المختلفة من مناصرة ومؤيدة ومتخلفة ومتحيدة، وخلقت جدلاً تاريخياً واسعاً، دخلت فيه عواطف وعواصف، وأضحت جزءاً من الموروث المقدس الذين تعيشه الأذهان المعنوية بالنهضة بين تأييد وتفنيد.

ولا يزال إلى اليوم يعاني الشيعة من أخصامهم الأمرين في تفسير وجهات النظر المتفاوتة في النهضة وآثارها حدوثاً وبقاءً ونقضاً وإبراماً، ويثار التساؤل كثيراً عن مواقف الهاشميين من أقرباء الحسين عليه السلام الذين لم يخرجوا معه وتخلّفوا عنه، مع أنّهم من إخوانه كمحمد بن الحنفية، وعمر الأطراف، وعبيد الله أبناء أمير المؤمنين عليه السلام، بل وحتى الذين هم من أبناء أعمامه كابن جعفر، وابن عباس، وأمثالهم من بني هاشم، فكل هؤلاء أثاروا علامات استفهام كبيرة حول قناعاتهم المتفاوتة بصحة النهضة..

فهل هم لم يروا شرعيتها فلم يشاركوا لذلك؟ أو أنّهم رأوا شرعيتها لكنهم تخلّفوا عنها لعذر؟

ثم هل كانت أَعذارهم مقبولة لدى المسلمين؟ فإن كانت مقبولة، فلماذا حكي عنهم التعنيف لمن تخلّف؟

وهذا ما استدعى المرور بتاريخ تلك الأزمة وعرض ما قيل فيها عن أولئك الرجال ممّا أثار الجدل فيهم وعليهم.

النقطة الثانية عشرة

في أسماء المشاركين بالفعل أو بالقوة

فأقول: إنّ الذين خرجوا مع الحسين عليه السلام إلى أن استشهدوا في كربلاء

معه.

فمن إخوانه: العباس وإخوته الثلاثة أشقّاءه، ومعهم من إخوانهم لأبيهم أبو بكر عتيق وأمه النهشلية، وأخوه لأُمّه وأبيه عبد الله الأصغر، وثمة قول بمشاركة عمر الأصغر وأمه الصهباء، وسيأتي الحديث عنه.

وخرج معه من أبناء أخيه الحسن عليه السلام: الحسن المثنى، وعبد الله، وكلاهما كانا صهرين للحسين عليه السلام، وزوجتهما فاطمة وسكينة، ومعهم القاسم وأمه رملة، وقيل: معهم عمر بن الحسن، كما في مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، وذكره الطبري.

وخرج معه من أبناء عقيل وأحفاده تسعة استشهدوا جميعاً.

ومن أبناء جعفر وأحفاده أربعة، وقيل: لهم خامس.

وخرج معه من بني هاشم اثنان، استشهد أحدهما معه، وهو أبو الهيثماء ابن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، والثاني مرض في الطريق فعزم عليه الحسين عليه السلام بالرجوع، فرجع، وسيأتي ذكرهما معاً.

أمّا الذين تناولهم التعنيف من أبناء أمير المؤمنين عليه السلام، فهم: عمر الأطراف ابن علي عليه السلام، وعبيد الله بن علي عليه السلام، ومحمد بن الحنفية بن علي عليه السلام.

ومن بني جعفر: عبد الله بن جعفر.

ومن بني هاشم: عبد الله بن عباس، وهو شيخ بني هاشم يومئذ شأنًا وسنًا. فكل هؤلاء لديهم أولاد، فلم يساهموا في النهضة بحول أو طول سوى ابن جعفر الذي أرسل بابنين له.

فالحديث الآن عن الذي شارك - من بني هاشم غير من ذكرناهم - في الخروج مع الحسين عليه السلام وحظي بالشهادة، فهو أولى بالتقديم، ثمّ دونه من رام الشهادة ساعياً لكن عاقه المرض فأرجعه سيّد الشهداء الحسين عليه السلام من الطريق فعاد وعاش ألماً، ولمّا بلغه نبأ الواقعة رثى الشهداء عليهم السلام وظهر حزنه وأسفه أن لا يكون حظي معهم بالشهادة.

أمّا الذي ذكرت أنّه كان شهيداً ولم تذكره جلّ كتب المقاتل الشيعة: فهو: عبد الله بن أبي سفيان، الذي مرّ ذكره وشعره الذي أجاب به الوليد بن عقبة.

فقد حكى السيّد ابن معصوم عن الشيخ المفيد بعد ذكر شعره، قال: ((هذا الشعر دليل على اعتقاد هذا الرجل في أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّه كان الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل... وشعره في علي عليه السلام قوله صلى الله عليه وآله):

وصلّى عليه مخلصاً بصلاته لخمس وعشر من سنه كوامل
وظلّ أناساً بعده يتبعونه له عمل أفضل به صنع عامل

قال الواقدي: قتل عبد الله بن أبي سفيان بكربلاء شهيداً مع الحسين عليه السلام)).

وقد ذكرته أنا في (شذا العرف في ضحايا الطف)، وقلت في الأرجوزة:

وبعدُ قتل عبد الله ذو الحجاج	ذاك المكْنى بأبي الهياج
وهو حفيد شيبة المحامد	وابن أبي سفيان يروي الواقدي
واسى الحسين في عراض كربلا	شأن أباة الضيم صادق الولا
طوبى أبا الهياج أنت الهاشمي	من ذروة العلياء والمكارم
في نصرة الحسين منك لا عجب	كلاكما من صلب عبد المطلب
جمعتَ بين الفضل والشهادة	فيا لها من نعمة السعادة

الثاني من بني هاشم الذين شاركوا في النهضة الحسينية ولم يسعفه الحظُّ بالشهادة وإن فاز بالسعادة، هو: المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، كان مع الحسين عليه السلام، أصابه عارض عليه السلام في الطريق، فعزم عليه الحسين عليه السلام أن يرجع، فرجع، ولمَّا بلغه نبأ الفاجعة قال يرثيه ومن قتل ممَّن كانوا معه:

أحزنني الدهر وأبكاني	والدهر ذو صرف وألوان
أفردني من تسعة قُتلوا	بالطف أضحوارهن أكفان
وستة ليس لهم مشبة	بني عقيل خير فرسان
والمرء عون وأخيه مضى	كلاهما هيَّج أحزاني
من كان مسروراً بما نالنا	وشامتاً يوماً فم الآن ^(١)

(١) ذكره المرزباني في معجم الشعراء: ٢١٢.

وهذا المغيرة هو الذي قد أمره أمير المؤمنين عليه السلام أن يتزوج بعده أُمّامة بنت أبي العاص، فخلّف عليها من بعده فتزوجها، ولم تلد له. وقد ترجمه ابن سعد في (الطبقات)^(١)، كما ذكره ابن الأثير في (أسد الغابة)^(٢)، كما ذكره السيّد ابن معصوم المدني في (الدرجات الرفيعة)، فقال: ((يكنى بأبي يحيى، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة، وقيل بعدها، ولم يدرك من حياة النبي صلى الله عليه وآله غير ستّ سنين، وهو الذي تلقى عبد الرحمن بن ملجم المرادي حين ضرب أمير المؤمنين، فهمّ الناس، فحمل عليهم بسيفه ففرجوا له، فتلّقه المغيرة بن نوفل بقטיפه فرماها عليه واحتمله وضرب به الأرض وقعد على صدره، وانتزع السيف من يده، وكان رجلاً قوياً، واستعمله عثمان على القضاء، فكان قاضياً في زمنه، وشهد مع أمير المؤمنين صفين ومن شعره أيام صفين:

يا عصبة الموت صبراً لا يهولكمُ	جيش ابن حرب فإنّ الحقّ قد ظهرا
وقاتلوا كلّ من يبغي غوائلكم	فإنّما النصر في الضراً لمن صبرا
اسقوا الخوارج حدّ السيف واحتسبوا	في ذلك الخير وارجوا الله والظفرا
وأيقنوا أنّ من أضحى يخالفكم	أضحى شقيّاً وأضحى نفسه خسرا
فيكم وصيّ رسول الله قائدكم	وصهره وكتاب الله قد نشرا
ولا تخافوا ضلالاً لا أباً لكم	سيحفظ الدين والتقوى لمن نصرا

(١) طبقات ابن سعد ٢٦/٧، ط مصر.

(٢) أسد الغابة ٢٠٧/٤.

ولمّا خرج الحسن عليه السلام لقتال معاوية استخلفه على الكوفة، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثهم ويخرجهم حتّى التأم العسكر، وسار الحسن إلى أن كان من أمر الصلح بينه وبين معاوية ما كان^(١).

وقد عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله.

أقول: لم يرو عن النبي صلى الله عليه وآله إلا حديثاً واحداً، رواه عبد الملك بن نوفل، عن أبيه، عن جدّه، عن المغيرة بن نوفل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من لم يحمّد عدلاً ولم يذمّ جوراً فقد بارز الله تعالى بالمحاربة).

وقيل: إنّ حديثه مرسل، وقد روى عن أبي بن كعب وعن كعب الأخبار، كذا في (أسد الغابة).

أقول: ذكر ابن سعد في (الطبقات) خبرين بسندين، الأوّل بسنده: ((عن عليّ بن الحسين، قال: إنّ كعباً أخذ بيد المغيرة بن نوفل فقال له: اشفع لي يوم القيامة، قال: فانتزع يده من يده وقال: وما أنا؟ إنّما أنا رجل من المسلمين، قال: فأخذ بيده فغمزها غمزاً شديداً وقال: ما من مؤمن من آل محمّد صلى الله عليه وآله إلا وله شفاعة يوم القيامة، ثمّ قال: اذكر هذا بهذا)).

والخبر الثاني رواه بسنده: ((عن المغيرة بن نوفل نفسه، قال: أخذ بيدي كعب الأخبار فعصرها ثمّ قال: اختبئ هذه عندك لتذكرها يوم القيامة، قال: وما أذكر منها؟ قال: والذي نفسي بيده لبدأنّ محمّد بالشفاعة يوم القيامة بالأقرب فالأقرب^(٢))).

(١) الدرجات الرفيعة: ١٨٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٢٦/٧.

ماذا عن الباقيين؟

إنّ من يقرأ مواقف بني هاشم من نهضة الإمام الحسين عليه السلام لا يجد غير سحابة من حزن وكآبة غشيت جميع تلك الوجوه المعاصرة للحدث، والمحاصرة في عقر ديارهم في الحرمين من السلطة الجائرة في الشام، ومن عدوّ لدود يعيش بين ظهرائهم يتربّص بهم الدوائر، ويكتم بغضهم منذ لأي من السنين، ذلك هو ابن الزبير.

وبين أولئك وهذا تصطدم النهضة بعواطف جيّاشة صادقة، ولكن لا تشجّع على القيام بها عاجلاً لما يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أنّ الحسين عليه السلام تقتله أمّته، ولما يروونه من نذر الشرّ التي أحيطت بها، فكتب الكوفة - مهما صدقت نيات بعض أصحابها - فتبقى سمعة الغدر والخيانة تراود أذهان الذين عاشوا في الكوفة أيام أمير المؤمنين عليه السلام وأيام الحسن عليه السلام، من أمثال ابن جعفر، وابن الحنفية، وابن عباس، وغيرهم من رجال بني هاشم ونسائهم، ممّن قد مرّ ذكرهم في الحلقة الأولى من هذه الموسوعة، وما عاصروه وعاشوه من أحداث في الكوفة أيام خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

بدءاً من نزوله بها، ومروراً بشهادته على يد ابن ملجم المرادي لعنه الله، وانتهاءً بخلافة الإمام الحسن عليه السلام وما جرى عليه في أيامه على قصر ممارسته الحكم فيه، وما جلبته تلك السمات من ويلات أودت بحياتهما عليهما السلام، لذلك كان القلق المحزن يساور الهاشميين سيّما أهل

البيت عليه السلام منهم خاصة ومن عاش معهم، لما استقر في أذهانهم من مصير مفجع ومفزع، نتيجة ما وروثوه من أنباء اليقين عن النبي صلى الله عليه وآله بأنَّ النهاية المحزنة، والفاجعة المهطعة تكون في كربلاء، والضحايا هم (الحسين وآل الحسين) بقية النبوة، ووارث الإمامة، إنها نكبة لم يستطيعوا التغلب عليها بغير الإشفاق من حدوثها، وظلَّ حبَّهم يعذبهم، ذلك الحبَّ المتأصل بالعقيدة والولاء، فهم يرون الفشل في دعوة الكوفيين قاب قوسين أو أدنى، وهم يرون في بني أمية أشنع الظالمين الذين لا يرقبون في الله لمؤمن إلا ولا ذمة، وقد رأوا وعاشوا أيام معاوية، فكيف بيزيد القروذ والفهود؟

مواقف محزونة

لقد قيل - وصحّ ما قيل - فهم الشيء على حقيقته يجنب المخاطر، ويهدي إلى الرؤية البينة التي تتجلى فيها مخاطر المستقبل، وهذا ما عاشه بنو هاشم عندما علموا بتصميم الإمام الحسين عليه السلام على التوجّه إلى العراق، فانتابتهم تصوّرات مقلقة، وخواطر المخاطر المحدقة، ولهم رأي يكاد يكون جماعياً على مصير محتوم ومختوم للشهادة، لهذا كان التحرك الجماعي لصدّ التنفيذ، ولا أقلّ من تأخير التصميم، فإذا بالرجال الأباة الغيارى يتحرّكون مصرّين على نصيح الإمام الحسين عليه السلام أن لا يخرج فعلاً، فليس الظرف المعاش يسمح بنجاح النهضة، ولكن أنى لهم والاستجابة أبعد منالاً، أنى والإمام الحسين عليه السلام بوادٍ والعدول بوادٍ، ولكن لم يمنعه ما عنده من عزم وتصميم من استماع آراء الرجال على ما فيها من أفن أو وهن.

ولنعرض ما جال في أذهان الهاشميين بدءاً من الأقرب فالأقرب، وأقربهم فعلاً من أولاد أمير المؤمنين عليه السلام، وهم: عمر الأطراف، ومحمّد بن الحنفية

أما عن موقف عمر الأطراف

فإلى القارئ خبر محمد بن عمر الأطراف الذي جاء فيه: ((قال: سمعتُ أبي عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يحدث أخوالي آل عقيل، قال: لما امتنع أخي الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد بالمدينة دخلت عليه فوجدته خالياً، فقلت له: جعلت فداك يا أبا عبد الله، حدثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه عليه السلام - ثم سبقتني الدمعة وعلا شهيق - فضمني إليه، وقال: حدثك أني مقتول؟ فقلت: حوشيت يا بن رسول الله! فقال: سألتك بحق أبيك بقتلي أخبرك؟ فقلت: نعم، فلو لا تأولت وبايعت؟

فقال: حدثني أبي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأن تربتي تكون بقرب تربته، فتظن أنك علمت ما لم أعلمه! وإنه لا أعطي الدنية من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذريتها من أمته، ولا يدخل الجنة أحد آذاها في ذريتها))^(١).

وكم مثل عمر هذا في تخيله أن سوف يثني الحسين عليه السلام عن عزمه؟ ولا أقل من تأخير المقدور فيما هم فيه ينظرون، وليس بمقدورهم درء الخطر وناقوسه قد دقّه معاوية، وتابعه يزيد يدقّه بعنف، فرأوا أن لا سبيل للحسين عليه السلام عن شرّ ما يحذرون إلاّ بالابتعاد عن المصادمة فعلاً^(٢).

(١) اللهوف لابن طاووس هامش ص ٩٩ ط ٣ دار الأسوة.

(٢) لقد وقع خلط وخطب في كتب الأنساب والتاريخ في ذكر عمر الأطراف وذكر أخيه عمر عليه السلام.



الأصغر من أبناء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فالأطرف لم يشارك في النهضة بسوى ما تقدّم من النصيحة، أمّا الثاني فهو من الشهداء والسعداء، وقد ذكره شيخ الشرف العبدلي في كتابه المجدي: ١٢، حيث قال: والعبّاس الأصغر وعمر ورقية بنّي التغلبية، وهذا الذي ذكره قد اعتبر من زياداته، مع أنّه قد ورد له ذكر في شهداء الطفّ، كما في مقتل الخوارجي ٤٧/٢ وله رجز وشعر عند المبارزة، حيث قال ابن أعثم (ت ٣١٤هـ) في كتابه الفتوح ٢٠٥/٥، ط دار الندوة الجديدة بيروت:

(...) ثمّ تقدّم إخوة الحسين عازمين على أن يموتوا من دونه، فأول من تقدّم أبو بكر بن عليّ - واسمه عبد الله وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد الربيعي التميمية - فتقدّم وهو يقول:

شيخ عليّ ذو الفخار الأطول	من هاشم الخير الكريم المفضل
هذا حسين ابن النبي المرسل	عنه نحامي بالحسام المصقل
تفديته نفسي من أخ مبجل	يا ربّ فامنحني ثواب المنزل

قال: فحمل عليه رجل من أصحاب عمر بن سعد يقال له: زحر بن بدر النخعي فقتله رحمه الله. فخرج من بعده أخوه عمر بن عليّ، فجعل يقول:

أضربكم ولا أرى فيكم زحر	ذاك الشقي بالنبيّ من كفر
يا زحريا زحرا أدن من عمر	لعلك اليوم تبوء من سقر
شرّ مكان من حريق وسعر	لأنك الجاحد يا شرّ البشر

ثمّ حمل على قاتل أخيه فقتله، واستقبل القوم، فجعل يضرب فيهم بسيفه ضرباً منكراً وهو يرتجز ويقول:

خلّوا عداة الله خلّوا عن عمر	خلّوا عن الليث العبوس المكفهر
يضرّبكم بسيفه ولا يفر	وليس فيها كالجبان المستجر

ثمّ حمل فلم يزل يقاتل حتّى قتل رحمه الله.





أقول: فهذا غير عمر الأطراف الذي مرّ ذكره ناصحاً بعدم الخروج، ولعمر الأطراف ذلك أخبار قد تأتي الإشارة إليها، منها ما قاله أبو نصر البخاري في كتابه السلسلة العلوية: ٩٧: ولا تصحّ رواية من روى أنّ عمر - يعني الأطراف - حضر كربلاء وهرب ليلة عاشوراء في جواليق، ولقبوا أولاده بالجواليق، لا يصحّ ذلك، بل كان هو بمكة مع ابن الزبير ولم يخرج إلى كربلاء، والسبب في تلقيبهم بأولاد الجواليق غير ذلك، والله أعلم.

ومنها ما قاله أبو نصر أيضاً في ص ٩٦: وكان عمر - يعني الأطراف - دعاه الحسين إلى الخروج معه فلم يخرج، فلما أتاه مصرعه خرج في معصفرات له وجلس بفناء داره، ويقول: أنا الغلام الحازم ولو خرجت معهم لذهبت في المعركة ولقتلت، وهذا بعض ما فيه من تجريح كما سيأتي في النقطة الثالثة عشرة.

محمد بن الحنفية

فقد روي ممّا له وعليه في هذه الحقبة التاريخية، ممّا أسيء فهم بعض مواقفهم قبل النهضة وبعدها، ولست في مقام تبرير أو تعذير، ولكن لا ننسى بأنّ في الموروث ممّا لا يصحّ، ولكن للعاطفة، والخيال مجال، ومهما يكن فقد روي أنّه قال للحسين عليه السلام: ((...يا أخي! أنت أحبّ الناس إليّ وأعزهم عليّ، ولست أدّخر النصيحة لأحد من الخلق أحقّ بها منك، تنحّ بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثمّ ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص بذلك دينك ولا عقلك، ولا يُذهب به مروءتك ولا فضلك، إنّي أخاف أن تدخل مصرّاً من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتلون، فتكون لأوّل الأسنة - غرضاً - فإذا خیر هذه الأمة كلّها نفساً وأباً وأُمّاً، أضيعها دماً وأذلّها أهلاً.

فقال له الحسين عليه السلام: فأنّى أذهب يا أخي.

قال: فانزل مكّة، فإن اطمأنت بك الدار فسيبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتّى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنّك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً، حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور عليك أشكل

منها حين تستدبرها استدباراً.

قال: يا أخي! قد نصحت فأشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديداً
موفقاً^(١).

وقد روى ابن أعثم (ت ٣١٤هـ) وهو معاصر للطبري ما مرّ، وزاد خبر
وصية الإمام الحسين عليه السلام لمحمد بن الحنفية، فقال:

((ثم دعا الحسين بدواة وبياض وكتب فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي
طالب لأخيه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية: إنّ الحسين بن عليّ
يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء
بالحقّ من عنده، وأنّ الجنة حقّ والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها،
وأنّ الله يبعث من في القبور.

وإنني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت
لطلب النجاح والصلاح في أمة جدّي محمد عليه السلام، أريد أن آمر بالمعروف
وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي محمد عليه السلام وسيرة أبي علي بن أبي
طالب^(٢)، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر

(١) تاريخ الطبري ٤١/٥ - ٤٢.

(٢) لقد زيد في مطبوع الفتوح ٣٤/٥، ط دار الندوة الجديدة بيروت جملة (وسيرة الخلفاء
الراشدين المهديين رضي الله عنهم)، وهذا ممّا خلت عنه رواية الخوارزمي في مقتل
الحسين عليه السلام نقلاً عن ابن أعثم في الفتوح، وهذا مؤشّر واضح على التلاعب في المطبوعات
حديثاً.

حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، ويحكم بيني وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين.

هذه وصيتي إليك يا أخي، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والسلام عليك وعلى من اتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).
ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه ودفعه إلى أخيه محمد بن الحنفية، ثم ودعه وخرج في جوف الليل يريد مكة بجميع أهله)).

وهذا رواه الخوازمي الحنفي في (مقتل الحسين)^(١)، كما رواه ابن شهر آشوب الشيعي في كتابه (المناقب)^(٢) بتفاوت، وعنه المجلسي في (بحار الأنوار)^(٣).

ووردت عدة روايات في مصادر أخرى غير التي ذكرت، فيها نصائح ابن الحنفية أن لا يخرج الحسين عليه السلام إلى العراق، ومنها ما جاء في كتاب (طبقات ابن سعد): ((... بعث حسين رضي الله عنه إلى المدينة، فقدم عليه من خف معه من بني عبد المطلب وهم تسعة عشر رجلاً، ونساء وصبيان من أخواته وبناته ونسائهم، وتبعهم محمد بن الحنفية فأدرك حسيناً عليه السلام بمكة وأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين عليه السلام أن يقبل...)).
وجاء في كتاب (إثبات الوصية) المنسوب للمسعودي: ((خرج محمد

(١) مقتل الحسين ١/١٨٨.

(٢) المناقب ٤/٨٩.

(٣) بحار الأنوار ٤٤/٤٢٩.

ابن الحنفية يشيِّعه - يعني الإمام الحسين عليه السلام - فقال له عند الوداع: يا أبا عبد الله! الله الله في حُرْم رسول الله. فقال له: أبى الله إلا أن يكنّ سبياً ((١)).

إلى غير هذا، ممّا دلّ على بذل ابن الحنفية جُهداً في سبيل الحيلولة بين خروج الحسين عليه السلام والذهاب إلى الكوفة، وقال له: إنّها بلدة مشؤومة قتل فيها أبوك، وخذل فيها أخوك، فالزم الحرم فإنّك سيّد العرب، لا يعدل بك أهل الحجاز، وتتداعى إليك الناس من كلّ جانب ^(٢).

غير أنّه جاء في (كامل الزيارات) لابن قولويه خبر زرارة: «عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كتب الحسين بن عليّ من مكّة إلى محمّد بن عليّ: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ إلى محمّد بن عليّ ومن قبله من بني هاشم: أمّا بعد فإنّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام».

وهذا الكتاب إن صحّت روايته، فهو دعوة منه عليه السلام إلى اللّحوق به، وينافي - إن لم يكن ناسخاً لما مرّ من الإذن لمحمّد بن الحنفية بالبقاء في المدينة ويكون عيناً له عليه السلام، ولا يخفي عنه أخبار أعدائه، وكتب له الوصيّة التي مرّ ذكرها.. لكن خبر (كامل الزيارات) لم يسلم سنده من مجهول، وهو: علي بن إسماعيل بن عيسى.

وهذا الخبر قد رواه غير ابن قولويه أيضاً، ففي (الحدائق الوردية) ^(٣) - من

(١) إثبات الوصيّة: ١٧٦.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٨٨/٤.

(٣) الحدائق الوردية ١١٣/١.

تراث الزيدية - ورد أيضاً: أنَّ الحسين عليه السلام كتبه حين خرج من مكة ونزل بستان بني عامر ولفظه: (من الحسين بن عليٍّ إلى محمد بن عليٍّ وأهل بيته: أمّا بعد، فإنّكم إن لحقتم بي استشهدتم، وإن تخلفتم عني لم تلحقوا النصر، والسلام). كما ورد مسنداً ومرسلاً، وليس فيه ذكر لمحمد بن الحنفية، وإنّما كتب عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليٍّ إلى بني هاشم، أمّا بعد فإنّه من لحق بي استشهد، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح، والسلام)^(١). وكلّ هذه المصادر تروي هذا الخبر عن حمزة بن حمران - وهو ابن أعين الشيباني - مجهول كما في (معجم رجال الحديث) لسيدنا الأستاذ قدس سره، ومهما يكن حاله فلست بحاجة إليه، ويبقى الخبر محتملاً للصدق والكذب كسائر الأخبار، وسيأتي مزيد عن حال محمد بن الحنفية عليه السلام.

(١) دلائل الإمامة: ١٨٧، واللهوف لابن طاووس: ٤٠، وبصائر الدرجات: ٤٨١، ومختصر بصائر الدرجات: ٦.

ابن عباس في مهبّ العاصفة القاصفة

لقد مرّ في الجزء الخامس من الحلقة الأولى من الموسوعة موقف ابن عباس رضي الله عنه في أيام يزيد لعنه الله، وما مُني به من ابتلاء قاتل في حكومة الغيّ والفساد التي أرسى معاوية قاعدتها على الظلم والجور، ولمّا كان ابن عباس رضي الله عنه من الهاشميين الذين هم أصحاب الحقّ المغتصب، ويرون أنّ المثل الأعلى في الحسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة، وليس لديهم من القوّة ما يستطيعون بها استرجاع الحقّ إلى معدنه، فكانوا يرون التماسك بين الخلق والدين هو في نصرة صاحب الحقّ بإسداء النصيحة التي هي أساس القوّة في الدين، والمرء الذي لا يتماسك بفضله ما ورثه من الأخلاق فلا يمسكه خوف ولا رجاء من النصح لنصرة صاحب الحقّ، وهذا أضعف الإيمان.

قال الدكتور علي سامي النشار في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام):

((وعاش عبد الله بن عباس بعد مقتل عليّ في حزن دائم مقيم، يُعنى فقط بالعلم الإسلامي من تفسير وفقه وحديث، ووفد على معاوية فيمن وفد من بني هاشم، ولكن لم تكن صلاته بالبيت الأمويّ صلات رغبة ومحبة، بل صلاة كاره مبغض مرغم، وكره أشدّ الكراهية ببيعة يزيد، وإن كان قد بايع، ولكنّه نصح الحسين بن عليّ ألاّ يخرج إلى الكوفة، وطلب منه أن

يشخص إلى اليمن، فإنّها في عزلة، ولك فيها أنصار وأخوان، فأقم بها، وبثّ دعائك، وأكتب إلى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق.. فالرجل كان داهية، وذا عقلية سياسية مستنيرة، ونراه يستخدم مصطلح الدعاة ولم يستمع إليه الحسين، فقتل الحسين...»^(١).

وإلى القارئ إعادة ما قد ذكرته في الجزء الخامس من الموسوعة، الفصل الثاني: حبر الأمة أيام حكومة يزيد بلفظه وطوله:

«(وإذ بُليت الأمة براع مثل يزيد فعلى الإسلام السلام)، هكذا قال سيّد الشهداء أبيّ الضيم، وهكذا كانت النتيجة المتوقّعة، فقد طرق المدينة شرّ عظيم، حين أتى كتاب يزيد إلى الوالي، وكان هو ابن عمّه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وفي آخر الكتاب:

«(فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا، بيعة منشرة بها صدوركم، طيبة عليها أنفسكم، وليكن أوّل من يبايعك من قومنا وأهلنا: الحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، ويحلفون على ذلك بجميع الأيمان اللازمة، ويحلفون بصدقة أموالهم غير عشرها، وحرية رقيقهم، وطلاق نسائهم بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم، ولا قوة إلاّ بالله، والسلام)). هكذا روى ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة)^(٢).

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٣٤١/٢، ط ثلاثة سنة ١٣٨٥هـ

(٢) الإمامة والسياسة ١٦٨/١، ط سنة ١٣٢٨هـ بمصر.

غير أنّ البلاذري^(١)، والطبري^(٢)، وابن الأثير^(٣)، ذكروا: ((أنّه كتب إليه في صحيفة كأنّها أذن فأرة: أمّا بعد فخذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وعبد الله ابن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ليست فيه رخصة ولا هواده، حتّى يبايعوا، والسلام))، فلم يرد ذكر ابن عباس مع النفر المذكورين.

إلا أنّ البلاذري، قال: ((وكتب يزيد إليه - إلى ابن عباس - كتاباً يأمره فيه بالخروج إلى الوليد بن عتبة ومبايعته له وينسبه إلى قتل عثمان والممالة عليه، فكتب ابن عباس إليه أيضاً كتاباً يقول فيه: إنّي كنت بمعزل عن عثمان، ولكن أباك تربّص به وأبطأ عنه بنصره، وحبس من قبله عنه حين استصرخه واستغاث به، ثمّ بعث إليه الرجال معذراً حين علم أنّهم لا يدركونه، حتّى يهلك))^(٤).

ويبدو من هذا الجواب الذي صحّ عندي، أنّه لم يبايع ليزيد إلى حين الكتاب، ولو أنّ البلاذري قد ذكر لنا كتاب يزيد وتمام جواب ابن عباس، لتبيّن ما هو أفصح وأصرح، وإن كان فيما ذكره ما كشف عن زيف ما تقدّم منّا ذكره نقلاً عن البلاذري وابن قتيبة من خبر مبايعته وبيّنا أنّه لم يصحّ سنداً ولا دلالة، وإن تمسّك به بعض الباحثين ورأى مبايعته ليزيد، ولعلّ ما أغراه به ذكر ابن قتيبة له من دون التفات إلى ما في خبره

(١) أنساب الأشراف ١ق ٢٩٩/٤.

(٢) تاريخ الطبري ٣٣٨/٥، ط دار المعارف.

(٣) تاريخ ابن كثير ٦/٤، ط بولاق.

(٤) أنساب الأشراف ١ق ٣٠٦/٤، تح إحسان عباس.

من هنات، ومهما يكن فقد توجّس ابن عباس الشرّ كلّ الشرّ في حكومة يزيد، وزاد في قلقه مواقف بقية رجال المعارضة التي اختلفت أهدافهم، فبين راغب كابن عمر، وراهب كابن الزبير، ومستنكر رافض لكلّ العروض والمغريات كالإمام الحسين عليه السلام، فهو ابن أبيه في إنكار المنكر ودحض الباطل، لا تأخذه في الحقّ لومة لائم، وابن عباس كان - مع أنّه اليائس المتشائم - يقارب الحسين عليه السلام في موقفه الهادف لتحقيق العدالة، ولكن يأسه من الناس أضمر من عزيزته، وفقدانه لبصره أوهى من شكيمته، فصار إمّا أن يصول بيد جذاء أو يصبر على طخية عمياء، كحال ابن عمّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيما سلف من الأيام، وعنده في خزين علمه الموروث عن النبيّ المصطفى وابن عمّه المرتضى من أخبار وإخبار بما ستلاقي عترته من بعده في عهد يزيد، فهو في حال اضطراب شديد لما سيحلّ بالمسلمين من الفوادم، ولات حين مناص من مزيد ترقّب، لتتابع الأحداث سراعاً منذرة بالخطر.

فمع الأحداث المتتابعة:

كتاب يزيد إلى ابن عباس:

لعلّ أوّل حدّث غامت به نفس ابن عباس كتاب يزيد إليه بمبايعته، وقد مرّ جواب ابن عباس عليه. وأحسب أنّه كان في المدينة بعد رجوعه من مكّة عمرة رجب، وقد مرّ بنا كتاب يزيد إلى واليه الوليد بن عتبة بأخذ البيعة من الحسين وابن الزبير وابن عمر نقلاً عن الطبري، وقلنا أنّه لم يرد

لابن عباس ذكر معهم، وربما لأنّ ابن عباس لم يكن يومئذ بالمدينة وكان بمكة معتمراً عمرة رجب، وكان موت معاوية في رجب، فلمّا عاد إلى المدينة أتاه كتاب يزيد بأمره فيه بالخروج إلى الوليد بن عتبة ومبايعته له... ولم يُذكر أنّه ذهب إلى الوليد، كما لم يُذكر أنّ الوليد أرسل عليه، كما أرسل على الحسين وابن الزبير.

قال الدينوري: «وأما عبد الله بن عباس فقد كان خرج قبل ذلك بأيام إلى مكة»^(١).

وقد روى ابن الأثير^(٢)، وابن كثير^(٣) في تاريخهما، وغيرهما: أنّه وابن عمر لقيّا الحسين وابن الزبير في الأبواء منصرفهما من العمرة - وكان الحسين وابن الزبير قد خرجا من المدينة بعد طلب الوليد منهما مبايعتهما ليزيد - فسألتهما عمّا وراءهما؟ فقالا: موت معاوية، والبيعة ليزيد، فقال ابن عمر: لا تفرّقا جماعة المسلمين^(٤)، وقدم هو وابن عباس المدينة^(٥).

قال ابن الأثير: «فلما بايع الناس بايعا».

(١) الأخبار الطوال: ٢٢٨.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٧/٤، ط بولاق.

(٣) تاريخ ابن كثير ١٤٨/٨ نقلاً عن الواقدي.

(٤) ومن هنا قلنا عن ابن عمر: أنّه راغب فيما زهد فيه غيره من رجال المعارضة.

(٥) في طبقات ابن سعد ذكر عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة هو الذي كان مع ابن عمر حين التقيا الحسين وابن الزبير بالأبواء، لكن في تاريخ دمشق، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ ابن الأثير، وابن كثير: أنّه ابن عباس ولعلّه تصحيف توارد عليه النسخ.

إلا أن ابن كثير قال: «فلما جاءت البيعة من الأنصار بايع ابن عمر مع الناس». ولم يذكر في هذا المقام^(١) عن ابن عباس شيئاً، فهو أدق من ابن الأثير في تعبيره، لذلك قلت: وأحسب أن كتاب يزيد المشار إليه آنفاً أتى ابن عباس في ذلك الظرف لأنه لم يبايع ليزيد.

خروج الحسين من المدينة إلى مكة وإقامته بها:

قال الدينوري في (الأخبار الطوال): «ومضى - الحسين حتى وافى مكة، فنزل شعب علي^(٢)»^(٣).

وقال ابن كثير في تاريخه: «فنزل الحسين دار العباس^(٤)»^(٥).

وحكى الخوارزمي في (مقتل الحسين) عن الإمام أحمد بن أعثم الكوفي قوله: «ولما دخل الحسين مكة فرح به أهلها فرحاً شديداً، وجعلوا يختلفون إليه غدوة وعشية (وكان قد نزل بأعلى مكة، وضرب هناك فسطاطاً ضخماً... ثم تحول الحسين إلى دار العباس حوله إليها عبد

(١) احترازاً عما ذكره في ١٥١ من قوله: بايع ابن عمر وابن عباس.

(٢) هو شعب أبي طالب، ولا يزال يعرف حتى اليوم بشعب علي، وبجانبه سوق الليل، قارن أخبار مكة للأزرقي ٢٣٣/٢، تح رشدي الصالح محسن، ط الثانية سنة ١٣٨٥ هـ مطابع دار الثقافة مكة المكرمة.

(٣) الأخبار الطوال: ٢٢٩.

(٤) هي بالقرب من مولد النبي ﷺ وصارت لخالصة والدته الخيزران، قارن / ن م.

(٥) تاريخ ابن كثير ١٦٢/٨.

الله بن عباس^(١))).^(٢)

قال ابن أعثم في تاريخه: ((وأقام الحسين بمكة في شهر شعبان ورمضان وشوال وذو القعدة.

قال: وبمكة يومئذ - أحسب مراده في ذي القعدة - عبد الله بن عباس عليه السلام وعبد الله بن عمر بن الخطاب عليه السلام، فأقبلا جميعاً حتى دخلا على الحسين وقد عزما على أن ينصرفا إلى المدينة.

فقال له ابن عمر: أبا عبد الله! رحمك الله، اتق الله الذي إليه معادك، فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكم وظلمهم إيّاكم، وقد ولي الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية، ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء فيقتلونك ويهلك فيك بشر كثير، فإنني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه، ليخذلهم الله إلى يوم القيامة)، وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين.

فقال له الحسين: أبا عبد الرحمن! أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه وفي أبيه ما قال؟!

(١) ما بين القوسين لم نجده في تاريخ ابن أعثم، ط دار الندوة، فظن خيراً، وازدد خُبراً بمطبوعات العصر الحديث! ودار العباس كانت بين الصفا والمروة، منقوشة عندها العَلَم الذي يسعى منه من جاء من المروة إلى الصفا قارن نفس المصدر في المتن.

(٢) مقتل الحسين ١٩٠/١، ط الزهراء في النجف.

فقال ابن عباس: صدقت أبا عبد الله، قال النبي ﷺ في حياته: (ما لي وليزید، لا بارک الله في یزید، وإنه یقتل ولدي وولد ابنتي الحسين ﷺ، والذي نفسي بيده لا یقتل ولدي بین ظهراي قوم فلا یمنعونه إلا خالف الله بین قلوبهم وألسنتهم)، ثم بكى ابن عباس، وبكى معه الحسين، وقال: يا بن عباس! تعلم أنني ابن بنت رسول الله ﷺ؟

فقال ابن عباس: اللهم نعم نعم نعلم ونعرف أن ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله ﷺ غيرك، وأن نصرك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصلاة والزكاة التي لا یقدر أن یقبل إحداها دون الأخرى.

قال الحسين: يا بن عباس! فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله ﷺ من داره وقراره ومولده وحرم رسوله ومجاورة قبره ومولده ومسجده وموضع مهاجره، فتركوه خائفاً مرعوباً، لا یستقر في قراره ولا يأوي في موطن، یریدون في ذلك قتله وسفك دمه، وهو لم یشارك بالله شيئاً، ولا اتخذ من دونه ولياً، ولم يتغير عما كان عليه رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده؟

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا یأتون الصلاة إلا وهم: ﴿كُذِّبَتْ يَرْأَوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ مَذْبُذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا^(١)، وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأما أنت يا بن بنت

(١) سورة النساء/ ١٤٢- ١٤٣.

رسول الله ﷺ، فإنك رأس الفخار برسول الله ﷺ، وابن نظيرة البتول، فلا تظنّ يا بن بنت رسول الله ﷺ أن الله غافل عما يعمل الظالمون. وأنا أشهد أنّ من رغب عن مجاورتك وطمع في محاربتك ومحاربة نبيك محمد ﷺ فما له من خلاق.

فقال الحسين: اللهمّ اشهد.

فقال ابن عباس: جعلت فداك يا بن بنت رسول الله ﷺ، كأنك تنعى إليّ نفسك وتريد منّي أن أنصرك؟! والله الذي لا إله إلا هو أن لو ضربت بين يديك بسيفي حتّى ينقطع وتنخلع يداي جميعاً من كتفي لما كنت ممّن أوفى من حقك عشر العشير، وها أنا بين يديك مرني بأمرك.

فقال ابن عمر: مهلاً ذرنا من هذا يا بن عباس.

قال: ثمّ أقبل ابن عمر على الحسين، فقال: أبا عبد الله! مهلاً عمّا قد عزمت عليه، وارجع من هنا إلى المدينة وادخل في صلح القوم، ولا تغب عن وطنك وحرّم جدك رسول الله ﷺ، ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجةً وسبيلاً، وإن أحببت أن لا تباع فأنت متروك حتّى ترى برأيك، فإنّ يزيد ابن معاوية - لعنه الله - عسى أن لا يعيش إلا قليلاً، فيكفيك الله أمره.

فقال الحسين: أفّ لهذا الكلام أبداً، ما دامت السماوات والأرض، أسألك بالله يا عبد الله! أنا عندك على خطأ من أمري هذا؟ فإن كنت عندك على خطأ فردني فإنّي أخضع وأسمع وأطيع.

فقال ابن عمر: اللهم لا، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ، وليس مثلك من طهارته وموضعه من الرسول ﷺ أن يسلم على مثل يزيد بن معاوية - لعنه الله - باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وترى من هذه الأمة ما لا تحب، فارجع معنا إلى المدينة، وإن شئت أن لا تباع فلا تباع أبداً، واقعد في منزلك.

فقال له الحسين: هيهات يا بن عمر! إن القوم لا يتركوني، إن أصابوني وإن لم يصيبوني، فإنهم يطلبوني أبداً حتى أبايع وأنا كاره أو يقتلونني، ألا تعلم أبا عبد الرحمن أن من هوان هذه الدنيا على الله أن يؤتى برأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بني إسرائيل، والرأس ينطق بالحجة عليهم، فلم يضر ذلك يحيى بن زكريا، بل ساد الشهداء فهو سيدهم يوم القيامة؟ ألا تعلم أبا عبد الرحمن أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجل الله عليهم، ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ذي انتقام؟ فاتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي، واذكرني في صلاتك، فوالذي بعث جدّي محمداً بشيراً ونذيراً لو أن أباك عمر بن الخطاب أدرك زماني نصرني كما نصر جدّي، ولقام من دوني كقيامه من دون جدّي.

يا بن عمر! فإن كان الخروج معي يصعب عليك ويثقل فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تترك لي الدعاء في دبر كل صلاة.

ثم أقبل على عبد الله بن عباس، وقال له: وأنت يا بن عباس! ابن عمّ أبي، ولم تنزل تأمر بالخير مذ عرفتكَ، وكنت مع أبي تشير عليه بما فيه الرشاد والسداد، وقد كان أبي يستصحبك ويستصحك ويستشيرك وتشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة في حفظ الله، فلا تخفي عليّ شيئاً من أخبارك، فإنّي مستوطن هذا الحرم ومقيم به، ما رأيت أهله يحبّونني وينصرونني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم يوم أُلقي في النار، حسبي الله ونعم الوكيل، فكانت النار عليه برداً وسلاماً.

فبكى ابن عباس وابن عمر ذلك الوقت بكاء شديداً، وبكى الحسين معهما، ثم ودّعهما فصار ابن عباس وابن عمر إلى المدينة^(١).

كتاب يزيد إلى ابن عباس في أمر الحسين عليه السلام:

روى السبط ابن الجوزي في (التذكرة): ((وقال الواقدي: ولمّا نزل الحسين مكّة كتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس: أمّا بعد، فإنّ ابن عمّك حسيناً وعدوّ الله ابن الزبير التويا بيعتي ولحقا بمكّة، مرصدين للفتنة، معرضين أنفسهما للهلكة. فأما ابن الزبير فإنّه صريع الفناء وقتيل السيف غداً، وأمّا الحسين فقد أحببت الإعذار إليكم أهل البيت ممّا كان منه، وقد بلغني أنّ

(١) تاريخ ابن أعثم ٣٨/٥ - ٤٤، ط دار الندوة.

وهذا الخبر بطوله رواه الخوارزمي في مقتل الحسين ١٩٠/١ - ١٩٣ نقلاً عن ابن أعثم، وما حكاه عنه أصحّ من المطبوع من فتوحه، ط دار الندوة بيروت.

رجالاً من شيعته من أهل العراق يكتبونه ويكتبهم، ويمنونه الخلافة، ويمنيهم الإمرة، وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتائج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسين وبته، وأنت زعيم أهل بيتك وسيّد أهل بلادك، فألقه فاردده عن السعي في الفرقة، وردّ هذه عن الفتنة، فإن قبل منك وأنا ب إليك فله عندي الأمان والكرامة الواسعة، وأجري عليه ما كان أبي يجريه على أخيه، وإن طلب الزيادة فاضمن له ما أراك الله أنفذ ضمانك، وأقوم له بذلك، وله عليّ الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة بما تطمئن به نفسه ويعتمد في كل الأمور عليه، عجل بجواب كتابي وبكل حاجة لك إليّ وقبلي، والسلام.

قال هشام بن محمد: وكتب يزيد في أسفل الكتاب:

يا أيها الراكب الغادي لطيته...^(١)^(٢).

جواب ابن عباس إلى يزيد:

قال السبط في (التذكرة): «فكتب إليه ابن عباس: أمّا بعد، فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة، فأما ابن الزبير فرجل منقطع عنّا برأيه وهواه، يkatمنا مع ذلك أضغاناً يسرها في صدره يوري علينا وري الزناد، لا فكّ الله أسيرها فأراء في أمره ما أتيت رأيه.

وأما الحسين فإنّه لمّا نزل مكة وترك حرم جدّه ومنازل آبائه، سألته عن مقدمه، فأخبرني أنّ عمّالك في المدينة أساؤا إليه وعجلوا عليه بالكلام

(١) الآيات الآتية.

(٢) تذكرة الخواص، ط حجرية و ٢١٥، ط منشورات الشريف الرضي بقم.

الفاحش، فأقبل إلى حرم الله مستجيراً به، وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة، ويطفىء به الشائنة، ويخمد به الفتنة، ويحقن به دماء الأمة، فاتق الله في السر والعلن، ولا تبيتن ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة، ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له مهواة، فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه، وكم من مؤمل أملاً لم يؤت أمله، وخذ بحظك من تلاوة القرآن ونشر السنة، وعليك بالصيام والقيام، لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها، فإن كل ما شغلت به عن الله يضر ويفنى، وكل ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى، والسلام»^(١).

هذه صورة الكتابين، وقد رواهما السبط عن الواقدي، وعن الكلبي، كما ذكرهما، وروايته أتم مما رواه ابن سعد، والطبري، فضلاً عن المتأخرين الذين أخذوا عنهما.

ويبدو أن السبط حصل على بعض كتب الواقدي، وهشام بن محمد الكلبي، كما يبدو أن اختزالاً متعمداً عند ابن سعد، والطبري.. وإلى القارئ صورة ما ذكره ابن سعد في طبقاته:

قال ابن سعد في (الطبقات): ((وكتب يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة: ونحسبه جاءه رجال من أهل هذا المشرق فمّنّوه الخلافة، وعندك علم منهم خبرة وتجربة، فإن كان فعل فقد قطع واشج القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه، فاكفه عن السعي في الفرقة.

(١) التذكرة: ٢١٦.

وكتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قريش:
يا أيُّها الراكب الغادي لطَّيَّته^(١)
على عذافرة^(٢) في سيرها قحَم^(٣)
أبلغ قريشاً على نأى^(٤) المزار بها
بينني وبين حسين الله والرحم
وموقف بفناء البيت أنشده
عهد الإله وما توفى به الذم^(٥)
عنَّيتم^(٦) قومكم فخرأ بأمكم
أمِّ لعمري حَصانٌ عَفَّةٌ^(٧) كرم
هي التي لا يداني فضلها أحدٌ
بنت الرسول وخير الناس قد علموا^(٨)

(١) طَّيَّته: حاجته.

(٢) العذافرة: الناقة الشديدة العظيمة. (لسان العرب ٥٥٥/٤).

(٣) قحَم: أي سريعة تطوي المنازل وتفحمها منزلاً بعد منزل. (نفس المصدر ٤٦٤/١٢).

(٤) في تاريخ الطبري ٢٠٢/٨، ط دار المعارف على شحط المزار.

(٥) في تاريخ الطبري: وما ترعى له الذم.

(٦) وفيه: عنَّفتم وبالي في بعض المصادر هُنَّيتم.

(٧) في الطبري، وتاريخ دمشق، وتاريخ ابن كثير: (برّة)، وفي مقتل الحسين للخوارزمي ٢١٨/١، ط الزهراء: (عمّها الكرم).

(٨) في مقتل الخوارزمي: (وكلّ الناس قد علموا).

وفضلها لكم فضلٌ وغيركمُ
 من قومكم لهمُ في فضلها قِسْمُ
 إنني لأعلمُ أو ظنّاً كعالمه
 والظنّ يصدق أحياناً فينتظم
 أن سوف يترككم ما تدعون به^(١)
 قتلى تهاداكم العقبان والرخم
 يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ سكنت^(٢)
 ومسكوا بحبال السلم واعتصموا^(٣)
 قد غرت الحرب^(٤) من قد كان قبلكم
 من القرون وقد بادت بها الأمم
 فانصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً^(٥)
 فربّ ذي بذخ زلت به القدم^(٦)

(١) في الطبري: (ما تطلبون بها).

(٢) في الطبري: (إذ خمدت).

(٣) في الطبري بعد هذا البيت:

لا تركبوا البغي إن البغي مَصْرَعَةٌ وإنّ شارب كأس البغي يتخم

(٤) في الطبري: (قد جرت الحرب)، وفي مقتل الخوارزمي: (قد عضّت الحرب).

(٥) في مقتل الخوارزمي: (لا تشمخوا بذخاً).

(٦) في كتاب الفتوح لابن أئتم الكوفي، ومقتل الخوارزمي - وأحسبه نقله من الأول - قال:

فنظر أهل المدينة إلى هذه الأبيات ثم وجهوا بها وبالكتاب إلى الحسين بن علي رضي الله عنه، فلمّا نظر فيه علم أنّه كتاب يزيد بن معاوية، فكتب الحسين الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، والسلام. والآية في سورة يونس/٤١: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ...﴾، فإن صحّت نسخة الرواية، فقد اقتبس الإمام معنى الآية.

قال: فكتب إليه عبد الله بن عباس: إنني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست أدع النصيحة له فيما يجمع الله به الألفة، ويطفي به النائرة.

ودخل عبد الله بن عباس على الحسين فكلّمه ليلاً طويلاً، وقال: أنشدك الله أن تهلك غداً بحال مضیعة، لا تأتي العراق، وإن كنت لا بدّ فاعلاً فأقم حتّى ينقضي الموسم، وتلقى الناس وتعلم على ما يصدر عنك ثمّ ترى رأيك - وذلك في عشر ذي الحجة سنة ستين. فأبى الحسين إلاّ أن يمضي إلى العراق. فقال له ابن عباس: والله إنني لأظنّك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته، والله إنني لأخاف أن تكون الذي يقاد به عثمان، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فقال الحسين: أبا العباس إنك شيخ قد كبرت.

فقال ابن عباس: لولا أن يزرى ذلك بي أو بك لنشبت يديّ في رأسك، ولو أعلم أنّا إذا تناصينا أقمت لفعلت، ولكن لا أخال ذلك نافعي. فقال له الحسين: لئن أقتل بمكان كذا وكذا أحبّ أن تُستحلّ بي - يعني مكّة -.

قال: فبكى ابن عباس وقال: أقررت عين ابن الزبير، فذلك الذي سلا بنفسه عنه.

ثمّ خرج عبد الله بن عباس من عنده وهو مغضب وابن الزبير على الباب، فلمّا رآه قال: يا بن الزبير! قد أتى ما أحببت، قرّت عينك، هذا أبو

عبد الله يخرج ويتركك والحجاز.
يا لك من قبرة بمعمر خلالك الجو فيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري^(١)

وفي رواية البلاذري، قال: «وروي أن ابن عباس خرج من عند حسين وهو يقول: واحسيناه، أنعى حسينا لمن يسمع»^(٢).

لماذا الإصرار وحوار بعد حوار؟

لقد مررنا قريباً أن ابن عباس قد كلم الحسين عليه السلام ليلاً طويلاً، ولم تكن تلك هي المرة الأولى والأخيرة، بل لقد تكررت الزيارات، وتتابع النصائح والمحاولات والمحاوَرات. وفي جميعها كان ابن عباس يبذل جهداً متواصلاً في صرف نظر الحسين عليه السلام عن التوجه إلى العراق، لأن أهله قوم عُدر، قتلوا أباه وخذلوا أخاه، ويخشى أن يسلموه عند الوثبة.

وقد قرأت له أكثر من محاورَة تشابهت لغتها، ولم تخرج في بيانها عن المحور الأساس هو الحيلولة دون خروج الحسين عليه السلام إلى العراق، ولم يرد في شيء منها صدّه عن القيام ضدّ حكومة يزيد، بل كان هو من رأى القيام ضدّ حكومة يزيد ذلك الجبار، كما سيأتي نعتة له بذلك في إحدى محاولاته ومحاوراته.

(١) الطبقات في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، تح د محمد بن صامل السلمي، ط الطائف، والحسين والسنة، تح الطباطبائي.

(٢) أنساب الأشراف ١٦١/٣، ط ١ في ترجمة الحسين عليه السلام.

ولا أستغرب منه ذلك الإصرار، لأنه كان على علم يقين بأنّ الحسين (عليه السلام) سيقتل في كربلاء بالعراق، أخذ ذلك من حديث النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله)، فهو أحد رواة حديث التربة التي أتى بها الروح الأمين إلى النبي (صلى الله عليه وآله).

فقد روى ابن كثير، قال: ((أخرج البزار في مسنده عن ابن عباس (رضي الله عنه)، قال: كان الحسين جالساً في حجر النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال جبريل: أتجبه؟ فقال: وكيف لا أحبه وهو ثمرة فؤادي. فقال: إن أمتك ستقتله، ألا أريك من موضع قبره؟ فقبض قبضة، فإذا تربة حمراء))^(١).

وهو الذي روى عن النبي (صلى الله عليه وآله) ما سمعه من خطبته عند رجوعه من سفر له وهو متغير اللون محمرّ الوجه، فخطب خطبة بليغة موجزة وعيناه تهملان دموعاً، قال فيها: (أيها الناس إنني خلفت فيكم الثقلين^(٢)): كتاب الله وعترتي وأرومتي، ومزاج مائي وثمرتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا وإنني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم به المودة في القربى، فانظروا لا تلقوني على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم، ألا وإنه سترد عليّ في القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة: راية سوداء... ثم ترد عليّ

(١) البداية والنهاية ٢٣٠/٦.

(٢) من الأحاديث المتواترة قد رواه أكثر من أربعين صحابياً، وقد قاله (عليه السلام) في أكثر من موقف وخطبة، وقد أحصيت المناسبات في رسالتي عن الحديث المذكور فكانت ستاً، أولها يوم الطائف، ثم يوم عرفة في حجة الوداع، ثم في مسجد الخيف بمنى، ثم يوم الغدير، ثم في المدينة قبل موته (عليه السلام) بأيام يسيرة، وآخرها في حجرته وقد غصت بأصحابه.

راية أخرى أشدّ سواداً من الأولى... ثمّ تردّ عليّ راية أخرى تلمع نوراً... ألا وإنّ جبرئيل قد أخبرني بأنّ أمّتي تقتل ولدي الحسين بأرض كرب وبلاء، ألا فلعنة الله على قاتله وخاذله آخر الدهر).

قال ابن عباس: ثمّ نزل عن المنبر، ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلّا وتيقّن بأنّ الحسين مقتول...^(١).

ولقد ازداد علماً على علم، و يقيناً على يقين، حين مرّ وهو مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بكربلاء في طريقه إلى صفّين، وحديثه كما رواه الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) بسنده عن مجاهد - وكلّ رواته من العامّة - عن ابن عباس، قال: ((كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفّين، فلمّا نزل نينوى وهو شط الفرات صاح بأعلى صوته: يا بن عبّاس! أتعرف هذا الموضع؟

قال: قلت: ما أعرفه يا أمير المؤمنين.

قال: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي.

قال: فبكي طويلاً حتّى اخضلت لحيته، وسالت على خديه - وبكينا معه - وهو يقول: أوه أوه، ما لي ولآل أبي سفيان، ما لي ولآل حزب الشيطان وأولياء الكفر، صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم... - ثمّ ذكر ابن عبّاس كلاماً طويلاً قاله الإمام إلى أن قال: -

(١) تاريخ ابن أعثم الكوفي ٢١٧/٤ - ٢١٨، ط دار الندوة، وعنه الخوارزمي في مقتل الحسين ١٦٢/١، ط الزهراء في النجف الأشرف.

والذي نفسي بيده لقد حدّثني الصادق المصدّق أبو القاسم عليه السلام أنّي سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها تسعة عشر رجلاً كلّهم من ولدي وولد فاطمة عليها السلام، وإنّها لفي السماوات معروفة تذكر أرض كرب وبلاء، كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس.

ثمّ قال: يا بن عبّاس! أطلب لي حولها بحر الطباء، فوالله ما كذبت ولا كذبنّي قطّ، وهي مصفرة لونها لون الزعفران.

فقال ابن عبّاس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة، فناديته: يا أمير المؤمنين! قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي.

فقال عليه السلام: صدق الله ورسوله، ثمّ قام يهرول إليها، فحملها وشمّها، وقال: هي هي بعينها، أتعلم يا بن عبّاس ما هذه البعر؟

- ثمّ حدّثه بحديثها إلى أن قال ابن عبّاس :-

ثمّ بكى بكاءً طويلاً، وبكىنا معه، حتّى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً، ثمّ أفاق فأخذ البعر فصرّها في ردائه، وأمرني أن أصرّها كذلك، ثمّ قال: يا بن عبّاس! إذا رأيته تنفجر دماً عبيطاً، فاعلم أنّ أبا عبد الله قد قتل بها ودفن.

قال ابن عبّاس: فوالله، لقد كنت أحفظها أشدّ حفظي، لما افترض الله عليّ... والله، ما كذبنّي عليّ قطّ في حديث حدّثني، ولا أخبرني بشيء قطّ أنّه يكون إلّا كان كذلك، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها

غيره...»^(١).

فبعد هذا كله كيف يستغرب من ابن عباس إصراره على صرف نظر الحسين عليه السلام عن التوجه إلى العراق. فهو حين يصرّ كان مستبصراً بالمصير المحتوم، ومتشائماً ممّا ستنتهي إليه تلك الرحلة، ومتيقناً أنّ ذلك اليوم سيكون آخر العهد بأبي عبد الله الحسين عليه السلام. وليست المسألة قضية غلبة العاطفة فحسب وإن كان لها دورها، ولكن ابن عباس كان يخشى وقوع المحذور، ويترجّى بلعلّ وعسى تأخير المقدور، ومهما يكن فهذا هو الحسين عليه السلام قد شاع في الناس خبر عزمه على الخروج، فاهتزت لذلك النبأ المشاعر الصادقة منها والكاذبة، حتّى وصف ابن عباس حالهم بالإرجاف، وهو وصف دقيق في التعبير وبلغ في التصوير، فالناس إذا خاضوا في أخبار الفتن ونحوها قيل: أرجفوا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾^(٢)، والإرجاف كالزلزال يعمّ الصديق والعدو، والمؤمن والمنافق، والذكر والأنثى.

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة في المجلس: ٨٧ بتقديمي، ط الحيدرية، وقارن ص ٢٨٤ الخراج والخراج للراوندي المطبوع منضمّاً إلى الأربعين للمجلسي، وكفاية الأثر للخزّاز، ط حجرية، والدرّ النظيم في باب مقتل الحسين عليه السلام (مخطوط).

أقول: لقد أخرج الطبراني (ت ٣٦٠هـ) في المعجم الكبير ١١١/٣ برقم ٢٨٢٥ بسنده عن أبي هرثمة، قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه بنهري كربلاء، فمرّ بشجرة تحتها بعر غزلان، فأخذ منه قبضة فشمّها، ثمّ قال: يحشر من هذا الظهر سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩١/٩ وقد أخرجه: ورجاله ثقات.

(٢) سورة الأحزاب/٦٠.

روايات في المحاورات:

لقد وردت عدة روايات عدا ما تقدّم من حوار بين ابن عباس وبين الحسين عليه السلام حول عزم الحسين عليه السلام على الخروج إلى العراق: أ- فمنها ما روى ابن جرير الطبري العامي، وابن أعثم الكوفي، والخوارزمي، وغيرهم، بتفاوت وألفاظ متقاربة، واللفظ للأول:

((قال أبو مخنف: وحدّثني الحارث بن كعب الوالي، عن عقبة بن سمعان: أنّ حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة، أتاه عبد الله بن عباس، فقال: يا بن عمّ! إنّك قد أرجف الناس، إنّك سائر إلى العراق، فيبّين لي ما أنت صانع؟ قال: إنّني قد أجمعت المسير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى.

فقال له ابن عباس: فإنّني أعيذك بالله من ذلك. أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؛ فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم، قاهر لهم، وعمّاله تجبي بلادهم، فإنّهم دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يُستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ الناس عليك.

فقال له حسين: وإنّني أستخير الله وانظر ما يكون.

قال: فخرج ابن عباس من عنده...

قال: فلمّا كان من العشي أو من الغد أتى الحسين عبد الله بن العباس فقال: يا بن عمّ! إنّني أتصبر ولا أصبر، إنّني أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إنّ أهل العراق قوم غدر، فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد

فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا، فاكتب إليهم: فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج، فسر إلى اليمن، فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس، وترحل فتبث دعائك، فإنني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية.

فقال له الحسين عليه السلام: يا بن عم! إنني والله لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكنني قد أزمعت وأجمعت على المسير.

فقال ابن عباس: فإن كنت سائراً، فلا تسر بنسائك وصبيتك، فوالله إنني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونسأؤه وولده ينظرون إليه.

ثم قال ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك - إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس - أطعني لفعلت ذلك.

قال: ثم خرج ابن عباس من عنده، فمرّ بعبد الله بن الزبير، فقال: قرّرت عينك يا بن الزبير، ثم قال:

يا لك من قبرة بمعمر خلالك الجو فيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري^(١)

(١) الرجز لطرفة بن العبد قاله وهو صغير بصطاد القبر وهو ضرب من الطير، قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: ١٤٠: إنه أول شعر قال طرفة، وقال ابن بري: هو لكليب بن ربيعة التغلبي وليس لطرفة. اللسان (قبر)، وانظر الحيوان للجاحظ ٦٦/٣ و ٢٢٧/٥.

هذا حسين يخرج بالعراق وعليك بالحجاز»^(١).

ب - ومنها ما روي ابن جرير الطبري الإمامي بسنده، عن أبي مخنف لوط بن يحيى، قال: «حدثنا عباس بن عبد الله، عن عبد الله بن عباس، قال: أتيت الحسين وهو يخرج إلى العراق، فقلت له: يا بن رسول الله! لا تخرج. فقال: يا بن عباس! أما علمت إن منعني من هناك فإنّ مصارع أصحابي هناك.

قلت له: فأني لك ذلك؟

قال: بسرّ سرّي وعلم أعطيته»^(٢).

ج - ومنها ما روى المجلسي عن الشهيد الثاني بإسناده عن ابن قولويه، وهو بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، جاء فيه قول الصادق عليه السلام: (لما تجهز الحسين عليه السلام إلى الكوفة، أتاه ابن عباس فناشده الله والرحم أن يكون هو المقتول بالطف.

فقال: أنا أعرف بمصرعي منك، وما وكدي من الدنيا إلا فراقها. ألا أخبرك يا بن عباس بحديث أمير المؤمنين عليه السلام والدنيا.

فقال له: بلى لعمري إنني لأحب أن تحدثني بأمرها...»، ثم ذكر الحديث^(٣).

(١) تاريخ الطبري ٢٩٣/٣، ط الحسينية بمصر، والفتوح لابن أعثم ١١١/٥، ومقتل الخواري ٢١٦/١ - ٢١٧.

(٢) دلائل الإمامة: ٧٤، ط الحيدرية سنة ١٣٦٩.

(٣) بحار الأنوار ٢٧٣/٨.

د - ومنها ما ورد في (ناسخ التواريخ) ما تعريبه: ((إنَّ ابنَ عَبَّاسٍ لَمَّا أَكْثَرَ فِي إلْحَاحِهِ عَلَى الْحُسَيْنِ فِي مَنَعِهِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْعِرَاقِ، تَفَاعَلَ بِالْقُرْآنِ فَكَانَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْرَحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(١))).^(٢)

وأحسب أنَّ هذه - إن صحَّت الرواية - كانت آخر المحاولات والمحاورات، وقد وردت روايات أخرى على بعض ما فيها بعض التحفظات، نذكر منها:

١- ما ورد في قول ابن عباس في محاوراة ذكرها ابن أعثم: ((وإنك تعلم أنه - العراق - بلد قد قتل فيه أبوك، واغتيل فيه أخوك، وقتل فيه ابن عمك (!؟)، وبويع يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد في البلد يُعطي ويفرض، والناس اليوم إنما هم عبيد الدينار والدرهم، ولا آمن عليك أن تقتل، فاتق الله والزم هذا الحرم.

فقال له الحسين: والله إن أقتل بالعراق أحب إليَّ من أن أقتل بمكة، وما قضى الله فهو كائن، وأنا مع ذلك استخير الله وأنظر ما يكون...))^(٣).

(١) آل عمران/١٨٥.

(٢) ناسخ التواريخ ١٢٢/٢، وإنني لا أعتَمده حجة، لعدم ذكر مؤلفه مصادره، لا لما نقل من تحريره عن السيد جمال الدين الأفغاني (جدل ومواقف في الشعائر الحسينية: ١٩١)، ط دار الهادي.

(٣) الفتوح ١١٢/٥.

ففي قوله: «(وقتل فيه ابن عمك)» - وفي بعض الروايات زيادة قوله: «(وقد بايعه أهله)» - دلالة على وصول خبر مقتل مسلم بن عقيل إلى الحسين وهو بمكة، بينما دلت روايات أخرى هي الأشهر والأظهر أنه علم بذلك في الطريق، إما في زرود، أو فيما بعدها.

٢- ومما ورد أيضاً كذلك مما لا يقبل، بل ولا يعقل مما ورد عن الفوادح الحسينية، وكما في (أسرار الشهادة)، قال: «(فالتفت الحسين عليه السلام إلى ابن عباس فقال له: ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت نبيّه من وطنه وداره وقراره وحرم جدّه، وتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقر في قرار، ولا يأوي إلى جوار، يريدون بذلك قتله وسفك دمائه، لم يشرك بالله شيئاً؟

قال له ابن عباس: جعلت فداك يا حسين! إن كان لا بدّ من السير إلى الكوفة فلا تسر بأهلك ونسائك.

فقال: يا بن العم! إنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد أمر بأمر لا أقدر على خلافه، وإنه أمرني بأخذهم معي.

وقال: يا بن العم! إنهنّ ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا آمن عليهنّ أحداً، وهنّ أيضاً لا يفارقني.

فسمع ابن عباس بكاء من ورائه، وقائلة تقول: يا بن عباس! تشير على شيخنا وسيّدنا أن يخلفنا ها هنا ويمضي وحده، لا والله بل نحیی معه ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره.

فبکی ابن عباس بكاءً شديداً وجعل يقول: يعزّ والله عليّ فراقك يا بن

العمّ، ثمّ أقبل على الحسين وأشار عليه بالرجوع إلى مكّة والدخول في صلح بني أميّة (١٢!!).

فقال الحسين: هيهات هيهات يا بن عبّاس! إنّ القوم لن يتركوني، وأنّهم يطلبونني أين كنت حتّى أبايعهم كرهاً ويقتلونني، والله لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه وقتلونني، والله إنّهم ليعتدّون عليّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت، وإنّي ماض في أمر رسول الله ﷺ حيث أمرني، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون»^(١).

فإنّ الأمر الذي قلنا أنّه غير مقبول ولا معقول، هو: مشورة ابن عبّاس على الإمام الحسين عليه السلام بالرجوع إلى مكّة والدخول في صلح بني أميّة. وهو ما عقبته بعلامات التعجب والاستفهام استنكاراً له، إذ لم يرد في أي مصدر مقبول أنّ ابن عبّاس أشار بمثل ذلك.

وإنّ في الخبر: «وأشار عليه بالرجوع إلى مكّة» فذلك يعني أنّ الحوار جرى في الطريق بعد مغادرة الحسين عليه السلام مكّة فلحقه ابن عبّاس وجرى بينهما ما تقدّم. وهذا أيضاً لم يرد في أيّ مصدر مقبول؛ فلاحظ!

وأظنّ - وظنّ الألمعي يقين - أنّ وهماً وقع من الراوي فخلط بين ابن عبّاس وبين ابن عمر، فإنّ المشير بالصلح هو ابن عمر، كما في (الملهوف).. قال السيّد ابن طاووس: «وجاءه عبد الله بن العبّاس، وعبد الله بن الزبير فأشارا عليه بالإمساك».

(١) أسرار الشهادة: ٢٢٧، ط حصرية سنة ١٣١٩هـ.

فقال لهما: إنّ رسول الله ﷺ قد أمرني بأمر وأنا ماض فيه.

قال: فخرج ابن العباس وهو يقول: واحسيناه.

ثمّ جاء عبد الله بن عمر فأشار عليه بصلح أهل الضلال وحذّره من القتل والقتال.

فقال: يا أبا عبد الرحمن! أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله تعالى أنّ رأس يحيى بن زكريا أهدي إليّ بغية من بغايا بني إسرائيل؟ أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثمّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً؟ فلم يعجل الله عليهم، بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام. اتّق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدع نصرتي»^(١).

أقول: وقد تقدّم هذا بصورة أوسع عن (الفتوح) لابن أعثم، فراجع خروج الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكّة وإقامته بها.

وراجع أيضاً أوّل هذه الفصلة (لماذا الإصرار وحوار بعد حوار)، فستجد أنّ ابن عباس يشارك الحسين (عليه السلام) في رأيه في جهاد يزيد، وسمّاه الجبار.

وحسبك أن تقرّأ ما رواه المسعودي في (المروج)، قال: ((فلما همّ الحسين بالخروج إلى العراق، أتاه ابن العباس فقال له: يا بن عمّ! قد بلغني أنّك تريد العراق، وإنّهم أهل غدر، وإنّما يدعونك للحرب، فلا تعجل، وإنّ

(١) اللهوف لابن طاووس: ٢٦ - ٢٧.

أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص إلى اليمن...»^(١).
فمن يسمي يزيد بالجبار، ويصوب محاربة الحسين عليه السلام له، كيف
يقبل أو يعقل أنه يشير عليه بمصالحته؟!

٣- ومما ورد أيضاً والعهد على راويه - وهو لا يخلو من مناقشة - ما
رواه الحافظ ابن شهر آشوب نقلاً عن كتاب التخريج (٢): ((عن العامري
بالإسناد، عن هبيرة بن يريم، عن ابن عباس، قال: رأيت الحسين قبل أن
يتوجه إلى العراق على باب الكعبة وكف جبرئيل في كفّه، وجبرئيل ينادي:
هلموا إلى بيعة الله. وعنف ابن عباس على تركه الحسين، فقال: إنّ أصحاب
الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً، نعرفهم بأسمائهم من قبل
شهودهم))^(٣).

فإنّ هذا الخبر ممّا لا يمكن قبوله بوجه ما لم تسدّ ثغرات سنده ومنتنه!
ففي إسناده:

أولاً: جهالة مؤلف كتاب التخريج (٢) ونقل ابن شهر آشوب عنه لا
يضيف الوثاقة عليه.

ثانياً: جهالة رواته وانقطاع سنده بين العامري، وهبيرة.

ثالثاً: جهالة حال العامري، وهبيرة عندنا. وقد ذكر ابن حجر ^(٣) هبيرة

(١) مروج الذهب ٦٤/٣، تح محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢١١/٣، ط الحيدرية.

(٣) تهذيب التهذيب ٢٣/١١ - ٢٤.

وذكر أقوالاً مختلفة فيه؛ فليراجع!

أمّا ما في متنه من ثغرات فهي:

أولاً: كيف رأى ابن عباس الحسين عليه السلام بباب الكعبة وكف جبرئيل في كفّه، وهو يومئذ كان مكفوف البصر؟!

ثانياً: لو أغمضنا عن الرؤية البصرية فمن أين علم أنّ المرئي كان جبرئيل، ولعلّه ملك آخر؟!

ثالثاً: لو سلّمنا بأنّه جبرئيل لإخبار المعصوم له بذلك، فلماذا لم يبادر هو إلى بيعة الله ويستجيب لندائه.

رابعاً: إنّّه أجاب لما عنّف على تركه نصرته الحسين عليه السلام: بأنّ أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً، فهذا الجواب لا يرفع عنه إصر العتاب، بل وحتّى العقاب، إذ لا فائدة من نداء جبرئيل ودعوته الناس إلى بيعة الله؟ وهو يرويه ثمّ لا يمثله.

خامساً: إنّ ذلك ينافي القول بالبداء والمحو والإثبات، ولقوله عليه السلام: (إعملوا فكلّ ميسر لما خلق له)...

سؤال يتبعه سؤال:

لماذا تخلف ابن عباس عن الخروج مع الحسين عليه السلام؟

ولماذا لم يرسل معه بعض أولاده؟

سؤالان مترتبان أولاً وثانياً منشأهما واحد ويصعب تجنبهما.

ولكن لا تستعصي الإجابة على الأوّل منهما بقدر ما تستعصي الإجابة

على الثاني منهما. وكلاهما سؤال وجيه ويفرض نفسه، وقد طرحا - وخصوصاً الأول - قديماً، وأجيب عنه بجوابات مختلفة جلّها تحمل طابع التعذير فترفع إصر التّقصير.

ومهما يكن الأمر، فإنّ بعض أعلام المتأخّرين قد اتّخذ من تخلف ابن عبّاس ذريعة للنيل منه، ووسيلة طعن فيه، بل في بقية بني هاشم بما فيهم محمّد بن الحنفية، وعبد الله بن جعفر، وأضاف إليهم ابن عمر، وابن الزبير، وآخرين.. وستأتي مقالته، وأجبت عن بعض مؤاخذاته على ابن عبّاس، وابن الحنفية، وابن جعفر..

وإن استعجلنا القارئ بالجواب ولو باختصار، فنقول له في جواب السؤال الأوّل: لماذا تخلف ابن عبّاس عن الخروج مع الحسين عليه السلام؟

اعلم، إنّ ابن عبّاس كان يومئذ مكفوف البصر، وعن مثله يسقط التكليف بالجهاد، على أنّه قد مرّ بنا في أولى محاوراته قوله للحسين عليه السلام بعد كلام جرى بينهما: «جعلت فداك يا بن بنت رسول الله! كأنك تنعى إليّ نفسك وتريد منّي أن أنصرك، فوالله الذي لا إله إلا هو لو ضربت بين يديك بسيفي حتّى ينقطع وتنخلع يداي جميعاً من كتفي لما كنت ممّن أوفى من حقّك عشر العشير، وها أنا بين يديك فمرني بأمرك.

فقال ابن عمر - وكان حاضراً - مهلاً، ذرنا من هذا يا بن عبّاس».

وأحسبه إنّما قال ذلك خشية أن يخرج هو ليقول مثل مقالة ابن عبّاس، بينما هو ممّن يرى مسالمة يزيد بالبيعة، بل ودعا الحسين عليه السلام إلى المصالحة معه. كما أنّي لا أستبعد أن يكون غرض ابن عبّاس من كلامه كان استدراج

ابن عمر إلى بذل نصرته ولو باللسان، ولكن ابن عمر أخطأ حفظه وقد وافته الفرصة، ولا غرابة منه فهو هو منذ اعتزاله بيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، ثم مبايعته لمعاوية ولابنه يزيد، واستمر على وتيرته حتى بايع الحجاج لعبد الملك بن مروان. ويشم ذلك من عدم تعقيب للإمام الحسين عليه السلام على ذلك بشيء.

كما أنه مرّ في آخر تلك المحاورة من جملة كلام الإمام الحسين عليه السلام مع ابن عباس قوله له: «فامض إلى المدينة في حفظ الله، ولا تخفي عليّ شيئاً من أخبارك...».

فهذا إذن بالانصراف، لكنّه قبل التصميم والعزم على التوجّه إلى العراق، ولكن المحاورات اللاحقة بعد ذلك كانت بعد التصميم والعزم، وهنا كان محورها نصيحة ابن عباس بعدم التوجّه إلى العراق والتحذير من خيانة أهله، والتذكير بأفعالهم وغدرهم. وفي جميعها لم ترد من الحسين عليه السلام أي دعوة لنصرته لا من ابن عباس ولا من غيره من بني هاشم. نعم، وردت دعوة ترغيب صريحة في كتابه الذي كتبه من مكّة إلى أخيه محمّد بن الحنفية، وإلى من كان قبله بالمدينة من بني هاشم، وهو مروي بسند صحيح لمن يرى ذلك في (كامل الزيارات)، وإليك نصّه:

قال ابن قولويه مؤلف الكتاب: «وحدثني أبي عليه السلام وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن علي بن إسماعيل بن عيسى، ومحمّد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن محمّد بن عمرو بن سعيد الزيات، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كتب الحسين بن عليّ من مكّة

إلى مُحَمَّد بن عليّ:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى مُحَمَّد بن عليّ وَمَنْ قَبْلَهُ من بني هاشم: أَمَّا بعد، فَإِنَّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام»^(١).

وعلى هذا النحو من الترغيب والترهيب كان كتابه الآخر الذي رواه ابن قولويه أيضاً بعد الكتاب السابق وبنفس السند إلى مُحَمَّد بن عمرو، وهو سند صحيح، ورواه مُحَمَّد بن عمرو، عن كرام عبد الكريم بن عمرو، عن ميسر بن عبد العزيز، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (كتب الحسين بن عليّ إلى مُحَمَّد بن عليّ من كربلاء: من الحسين بن عليّ إلى مُحَمَّد بن عليّ وَمَنْ قَبْلَهُ من بني هاشم: أَمَّا بعد، فكأنّ الدنيا لم تكن، وكأنّ الآخرة لم تزل، والسلام)^(٢).

فهذان الكتابان لا تشمل دعوتهما الترغيبية والترهيبية لابن عباس، لأنّه أوّلاً: كما قلنا كان مكفوف البصر، وثانياً: فَإِنَّ عنوانهما إلى مُحَمَّد بن عليّ وَمَنْ قَبْلَهُ من بني هاشم، وهو يومئذ كان بالمدينة، وابن عباس حين كتابة الأوّل كان مع الحسين عليه السلام بمكة وهو غير مشمول بالدعوة.

أَمَّا جواب السؤال الثاني: لماذا لم يرسل بعض أولاده مع الحسين عليه السلام؟ فهو يشارك الأوّل في صعوبة تجنّبه، وتستعصي الإجابة عنه بالتعذير، فَإِنَّ الكتاب الذي ذكرنا أنّ الحسين عليه السلام أرسله من مكة إلى

(١) كامل الزيارات: ٧٥.

(٢) المصدر نفسه.

محمد بن عليّ ومن قبله من بني هاشم الذين كانوا بالمدينة، لا شكّ في أنّه دعوة ترغيبية للإلتحاق بركبه الحسيني، والتخلّف عنه بغير عذر شرعي غير فائز بعظيم الأجر، لأنّه لم يبلغ مبلغ الفتح، وعلى هذا فإنّ بني هاشم الذين كانوا بالمدينة ولم يلحقوا بالحسين عليه السلام هم أولى بالتقصير منهم بالتعذير، وأولاد ابن عباس الذين كانوا بالمدينة من جملة أولئك غير المعذّرين.

ويبقى اللوم - إن صحّ التعبير - متوجّهاً إلى أبيهم - فهو إن كان معذوراً لأنّه مكفوف البصر، أما كان الأجدد به أن يصنع مثل صنع ابن جعفر حين أرسل ابنين من ولده مع الحسين لنصرته؟

وأما اعتذار بعض الباحثين ممّن أجّلّه عن ابن عباس معذراً: بأنّهم ربّما كانوا صغاراً، قول تعوزه الدقّة في المعرفة التاريخية، فإنّ في أبناء ابن عباس من ناهز العشرين سنة، بل جاوزها. كابنه العباس الأعنق وبه كان يكنّى وهو أكبرهم، أمّا أصغرهم فابنه علي - والد العباسيين - فإنّه ولد قبل شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبارك الإمام لأبيه ولادته وهو الذي سمّاه عليّاً، وله بينهما محمد والفضل وعبيد الله، وزاد المسعودي عبد الرحمن^(١)، فهم كلّهم لهم قابلية حمل السلاح ويتوجّه عليهم التكليف، وقد شملتهم دعوة الحسين عليه السلام في كتابه الأنف الذكر. هذا كلّّه إذا احتملنا أنّهم كانوا بالمدينة، ولم يكونوا بمكّة مع أبيهم، خصوصاً وأنّ أباهم كان إليه أمر السقاية وهم في موسم الحجّ، وهو

(١) مروج الذهب ١٠٩/٣.

بحاجة إلى بعض ولده ممن يساعده في الإشراف على إدارة شؤون السقاية وتدبير أمرها خصوصاً بعدما كفّ بصره.

ولو تنزلنا عن هذا أيضاً وعدنا إليهم في المدينة، أما كان عليه أن يرسل عليهم فيحضرهم ليزهّبوا مع الحسين عليه السلام فينالوا شرف المفاداة؟ وهكذا يبقى السؤال ناقص الإجابة، عصي التعذير، وحي التقصير، والله العالم بحقائق الأمور.

وكان ابن عباس على جانب من المودة والمصافاة مع الحسين عليه السلام ما يبعد عنه سوء الظن والتقصير، وكذلك كان الحسين عليه السلام يوليه عطفاً ولطفاً ويسديه نصيحة، حتى روى ابن عباس: قال لي الحسين بن علي عليه السلام: (يا ابن عباس! لا تتكلمنّ بما لا يعينك فإنني أخاف عليك الوزر، ولا تتكلمنّ بما يعينك حتى ترى له موضعاً، فربّ متكلم قد تكلم بحقّ فعيب، ولا تمارين حليماً ولا سفيهاً، فإنّ الحليم يقلبك، والسفيه يرديك، ولا تقولنّ خلف أحد إذا توارى عنك إلا مثل ما تحبّ أن يقول عنك إذا تواريت عنه، واعمل عمل عبد يعلم أنّه مأخوذ بالإجرام مجزي بالإحسان، والسلام)^(١).

واحسيناه!

ندبة المتفجع لفقده، قالها ابن عباس، بعد أن يئس من بقاء الحسين عليه السلام بمكة، ورأى من تصميمه وعزمه ما تيقنّ معه أنّ الحسين عليه السلام سائر في طريقه إلى الشهادة، وأن لا تلاقي بينهما بعد اليوم في الحياة،

(١) كتر الفوائد: ١٩٤، وأعلام الدين للدليمي: ١٤٥.

وسوف يضمّر في نفسه بصيص الأمل بصلاحها، وقد صحّ في غياب الأمل يزداد الخوف والوجل، وسوف تبقى النفوس حائرة خائرة، تجتاحها الهواجس وتتأبها الوسوس. فصار ابن عباس يترقّب المحذور وقد بدت علائمه، ولم لا يترقّب فهو أسير العاطفة الإنسانية، وهو رهين الرحم القريبة، وهو قبل ذلك وفوقه يملكه الدين بشرعية الحفاظ على حياة إمامه، فتصاعد وجيب قلبه فيما أحسب حين سمع صوت الركائب والنجائب ترغو لتحمل ركب الحسين الميمون المحزون، وهو يسمع أصوات الناس يهللون وهم يخرجون إلى منى يوم التروية، بينما الركب يتوجّه صوب العراق، فلم يتمالك على نفسه فخرج مغضباً محزوناً وهو يقول: واحسيناه^(١)، ندبة المفجوع المكروب.

وسارت القافلة، وكلّما ابتعدت في سيرها عن مكّة اقتربت من موطن الخطر الذي يخشى ابن عباس فيه نزول البلاء، فيزداد وجله ووجيب قلبه، وبقي يتطلّع الأخبار عمّا حلّ بالركب الميمون المحزون، وبلغه نزولهم بأرض الطفّ - فيما أحسب - من كتاب الحسين عليه السلام إلى أخيه محمّد بن عليّ ومَنْ قبله من بني هاشم الذي بعثه من كربلاء، وفيه: (أمّا بعد، فكأنّ الدنيا لم تكن، وكأنّ الآخرة لم تزل، والسلام)، وهذا كتاب رواه ابن قولويه^(٢).

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢١٦، ط الشريف الرضي بقم، واللهوف لابن طاووس:

٢٦ - ٢٧.

(٢) كامل الزيارات: ٧٥ وسنده صحيح، لمن يرى ذلك في تقييم أسانيد المصدر المذكور ومع هذا فتبقى علامة استفهام كبيرة عنده عن الرسول والوصول وبلوغ المأمول.

وعلم ابن عباس أنه قد حُمّ القضاء، وهذا ما حاول دفعه من قبل وقوعه. ولكن لا رادّ لأمر الله تعالى.

وقد روى الرواة: أنه لما أحاط العدوُّ بأهل البيت عليهم السلام ومنعواهم الماء وخطبهم الحسين عليه السلام وتعالّت صيحات الأطفال والنساء وسمعهم الحسين عليه السلام، قال الرواة: إنه قال: (لا يبعد الله ابن عباس) ^(١). وقالوا: فظننا أنه إنما قالها حين سمع بكائهن، لأنّه قد كان نهاه أن يخرج بهنّ.

وإنني على شكٍّ من صحّة هذا الخبر! لأنّه مقولة إنسان حائر خائر، كمن يعرضُ بضرس الندم، وهذا يبعده عن الحقيقة التي كان الحسين عليه السلام يعلمها وقد صمّم على بلوغها: (شاء الله أن يراني قتيلاً. شاء الله أن يراهنّ سبايا) ^(٢).

(١) تاريخ ابن كثير ١٧٩/٨، ط السعادة بمصر.

(٢) إلى انتهى النقل من ج ٥ من الموسوعة.

النقطة الثالثة عشرة

في سهام التجريح بين الصائبة والخائبة

لا شك أنّ نهضة الحسين عليه السلام بدءاً ونهاية، وجذراً وعطاءً، تميّزت بالخلود، لأنّها كانت هي الأنصع حجةً وحكماً، فصارت الأروع عطاءً، كما كانت هي الأشنع حرباً وبلاءً، فعاشت في تاريخ الوقائع والحروب عند المسلمين هي الأرفع ذكراً وسناءً، لما فيها من تجسيد حيٍّ لمعاني الإيمان بعدالة القضية التي من أجلها نهض الحسين عليه السلام بأسمى المعاني مع سمو الذات، ومثلت البطولة بأجلى وأحلى مظاهرها في صدق التضحية مضمخةً بدماء الشهادة، في سبيل بلوغ الفتح المنشود لصاحب النهضة، والمرصود له من قبل في عالم الوجود ليومه الموعود، فاستحقّ بذلك الوفاء والعطاء والخلود. وهذا كلّ لا شكّ فيه عند من يقرأ السيرة في تلك المسيرة، غير أنّ السؤال الذي يفرض نفسه: لماذا تخلف من تخلف عنه من نخب المسلمين من صحابة وتابعين؟

ويقوى السؤال تجريحاً يامعان عن تخلف رجال بني هاشم، وقد دعاهم الحسين عليه السلام للخروج معه؟! فقد كتب من مكة المكرمة إلى من كان منهم بالمدينة، وسمّى في العنوان محمّد بن الحنفية ومن قبله من بني هاشم: (أمّا بعد، فإنّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام)^(١).

(١) كامل الزيارات: ٧٥، ط المرتضوية في النجف الأشرف سنة ١٣٥٦هـ.

فماذا كان الجواب على هذا الكتاب؟

لا شيء في التاريخ يذكر! فمهما كنّا معذّرين لرجال لم يكونوا سبق أن شاركوا مع أمير المؤمنين عليه السلام في حروب الجمل وصفين والنهروان، فما بال من هم في مواقفهم معه مذكورين، فهل يكونوا الآن معذورين؟ مع وحدة المنظور عندهم مع الحسين عليه السلام في عدالة القضية التي نهض من أجلها أبيّ الضيم؟

إنّها عقدة مستعصية الإجابة في ركام الموروث، وإن ذكر معذّر عن تخلفهم، في ابن عباس كان مكفوف البصر، وابن الحنفية كان مريضاً، ودونهم في الغمز واللّمز كان ابن جعفر لأنّه أرسل من ولده من شارك، ولم يخرج هو، وخلّ عنك عمر الأطراف، وعبيد الله قتيل المذار تحت راية ضلالة، وقالوا عنه: قتله أصحاب المختار، فهل أولئك جميعاً كانوا مجروحين مقبوحين؟

أو أنّ في التاريخ ضبابية حجبت عنا بعض الحقائق المغيّبة؛ فإن كانت، فمن أين أتت؟ ومتى حدثت؟ ولماذا تغيّبت؟

ولقد زاد الأمر تعقيداً حين اشتدّ تنقيداً، فهل أولئك الرموز من بني هاشم كانوا مستهدفين للنيل منهم؟ ولو بإلقاء بذرة الخلاف فيما بينهم، وتشويه سمعتهم؟ وهل لقائل أن يجعل المهواة والمغواة قد ذرّ قرنهما معاوية الذي ودّ ما بقي من بني هاشم نافخ ضربة إلاّ طعن في نيّته؟ كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (والله لو دّ معاوية أنّه ما بقي من بني هاشم نافخ ضربة إلاّ

طعن في نيّطه، إطفاءً لنور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون^(١). ولم لا يصحّ على أقلّ تقدير هذا الرأي؛ ألم يمرّ بنا في أخبار حرب صفّين كتابا معاوية وعمرو بن العاص إلى ابن عبّاس، وفيهما: ((وأنت رأس الناس بعد عليّ، وأنت رأس الجمع...))^(٢)، فأغراء وتغريز، لإيجاد فجوة للتفريق بين الأخوة وأبناء العمّ، لكنّهما أساءا في التقدير، ثمّ معاوية ينشط بعد في مكيافيليته من بعد شهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد أرسل إلى ابن عبّاس وابن جعفر في تغيير اسمي ابنيهما علي وعليّ، وكنيتهما أبي الحسن أبي الحسن، إلى اسم معاوية وكنيته، وجعل لكلّ واحد منهما ألف ألف درهم، فرفض ابن عبّاس وابن جعفر ذلك، فأرسل إليهما بتغيير الكنية بضعف المبلغ المذكور، فرفض ابن عبّاس أيضاً، وقالوا: قبل ابن جعفر، ومن هنا بدأ الخلاف، وتفاقم الخطب حين أسمى ابن جعفر أحد أبنائه باسم معاوية، فأثار حفيظة بني هاشم فقاطعوه، واشتدّت المقاطعة حينما سمّى معاوية بن عبد الله ولده يزيد، فتصاعدت حمّى الخلاف والمقاطعة، وحملت ابن عبّاس وابن الحنفية على أن يكتبوا إلى ابن جعفر رسالة عتاب ممضّ، وقد ردّ عليهما بردّ مهطع، وليس بمقنع كما سيأتي ذكرها، وهكذا استطاع معاوية بسياسته الخائفة الحانقة على بني هاشم أن يفرّق بينهم بما أوتي من حول وطول.

(١) ابن قتيبة في عيون الأخبار ١/١٨٠، والمسعودي في مروج الذهب ٣/٢٨، تح محمد محي الدين عبد الحميد، وابن أبي الحديد في شرح النهج ١/١٩٧.

(٢) موسوعة عبد الله بن عبّاس / الجزء الرابع / حديث الخديعة.

أسباب ومواقف

من يقرأ تاريخ الأحداث في عهد معاوية، يجد بدايات الانفصام والتشردم بين رجالات المسلمين قد انغضت برؤوسها، وبسببه نجح معاوية في تفريق الكلمة، وإيقاع الفتنة بين العرب والموالي، وبين ربيعة ومضر من قبائل العرب، ولم يسلم من شروره حتى الذين شايعوه وبايعوه، فضلاً عن الذين نابذوه كبني هاشم وأشياعهم، فكان كما قال المرحوم العقاد: ((فلو استطاع أن يجعل من كل رجل في دولته حزباً منابذاً لغيره من رجال الدولة كافة لفعل، ولو حاسبه التاريخ حسابه الصحيح لما وصفه بغير مفرق الجماعات))^(١).

ولئلا تغيب عنا البينة، أذكر للقارئ شواهد على ما قام به معاوية من نشاط محموم في تفريق الجمع الهاشمي، والتحريش بين رجاله، في استدراج بعض نخبه إلى مهواة متابعته، ومغواة ضلالتة، وزرع الفتنة بين الرموز من بني هاشم، فمنع أولاً عنهم الخمس الذي فرضه الله لهم لسد حاجاتهم، فصاروا في معاناة العوز المالي في شدة، أودت ببعضهم إلى مشايعته على هواه، فنقم عليه الآخرون، فكانت الأسباب كالتالي:

١- منع الخمس عن بني هاشم: فقد روى ابن سعد في طبقاته^(٢) بسنده: ((عن يحيى بن شبل، قال: جلست مع علي بن عبد الله بن عباس وأبي جعفر

(١) معاوية في الميزان ضمن موسوعة العقاد ٦٦٣/٣، بواسطة كتاب عليّ إمام البررة ٣/٣٩٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٢٨٨/٥، ط أوروبا.

محمد بن علي فجاءهما آت فوق بعمر بن عبد العزيز فنهياه، وقال: ما قسم علينا خمسٌ منذ زمن معاوية إلى اليوم، وأن عمر بن عبد العزيز قسمه على بني عبد المطلب.

وروى ابن سعد أيضاً... فاجتمع نفر من بني هاشم فكتبوا كتاباً وبعثوا به مع رسول إلى عمر بن عبد العزيز يتشكرون له ما فعله بهم من صلة أرحامهم، وأنهم لم يزالوا مجفئين منذ كان معاوية، فكتب عمر بن عبد العزيز: قد كان رأيي قبل هذا اليوم...^(١).

وروى ابن سعد أيضاً بسنده: ((عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: أول ما قسمه عمر بن عبد العزيز مال بعث به إلينا أهل البيت، فأعطى المرأة منّا مثل ما يعطى الرجل، وأعطى الصبيّ مثل ممّا تعطى المرأة، قال: فأصابنا أهل البيت ثلاثة آلاف دينار، وكتب لنا: إنّي إن بقيت لكم أعطيتكم جميع حقوقكم))^(٢).

وروى ابن سعد أيضاً: ((إنّ فاطمة بنت الحسين عليه السلام كتبت إليه تشكر له ما أمر به من تقسيم مال الكتيبة - التي هي سهم الله ورسوله من خير - وقالت في كتابها: فقد كانت أصابتنا جفوة، واحتجنا إلى أن يعمل فيها بالحق، فأقسم لك بالله... لقد اختدم من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان لا خادم له، واكتسى من كان عارياً، واستنفق من كان لا يجد ما يستنفق، وبعثت إليه

(١) طبقات ابن سعد ٢٨٩/٥.

(٢) المصدر نفسه.

رسولاً، فأعطى الرسول عشرة دنانير وبعث إلى فاطمة خمسمائة دينار، وقال: استعيني بها على ما يعروك، وكتب إليها بكتاب يذكر فضلها وفضل أهل بيتها، ويذكر ما أوجب الله لهم من الحق...»^(١).

فمن كان يعيش بمثل تلك الضائقة المادية التي مرّ وصف بعض جوانبها كيف سيكون حاله إذا عرض له معاوية مالا ليستظهر به معه على الآخرين، ولا يرى صاحب الحاجة في ذلك ما يثلم له به ديناً ولا مروءة، فيستجيب على كره منه، وللضرورة أحكامها، وفي التاريخ تزويق وتزييف، وفيه تحريف وتخريف...

٢- سياسة التكليف بالسبّ لعليّ عليه السلام وإلاّ السيف، فقد كان معاوية قد اتخذ المال ذريعة لشراء ذمم الرجال، ومن أبي بعنف، فيعنف هو له فيأمره بالسبّ، فمن أبي ففي السيف ما ينهي الحال فيما عجز عنه المال والمداواة، وقد روي له شواهد في هذا مع بني هاشم، منذ ألجأهم الزمان بالوفود عليه في الشام، أليس هو الذي قال لعقيل بن أبي طالب - وهذا كان زوج فاطمة بنت عتبة وهي خالة معاوية - إنّ عليّاً قد قطعك ووصلتك، ولا يرضيني منك إلاّ أن تلعه على المنبر، قال: أفعل، فأصعده، فصعد ثمّ قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيّها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب، فالعنوه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.. ثمّ نزل، فقال له معاوية: إنّك لم تبيّن أبا يزيد من لعنت بيني وبينه؟

(١) المصدر نفسه.

قال: والله لا زدت حرفاً ولا نقصت آخر، والكلام إلى نية المتكلم»^(١). فلم يزل معاوية على كفره يحقن على بني هاشم، حتى بعد أن استبدَّ بالحكم، فيوسعهم شتماً بقوارص الكلام، فيسمعهم ما يهين ويشين، وأنى يسلم منه ابن عباس أو ابن جعفر، وهو الذي لم يرع لعقيل سنّه وشأنه، ولا صهره إذ كان زوج فاطمة بنت عتبة، وهي خالة معاوية، كما مرّ شاهد هذا وفي أخباره مع بني هاشم أكثر من هذا.

٣- عقدة الأسماء لدى معاوية، وهي عقدة العقد.

روى ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق) بسنده: ((قال: ...ولد أبو محمّد علي بن عبد الله بن عباس سنة أربعين بعد قتل عليّ بن أبي طالب^(٢) فسمّاه عبد الله بن عباس عليّاً، وكناه بأبي الحسن، وولد معه في تلك السنة

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٢٩/٤، تح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٦٣هـ وقد عقد ابن عبد ربّه في كتابه العقد الفريد كتاباً باسم كتاب المجنبه في الأجوبة صدّره بمقدمة تحكي واقع حال المستجيب إذ يؤخذ على غرة، فيعجل في الجواب على البديهة، وذكر فيه لعقيل بن أبي طالب مع معاوية من الأجوبة المسكتة المخجلة، نحو قول معاوية لأصحابه وقد دخل عليه عقيل: هذا عقيل عمّه أبو لهب، قال له عقيل: وهذا معاوية عمّته حمالة الحطب، ثمّ قال يا معاوية، إذا دخلت النار فاتخذ ذات اليسار، فإنّك ستجد عمّي أبا لهب مفترشاً عمّتك حمالة الحطب، فإظهار أيّهما خير، الفاعل أم المفعول به، كما ذكر لابن عباس، وللحسن والحسين وابن جعفر ولأبي سعيد بن عقيل ولذكوان مولى الحسين عليه السلام من الأجوبة المسكتة حين كان معاوية يحرش بينهم وبين من حضره من جلسائه، فراجع تجد المعجب المطرب.

(٢) لقد مرّ في ج ٣٩٧/٥ من الموسوعة تحقيق خير ولادة علي بن عبد الله بن عباس، وأنّها كانت في أيام الإمام عليه السلام وقبل شهادته، وهو الذي سمّاه عليّاً، وكناه بأبي الحسن؛ فراجع!

لعبد الله بن جعفر غلام فسمّاه عليّاً، وكناه بأبي الحسن، فبلغ ذلك معاوية، فوجّه إليهما أن انقلا اسم أبي تراب وكنيته عن ابنيكما وسمّيهما باسمي وكنيتهما بكنيتي ولكل واحد منكما ألف ألف درهم، فلمّا قدم الرسول عليهما بهذه الرسالة، سارع في ذلك عبد الله بن جعفر فسمّى عبد الله بن جعفر ابنه معاوية، وأخذ ألف ألف درهم، وأمّا عبد الله بن عباس فإنه أبى ذلك، وقال: وحدّثني عليّ بن أبي طالب عن النبي (عليه السلام)، أنّه قال: (ما من قوم يكون فيهم رجل صالح فيموت فيخلف فيهم مولود فيسمّونه باسمه، إلّا خلفهم الله بالحسن)، وما كنت لأفعل ذلك أبداً، فأتى الرسول معاوية فأخبره بخبر ابن عباس، فردّ الرسول وقال: فانقل الكنية عن كنيته ولك خمسمائة ألف، فلمّا رجع الرسول إلى ابن عباس بهذه الرسالة، قال: أمّا هذا فنعم، فكناه بأبي محمّد^{(١)(٢)}.

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٣/٤٤، تح علي شيري.

(٢) فهذا الخبر لا يخلو من علامات استفهام في صحّته:

أولاً: في تاريخ الولادة، وقد أشرت فيما قبل هذا وأنها قبل شهادة الإمام عليه السلام لا بعدها.

وثانياً: في مسارعة استبدال ابن جعفر اسم ابنه علي باسم معاوية، وذلك لم يكن ثمّة تبديل، بل كان اسم علي بن عبد الله بن جعفر باقياً، ولم يستبدل ويعرف بعلي الزينبي، لأنّ أمّه زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام، وهذا كان صهراً لعبد الله بن عباس على ابنته لبابة، وله منها ولده محمّد، وأدرك جدّه ابن عباس وروى عنه وعمره سبع سنين، نعم سمّى عبد الله بن جعفر بعض أبنائه باسم معاوية، وهذا الذي أثار عليه حفيظة بني هاشم، ولكن متى؟

فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣٦٨/١٩، فقال: ولد لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولد ذكر فبشّر به، وهو عند معاوية بن أبي سفيان، فقال له معاوية: سمّه باسمي ولك خمسمائة ألف درهم، فسمّاه معاوية فقبضها منه، وقال: اشتر بها لسمي ضيعة، ونقل نحو هذا صاحب ت

أقول: فإن صح ما في هذا الخبر، فهو بداية تصرف مهين مشين لابن جعفر، ومنه كان السبب في غضب بني هاشم عليه، ومقاطعتهم له، فقد ذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) أن أول من سمى ابنه معاوية من بني هاشم هو عبد الله بن جعفر، ولما سمّاه هجره بنو هاشم فلم يكلموه حتى توفي^(١).

وقد ذكر ابن حزم في (جمهرة أنساب العرب)^(٢) معاوية بن عبد الله بن جعفر، وذكر عقبه، فذكر منهم يزيد بن معاوية، وأن له ولد اسمه خالد بن يزيد.

ففي هذا التماذي في التسمية بأسماء معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، وخالد بن يزيد بن معاوية، ما زاد في غيظ بني هاشم، ولم يستطيعوا التعذير، فكتب محمد ابن الحنفية وعبد الله بن عباس إلى عبد الله بن جعفر الطيار لما سمى ولده باسم عدوه رسالة عتاب وتوبيخ هذا نصّها:

⇨

نسمة السحر؛ فراجع ج ٢/٢٩٤، ط دار المؤرخ العربي سنة ١٤٢٠هـ

وثالثاً: في قبول ابن عباس بتبديل الكنية من أبي الحسن إلى أبي محمد، فإن ابن عساكر نفسه روى بعد هذا الخبر، أن علي بن عبد الله بن عباس قدم على عبد الملك بن مروان من عند أبيه، قال له عبد الملك: ما اسمك؟ قال: علي، قال: أبو من؟ قال أبو الحسن، قال: أتجمعهما عليّ؟ حول كنيته لك مائة ألف، قال: أما وأبي حيّ فلا، قال: فلما مات عبد الله بن عباس كنّاه عبد الملك أبا محمد.

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١١٠، ط حجرية سنة ١٢٨٥هـ

(٢) جمهرة أنساب العرب: ١٨.

((من محمد بن الحنفية، من الأخ الحذب، المعمود النصب، ذي البيت المنتجب، المرفوع الطنب، إلى المدنس أثوابه، والمقوض أطنا به. أما بعد، فإننا لا نزال ندأب في ذكرك، ونعجب من أمرك، لرغبتك عن أسمائنا، وتسميتك بأعدائنا، أمن قل في المال وأنت من الأجواد، تبع ابن آكلة الأكباد بتسمية الأولاد، فكاد بك شر مكاد، فذهب بفخارها، وذهبت بعارها، أنت لبيتك هادم، ولدينك حاطم، فتب إلى ربك، واستغفر لذنبك والسلام)). فأجابهما: ((من عبد الله بن جعفر الطيار، إلى محمد ابن قسيم الجنة والنار.

أما بعد، فقد ورد إلي كتابكما، تذكران فيه أنكما ما تزالان في ذكرى، وتعجبان من أمري، بتسميتي بعض بني، باسم الأموي الغوي، وهذا أبوك، وهو إمام عالمه، سمى بنيه بأسماء أهل مظالمه، لم يعف أسماءهم، وقد عرف أنباءهم، إذ زحزحوه عن مقامه، وألدوا في خصامه، فلا غرو أنني أبوء بحجته، وأسعى على محجته، وإنما جعل الله الأسماء علامة بين مشبهه الخلق، ولم يجعلها داعية إلى باطل أو حق.

وقلت: إنني لبيتي هادم، وكيف يهدم بيت رسول الله ﷺ وعلي جعفر حيطانه، والحسنان أركانه، والهاشميون جيرانه، والمؤمنون ضيفانه.

وقلت: إنني لديني حاطم، بل من قعد عن نصره أخيه الحسين ألوم، ولدينه أحطم، إذ قعدت عنه ولم تواسه في يوم حومته وبأسه، وأنا المفدي به بمالي وولدي وصفدي، ثم إنك طفقت تسفه رأيي، وأنا شبه رسول الله ﷺ،

قال لي رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَبَاكَ شَبَّهَنِي وَشَبَّهَ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَأَنْتَ شَبَّهَ أَيْبِيكَ)، فَإِلَى اللَّهِ أَشْكُو ذَوِيَّ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ^(١).

أقول: والبحث في سبب المقاطعة يرجع إلى ما فعله معاوية من محاولة تغيير الأسماء، وقد نجح في كيدهِ إلى حدٍّ ما، فطالت سهام التجريح ابن جعفر.

ولمّا كانت نهضة الحسين عليه السلام هي المحكّ الصادق في الموالاة والمعاداة، فقد جرى تراشق بين ابن جعفر مع ابن الحنفية في جواب كتابه، بأن عيّره بالتقصير في نصرة الحسين عليه السلام، فكانت بعض السهام صائبة، وجرت الولايات على الجميع، وكشفت عن حدوث فجوة ونبوة بين النُخب من رجال بني هاشم، وصلت إلى حدّ القطيعة حتّى بين الأخوة من أبناء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وما كان ذلك يحدث لولا دسائس معاوية الذي ضيق الخناق مادياً على بني هاشم، فساوم على الولاء له والبراءة من مبادئهم عقيدة وحسباً ونسباً، فأحجم عن تلك المزالق من صمد مدافعاً ورافضاً، وانهار فيها من اضطرتته الضائقة المادية، فكان الشرخ عظيماً بين أبناء الهاشميين سلوكاً، مع وجود ظاهرة التماسك الأسري مصاهرة.

فحين نجد عمر الأطراف ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام متزوجاً أسماء ابنة عمّه عقيل بن أبي طالب، ومنها ولده محمد بن عمر وهو الذي مرّ

(١) المجموع في الآداب والحكم للسيد ابن باقي القرشي الحلّي من أعلام القرن السابع: ٣٧٠، ط دار التراث في النجف الأشرف.

حديثه، لم نجد لعمر المذكور أيّ تعاطف ظاهر مع الباقيين من أسر الشهداء من آل عقيل فضلاً عن غيرهم من أبناء الحسينين أو الجعفرين، وهذا ما أباح تناوله بالتجريح كما في مواقفه مع ابن الزبير فقد بايعه، ثمّ بايع بعده الحجاج لعبد الملك، وأنه تخلف عن أخيه الحسين عليه السلام ولم يسر معه، وكان قد دعاه إلى الخروج معه.

ويقال: أنّه لمّا بلغه قتل أخيه خرج في معصفرات له، وجلس بفناء داره وقال: أنا الغلام الحازم، ولو خرجت معهم لذهبت في المعركة^(١).

وذكر مصعب بن الزبير في نسب قريش: قتل العباس بن عليّ بعد أخوته، فورثهم إذ لم يكن لهم ولد، وورث العباس ابنه عبيد الله، وكان محمّد بن الحنفية وعمر حيين، فسلم محمّد لعبيد الله ميراث عمومته، وامتنع عمر حتّى صولح وأرضي من حقّه^(٢)، إلى غير هذا ممّا قيل فيه.

وليس دونه في التجريح عبيد الله بن عليّ بن أبي طالب الذي أمّه ليلى النهشلية، فهو الذي قد أتى المختار بالكوفة وسأله فلم يعطه، فخرج إلى مصعب بالبصرة فكان معه، وقتل بالمدار قتله أصحاب المختار فيما قيل، وقبره بالمدار = ميسان^(٣)، ولم يذكر له أيّ موقف مشرّف مع الحسين عليه السلام.

(١) عمدة الطالب لابن عنبه: ٣٦٢، ط الحيدرية سنة ١٣٨٠هـ

(٢) نسب قريش لمصعب الزبيري: ٤٢، ط دار المعارف - القاهرة.

(٣) المدار = ميسان.

طبقات ابن سعد ٨٦/٥ - ٨٨، ط أوروبا وفيها تفصيل عن مجيئه إلى المختار، ثمّ إلى مصعب، ثمّ ما قيل في مبايعة ناس له، ثمّ احتياله لمصعب في مصاحبته بعد أن كان قد تركه عند أخواله.

لا في حياته ولا بعد شهادته، كما لم أقف له على مصاهرة مع أحد من بني هاشم كما كانت لعمر الأطراف.

بينما ذكر النسّابون أنّ عبد الله بن جعفر الذي تناوله مبضع الجراح، وعيب عليه تسمية بعض أبنائه لمعاوية باسم عدوّه معاوية بن أبي سفيان، فقد ذكروا له ابنه الآخر الذي كان اسمه عليّاً وأمّه زينب ابنة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فعرف بعلي الزينبي، وهذا كان قد تزوّج لبابة بنت عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب، فولد له منها محمّد الذي روى عن جدّه لأُمّه، في حين أنّ محمّد بن الحنفية الذي كتب رسالة العتاب والتوبيخ إلى ابن جعفر وشاركه ابن عباس فيها، لم يذكر بينهما قرى مصاهرة بين أولادهما، سوى ما ذكر أنّ أبا هاشم بن محمّد بن الحنفية تزوّج فاطمة بنت محمّد بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، فأولدها محمّداً ولبابة، وهذه المصاهرة ليست مع ابن عباس الحبر، بل مع أخيه عبيد الله الذي قد صاهره من قبل العباس الشهيد بكر بلاء، فتزوّج ابنته لبابة فأولدها ابنه عبيد الله ومنه العقب، وقد زوّجه الإمام السجاد (عليه السلام) أربع حرائر عقائل كرام: رقية بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وأمّ علي بنت علي بن الحسين بن عليّ (عليه السلام)، وأمّ أبيها بنت عبد الله ابن معبد بن العباس، ومنها كان الولد، وابنة المسور بن مخرمة ولم تلد له.

وكانت كذلك قرى المصاهرة بين محمّد بن عمر الأطراف والإمام زين العابدين (عليه السلام)، حيث زوّجه ابنته خديجة^(١).

(١) سرّ السلسلة العلوية: ٩٠، ط الحيدرية، وجاء في طبقات ابن سعد ٢٤٤/٥، ط أوربا: أنّه أولدها عمر، وعبد الله، وعبيد الله، وكلّهم قد روي عنه الحديث.

شبهات وأوهام

لقد صدر سنة ١٣٦٨هـ كتاب بالفارسية باسم (كشف أسرار)، يبحث عن النهضة الحسينية، للسيد عبد الله البلادي المتوفى سنة ١٣٧٣هـ ومؤلفه أحد أعلام تلامذة الشيخ الآخوند الخراساني رحمته، الزعيم الروحي من مؤيدي المشروطة في اتجاهه السياسي، وجلّ تلامذته مثله، ومنهم السيد المؤلف رحمته، فكان من منطلق منظوره السياسي إلى النهضة الحسينية كتب كتابه ذلك، وفي الكتاب تحامل بغير إنصاف على جملة من رموز الصحابة والتابعين الذين عاصروا نهضة الإمام الحسين عليه السلام، ولم يشاركوا فيها عملاً، فيذكر في أحد عناوين كتابه بما ترجمته: «(في بيان مظلومية الحسين عليه السلام وذكر الذين ساعدوا بتقاعسهم على توفير أسباب قتله)». ثم ذكر عدّة أسماء، فكان منهم من بني هاشم ثلاثة، وهم:

١- محمّد بن الحنفية.

٢- عبد الله بن عباس.

٣- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

فقال في صفحة (١٠ - ١١) ما ترجمته: «(يجب أن يُعلم أنّ من الأمور الهامة التي غفل عنها قرآء المنابر، بيان مظلومية الحسين عليه السلام من عدّة جهات، منها: أنّ بعض أكابر أرحام الحسين عليه السلام من الذين كانوا السبب في شهادته...)».

ثمّ تحامل بظلم عليهم، وأنّهم سوف يتعرّضون للمساءلة يوم الحساب قبل مساءلة قتلة الحسين (عليه السلام) في كربلاء، وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) سيسألهم: لماذا خذلتكم الحسين وتركتموه وحده؟! فاستوحده يزيد وأتباعه، حيث رأوكم بقيتكم متخلفين عنه وقد خرج من الحجاز قاصداً إلى الكوفة... وهذا التخلف هو الذي سبّب جرأة يزيد وأتباعه على قتله (عليه السلام) بتلك الصورة المؤلمة البشعة الفظيعة، التي تحيّرت منها العقول، وأدهشت الأمة بالذهول، وأصابتها بالحزن إلى يوم القيامة.

ثمّ قال ما ترجمته: «ومن المسلّم أنّ أولئك النفر لو خرجوا مع الحسين (عليه السلام) وأعلنوا وحدة كلمتهم معه في نهضته، لمّا تجرّأ يزيد وابن زياد ومن شايعهم من الملاحدة على مخاصمتهم جميعاً، بل حتّى لم يجدوا أعوانا يساعدونهم على ارتكاب تلك الجريمة والفاجعة الأليمة التي حدثت في تاريخ الإسلام، على حسب الأسباب الدنيوية، وإن كانت مسألة شهادة الحسين (عليه السلام) من الأمور التي كانت أزلية وحتمية الوقوع، لكن لمّا كانت جميع الوقائع تتوقّف على أسبابها وعللها، لذا كان تقاعد أولئك النفر هو السبب، بل صاروا هم العلة لحدوث تلك الحادثة، خصوصاً وجلّهم قد سمع من النبي (صلى الله عليه وآله) ما قاله في الحسين (عليه السلام) وفضله وفضل أبيه وأخيه، فهم كانوا يعرفون الحسين (عليه السلام) معرفة تامّة ومع ذلك تخلفوا وحرّموا أنفسهم من فضل عظيم، وحرصوا على دنياهم (?) وظنّوا أنّهم يسامتون الحسين (عليه السلام) في المنكب والموكب، فحاشا وكلاً».

وقال في صفحة (١٢) بعد ذكر فضل المستشهدين مع الحسين (عليه السلام)،

ثم عرّض بمجموع الذين ذكرهم بمن فيهم رجال بني هاشم، فقال ما ترجمته: ((إنهم كانوا من وجوه أهل المدينة، والناس يجلبونهم، ويعبرون عنهم بالسيادة، مع أن كلاً منهم كان يسعه نصره الحسين عليه السلام بنحو ما، ولكنهم لم يفعلوا، مع أن الإمام عليه السلام طلب منهم ذلك قبل مغادرته الحجاز في خطبته الشهيرة البليغة التي قال فيها: (خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة)... الخ، حيث قال: (فمن كان باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى)، فلم ينهض معه أحدٌ منهم، لأغراض شتى، فبعضهم لحقد سابق كامن في صدورهم على الحسين وأبيه، وبعضهم لارتباطهم بمعاوية ويزيد، وسنقدم بياناً عن كل واحد منهم على وجه الإجمال لمعرفة حاله، وتخلّفه عن نصره الحسين عليه السلام فأخّر نفسه عن الفضل في الدنيا والآخرة)).

ثم عدد مساوي كل واحد ممّن ذكرهم، فقال في صفحة (١٢ - ١٣):

((الأول: محمد بن الحنفية.

أولاً: كلامه مع أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين: إنك بعثتني إلى الموت مرتين، وهذا أخوأي خلّفتهما عند ظهرك، لئلا يصل إليهما سوء، فتأثر أمير المؤمنين عليه السلام من كلامه وضربه في صدره، فقال له: (أدركك عرق من أمك ؟)، أنت ولدي وهذان ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله، أنت يدي وهذان عينا، وأنا أدفع بيدي عن عيني)، كلامه ذلك معروف في التاريخ.

ثانياً: وكذلك قصة المختار بن أبي عبيدة معه، واستئذانه في الانتقام من قتلة الحسين عليه السلام وإعطائه الأذن دون أن يعلمه بأن ولي الدم هو الإمام

زين العابدين، ومنه يكون الاستئذان، حتّى أنّ أهل الكوفة ردّوا كتابه ولم يقبلوه، فاضطر المختار أن يكتب ثانياً إلى الإمام زين العابدين يستأذنه في ذلك.. أيضاً كلّ ذلك مذكور في التاريخ.

ثالثاً: وكذلك قصّة محاكمته مع الإمام سيّد الساجدين في الكعبة، وشهادة الحجر الأسود على إمامة زين العابدين عليه السلام، مشهورة مذكورة.

رابعاً: وكذلك قصّة لحوقه الحسين عليه السلام في الطريق بعد خروجه من المدينة بأمر والي المدينة، لأجل أن يرجعه عن قصده واستصحابه أخا الوالي ليكون له شاهداً بأنّه لم يكن موافقاً للحسين عليه السلام في رأيه، أيضاً ذلك مذكور في التاريخ (؟).

خامساً: وكذلك اعتقاد فرقة الكيسانية بإمامته، وأنّه الإمام الغائب، ولم ينههم، وهذا مشعر برضاه من أوّل الأمر. والحال أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أوصى بإمامة الحسن والحسين، وقال: (أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين)، ولم يقل في إمامة ابنه محمّد شيئاً، ولو كان محمّد أهلاً للإمامة لقال فيه أبوه قولاً.

وأقوى شاهد على كلّ المدّعى: أنّ جميع أخوة الحسين عليه السلام سافروا معه إلى العراق إلّا هو لم يذهب معهم (؟).

سادساً: والرواية النبوية (واسمه اسمي، وكنيته كنيّتي)، ليس لها مستند صحيح، بل أنّها من وضع الكيسانية، وعلى فرض صحّتها، ترجع إلى الإمام الغائب الثاني عشر (عجل الله تعالى فرجه).

سابعاً: وقال في صفحة (١٤) ما ترجمته: ((وكذلك كلامه بعد وقوفه

على شهادة سيّد الشهداء عليه السلام، وتعزّيته بذلك العظيم، فإنّه لم يذكر في كلامه حتّى إشارة إلى شهادته ومظلوميته، وظلم الظالمين له، إذ قال: ((رحمك الله يا أبا محمّد... الخ))، فيعلم من هذا أنّه لا يريد التنديد بالظالمين، ولا بذكر شهادة ذلك الإمام العظيم، وهذا أقوى شاهد على المدّعى، فلا بدّ أنّه قد أعدّ جواباً لمساءلة الله والنبي صلى الله عليه وآله وأبيه عليّ والصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام له (؟).

ثامناً: ثمّ إنّ هذا المؤلّف صار يفاضل بين الأخوين أبي الفضل العبّاس ابن علي عليه السلام شهيد الطفّ، وبين محمّد بن الحنفية.. فالأوّل أفضل من الآخر بكثير، لأنّ الحسين عليه السلام دعا محمّداً لنصرته فلم ينصره، بينما نصره أبو الفضل حتّى فداه بنفسه، ولم يقبل أمان ابن سعد الذي جاء به الشمر إليه، ثمّ قال: وممّا يدلّ على المدّعى: أنّ الحسين لم يعتن بمحمّد حين نادى مستغيثاً بعمّ أبيه حمزة، وبعمّه جعفر، وبمسلم ابن عمّه، وهانئ الذي فداه ونصره (؟)، والحسين عليه السلام ندب أخاه العبّاس ولم يندب أحداً من مثل محمّد وباقي مشايخ الحجاز (؟)، ولذلك قال المعصوم في حقّ العبّاس عليه السلام: (الراغب فيما زهد فيه غيره من الثواب الجزيل والثناء الجميل). اهـ.

أقول: إنّ مجمل القول فيما ذكره مؤلّف كتاب (كشف أسرار) في المقام ساقط بالمرّة عن الاعتبار! إذ لم يذكر مصادره التي اعتمدها، وإنّ مؤاخذاته لابن الحنفية التي ذكرها ملخّصة بعدّة نقاط كما مرّ ذكرها؛ فللردّ عليها نقول:

أولاً: ما ذكره من كلامه في صفّين في شأن الحرب وردّ أبيه بقوله:

(أدركك عرق من أمك) لم يكن كذلك، بل كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه قالها يوم حرب البصرة وقد أعطاه رايته العظمى وأوصاه بقوله: (يا بني! تزول الجبال ولا تزل، عضّ على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدميك، ارم ببصرك أقصى القوم، وغضّ بصرك، واعلم أنّ النصر من الله)^(١).

وشدّ رجل من الأزد على محمد بن الحنفية وهو يقول: يا معشر الأزد كروا، فضربه محمد بن الحنفية فقطع يده، فقال: يا معشر الأزد فروا^(٢).

وخرج عوف القيني [الضبي ظ] قائلاً:

يا أمّ يا أمّ خلا منّي الوطن لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن

فقتله محمد بن الحنفية^(٣).

وقد روى الشيخ المفيد في كتابه (الجمال) مواقف ومشاهد لمحمد بن الحنفية أذكرها عنه باقتضاب للدلالة على عطف أبيه عليه، ومكانته لديه، فقال:

((...ثمّ دعا ابنه محمد بن الحنفية، فأعطاه الراية وهي راية رسول الله ﷺ وقال: (يا بني هذا راية لم تردّ قطّ، ولا تردّ أبداً).

قال محمد: فأخذتها والريح تهبّ عليها، فلمّا تمكنت من حملها، ثارت الريح على طلحة والزبير وأصحاب الجمل، فأردت أن أمشي بها.

(١) بحار الأنوار ١٧٤/٣٢، تح المحمودي.

(٢) بحار الأنوار ١٧٥/٣٢.

(٣) بحار الأنوار ١٧٥/٣٢، والوصية في نهج البلاغة.

فقال أمير المؤمنين: (قف يا بُنيَّ حتّى آمرُك)...

ثمّ قال محمّد بن الحنفية (رضي الله عنه): فقال لي أمير المؤمنين عليه السلام:
(رايتك يا بُنيَّ قدّمها))^(١).

((...وقال محمّد بن الحنفية: قال لي أبي حين زحف القوم نحونا: (قدّم اللواء)، فقدّمته، وزحف المهاجرون والأنصار، فلمّا رآني القوم قد زحفت باللواء بارزاً عن أصحابي رشقوني رشقة رجل واحد، فوقفت مكاني، اتقيت منهم، وقلت: ينقضني رشقهم في مرّة أو مرّتين ثمّ أقدم، فلم أشعر إلاّ وأمير المؤمنين عليه السلام قد ضرب بين كتفيّ بيده، ثمّ أخذ اللواء مني بيده ونادى: (يا منصور أمت)، فوالله ما سمعت القوم حتّى رأيتهم وقد زلزلت أقدامهم، وارتعدت فرائصهم، وألقي بعضهم ببعض وتزايلاوا...))^(٢).

((قال محمّد بن الحنفية رحمته الله: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: (تقدّم يا بني باللواء)، وصف أصحابه، فجعل الحسن عليه السلام في الميمنة، والحسين عليه السلام في الميسرة...))^(٣).

قال المفيد رحمته الله: ((روى الواقدي، قال: حدّثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل، عن أبيه، عن محمّد بن الحنفية، قال: لمّا نزلنا البصرة، وعسكرنا بها، وصففنا صفوفنا، دفع أبي عليّ عليه السلام إليّ اللواء وقال: (لا تحدّث شيئاً

(١) الجمل للمفيد: ٣٤١ - ٣٤٢، ط سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد.

(٢) الجمل: ٣٤٣.

(٣) الجمل: ٣٤٨.

حتى يحدث فيكم)، ثم نام، فنالنا نبل القوم، فأفرعته، ففرع وهو يمسح عينيه من النوم، وأصحاب الجمل يصيحون: يا لثارات عثمان، فبرز عليه السلام وليس عليه إلا قميص واحد.

ثم قال: (تقدّم باللواء)، فتقدّمت.

فقلت: يا أبت! أفي مثل هذا اليوم بقميص واحد؟

فقال عليه السلام: (أحرز أمراً أجله، والله قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنا حاسر أكثر ممّا قاتلت وأنا دارع...)، ودعا بدرعه البتراء، ولم يلبسها بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا يومئذ، فكان بين كتفيه منها وهن، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده شمع نعل.

فقال له ابن عباس: ما تريد بهذا الشمع يا أمير المؤمنين؟

فقال: (أربط بها ما قد توهّن من هذا الدرع من خلفي).

فقال ابن عباس: أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا؟

فقال عليه السلام: ولم؟

قال: أخاف عليك.

فقال: (لا تخف أن أوتى من ورائي، والله يا بن عباس! ما وليت في زحف قط).

ثم قاله له: (البس يا بن عباس)، فلبس درعاً سعدية، ثم تقدّم إلى الميمنة.

فقال: (احملوا)، ثم أتى إلى الميسرة، فقال: (احملوا)، وجعل يدفع في

ظهري ويقول: (تقدّم يا بُني)، فجعلت أتقدّم وكانت إياها حتّى انهزموا من كلّ وجه»^(١).

((وروى الواقدي، عن هشام بن سعد، عن شيخ من مشايخ أهل البصرة، قال: لمّا صفّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام صفوفه... قال: ادعوا إليّ ابني.

فدعي له محمّد بن الحنفية، فجاء وهو يومئذ ابن تسع عشرة سنة، فوقف بين يديه، ودعا بالراية فنصبت، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: (أمّا إنّ هذه الراية لم تُردّ قطّ، ولا تردّ أبداً، وإنّي واضعها اليوم في أهلها)، ودفعها إلى محمّد، وقال: (تقدّم يا بُني)، فلمّا رآه القوم قد أقبل والراية بين يديه تضعضعوا...)»^(٢).

((وروى الواقدي، قال: حدّثني عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن أبيه، قال: لمّا سمع أبي أصوات الناس يوم الجمل وقد ارتفعت، فقال لابنه محمّد: (ما يقولون؟) قال: يقولون يا ثارات عثمان...)»^(٣).

((...فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بتسوية الصفوف، حتّى إذا اعتدلت دفع الراية إلى ابنه محمّد بن الحنفية، وقال: (تقدّم بالراية، واعلم أنّ الراية أمام أصحابك، فكن متقدّماً يلحقك من خلفك، فإن كان لمن يتقدّم من

(١) الجمل: ٣٥٥.

(٢) الجمل: ٣٥٦.

(٣) الجمل: ٣٥٧.

أصحابك جولة رجع إليك»^(١).

((...قال محمد بن علي عليه السلام: فالتقينا وقد عجل أصحاب الجمل وزحفوا علينا، فصاح أبي عليه السلام: امض فمضيت بين يديه أقطوا بالراية قطوا، وتقدم سرعان أصحابنا، فلاذ أصحاب الجمل، ونشب القتال واختلفت السيوف وأبي بين كتفي يقول: (يا بني تقدم)، ولست أجد متقدماً، وهو يقول: (تقدم)، فقلت: ما أجد متقدماً إلا على الأسنة، فغضب أبي عليه السلام وقال: (أقول لك تقدم، فتقول: على الأسنة! ثق يا بني وتقدم بين يدي على الأسنة)، وتناول الراية مني وتقدم يهرول بها فأخذتني حدة فلحقته، وقلت: أعطني الراية، فقال لي: (خذها)، وقد عرفت ما وصف لي، ثم تقدم بين يدي وجرد سيفه، وجعل يضرب به، ورأيت أنه قد ضرب رجلاً فأبان زنده، ثم قال: (الزم رايتك يا بني فإن هذا قد استكفاه) فرمقت لصبوب أبي ولحظته، فإذا هو يورد السيف ويصدره ولا أرى فيه دماً، وإذا هو يسرع إصداره فيسبق الدم... وأحدقنا بالجمل، وصار القتلة حوله، واضطربنا أشد اضطراب رآه راء حتى ظننت أنه القتل، فصاح أبي عليه السلام: يا بن أبي بكر! أقطع البطان))^(٢).

((وروى الواقدي: قال ابن جريج: كان محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) يحمل راية أبيه عليه السلام يوم الجمل، ورأى منه بعض النكوص فأخذ الراية منه، قال محمد (رضي الله عنه): فأدركته وعالجته على أن يردّها، فأبى عليّ

(١) الجمل: ٣٥٩.

(٢) الجمل: ٣٦٠.

طويلاً، ثم ردها وقال: (خذها وأحسن حملها، وتوسط أصحابك، ولا تخفض عاليها، واجعلها مستشرفة يراها أصحابك)، ففعلت ما قال لي، فقال عمار بن ياسر: يا أبا القاسم! ما أحسن ما حملت الراية اليوم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: (بعد ماذا؟)، فقال عمار: ما العلم إلا بالتعلم^(١).

((وروى محمد بن عبد الله، عن عمرو بن دينار، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد: (خذ الراية وامض)، وعليّ خلفه، فناده: (يا أبا القاسم!)، فقال: لبيك يا أبة، فقال: (يا بُني! لا يستفزني عدوي، وذلك إنني لم ألق أحداً إلا الراية وأنا أصغر منك، فما استفزني عدوي، وذلك إنني لم ألق أحداً إلا حدثتني نفسي بقتله، فحدث نفسك بعون الله بظهورك عليهم، ولا يخذلك ضعف النفس باليقين، فإن ذلك أشدّ الخذلان)، قال: فقلت: يا أبة! أرجو أن أكون كما تحبّ إن شاء الله، قال: (فالزم رايتك، فإذا اختلطت الصفوف قف في مكانك وبين أصحابك، فإن لم تر أصحابك فسيرونك)، قال: والله إنني لفي وسط أصحابي فصاروا كلّهم خلفي، وما بيني وبين القوم أحدٌ يردهم عني، وأنا أريد أن أتقدم في وجه القوم، فما شعرت إلا بأبي من خلفي قد جرّد سيفه، وهو يقول: (لا تقدم حتى أكون أمامك)، فتقدم عليه السلام بين يدي يهرول ومعه طائفة من أصحابه، فضربوا الذين في وجهي حتى أنهضوهم، ولحقّتهم بالراية فوققوا وقفة، واختلط الناس، وركدت السيوف ساعة، فنظرت إلى أبي يفرج الناس يميناً وشمالاً، ويسوقهم أمامه، فأردت

(١) الجمل: ٣٦١.

أن أجول فكرهت خلافه ووصيته لي: لا تفارق الراية، حتى انتهى إلى الجمل، وحوله أربعة آلاف مقاتل من بني ضبّة، والأزد، وتميم، وغيرهم^(١).

هذا ما ذكره الشيخ المفيد من مواقف محمد بن الحنفية، وبروايات متعددة.

وقال ابن أبي الحديد في (شرح النهج)^(٢): «لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة وحمل عليّ عليه السلام بالراية فضضع أركان عسكر الجمل، دفع إليه الراية، وقال: (امح الأولى بالأخرى، وهذه الأنصار معك)، وضمّ إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين في جمع من الأنصار، كثير منهم من أهل بدر، فحمل حملات كثيرة، أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاءً حسناً، فقال خزيمة بن ثابت لعليّ عليه السلام: أما أنّه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه، وإن كنت أردت أن تعلّمه الطعان فطالما علمته الرجال. وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين! لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين عليهما السلام، لما قدّمنا على محمد أحداً من العرب.

فقال عليّ عليه السلام: (أين النجم من الشمس والقمر، أما أنّه قد أغنى وأبلى، وله فضله، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه، وحسب صاحبكم ما انتهت به

(١) الجمل: ٣٦٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٤٥/١ - ٢٤٦، ط محققة بمصر.

نعمة الله تعالى عليه).

فقالوا: يا أمير المؤمنين! إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين، ولا نظلمهما له ولا نظلمه - لفضلهما عليه - حقّه.

فقال عليّ عليه السلام (أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله).

فقال خزيمه بن ثابت فيه:

محمّد ما في عودك اليوم وصمة	ولا كنت في الحرب الضروس معرّدا ^(١)
أبوك الذي لم يركب الخيل مثله	عليّ وسماك النبيّ محمّدا
فلو كان حقاً من أيك خليفة	لكنت ولكن ذاك ما لا يرى بدا
وأنت بحمد الله أطول غالب	لسانا وأنداها بما ملكت يدا
وأقربها من كلّ خير تريده	قريش وأوفاها بما قال موعدا
وأطعنهم صدر الكميّ برمحه	وأكساهم للهام عضباً مهنّدا
سوى أخويك السيّدَيْن كلاهما	إمام الورى والداعيان إلى الهدى
أبى الله أن يعطي عدوك مقعداً	من الأرض أو في الأوج مرقى ومصعدا

وقيل لمحمّد: لم يُغرّر بك أبوك في الحرب ولا يغرّر بالحسن والحسين؟ فقال: إنّهما عيناها، وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينه يمينه^(٢).

وحسبنا بهذا ردّ ما قاله في أوّل نقوده.

وأما ما ذكره السيّد المؤلّف نقداً عن محمّد في صفّين، ولم يذكر له

(١) منهزماً.

(٢) شرح النهج ١/٢٤٤.

مصدراً، بينما روى نصر بن مزاحم في كتابه (وقعة صفين) من مواقف لمحمد بن الحنفية تنبئ عن خلاف ما ذكر صاحب (كشف أسرار)؛ وإلى القارئ الإشارة إلى ما ذكره نصر بن مزاحم وغيره:

١- قال نصر في حديثه: ((عن عمر بن شمر، قال: فلما كان من الغد خرج محمد بن علي بن أبي طالب، وخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين، فاقتلوا كأشد القتال. ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى محمد بن الحنفية أن اخرج لي أبارزك.

قال: نعم، ثم خرج إليه يمشي.

فبصر به علي، فقال: من هذان المتبارزان؟

فقال له: ابن الحنفية، وابن عمر.

فحرك علي دابته، ثم دعا محمداً فوقف له، وقال: امسك دابتي، فأمسكها له، ثم مشى إليه فقال: أنا أبارزك فهل إليّ، قال، ليس لي في مبارزتك حاجة.

قال: فرجع ابن عمر وأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه: منعني من مبارزته، فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله.

قال: يا بني! لو بارزته أنا لقتلته، ولو بارزته أنت لرجوت أن تقتله، وما كنت آمن أن يقتلك.

ثم قال: يا أبة! أ تبرز بنفسك إلى هذا الفاسق اللئيم عدو الله، والله لو

أبوه يسألك المبارزة لرغبت بك عنه.

قال: لا تذكر أباه ولا تقل فيه إلا خيراً، يرحم الله أباه^(١).

٢- قال نصر: ((عن عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب، قال: مرّ عليّ يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة [ومعه ربيعة وحدها]، وإنّي لأرى النبل بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنه إلا يقيه بنفسه، فيكره عليّ ذلك، فيتقدّم عليه فيحول بينه وبين أهل الشام، ويأخذ بيده إذا فعل ذلك، فيلقيه بين يديه أو من ورائه، فبصر به أحمر مولى أبي سفيان أو عثمان أو بعض بني أميّة - فقال عليّ: ورب الكعبة: قتلي الله إن لم أقتلك أو تقتلني، فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى عليّ فاختلفا ضربتين فقتله مولى بني أميّة، وخالط عليّاً ليضربه بالسيف، فانتهره عليّ فتقع يده في جيب درعه فجذبه ثمّ حمله على عاتقه، فكأنّي انظر إلى رجله تختلفان على عنق عليّ، ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضده، وشدّ ابنا عليّ الحسين ومحمّد فضرباه بأسيا فهما حتّى برد، فكأنّي انظر إلى عليّ وشبلاه يضربان الرجل، حتّى إذا أتيا عليه، أقبلا إلى أبيهما والحسن معه قائم، قال: يا بُني! ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟ قال: كفياني يا أمير المؤمنين^(٢))).

٣- روى نصر من أشعار حرب صفّين شعر محمّد بن عمرو بن العاص:

لو شهدت جمل مقامي وموقفي بصفّين يوماً شاب منها الذوائب

(١) وقعة صفّين: ٢٤٨ - ٢٤٩، ط الأولى، تح عبد السلام محمّد هارون سنة ١٣٦٥هـ بالقاهرة.

(٢) وقعة صفّين: ٢٨٠ - ٢٨١.

فردّ عليه محمّد بن عليّ بن أبي طالب:
لو شهدت جمل مقامك أبصرت مقام لثيم وسط تلك الكتائب
أتذكر يوماً لم يكن لك فخره وقد ظهرت فيها عليك الجلائب
وأعطيتونا ما نقمتم أذلة على غير تقوى الله والدين واصب^(١)

٤- قال نصر: «عن نمير بن وعلة، عن عامر الشعبي: إنّ عليّ بن أبي طالب مرّ بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم، فحرّض الناس على قتالهم - وذكر أنّهم غسان - أين من يشري وجهه لله عزّ وجلّ؟ فتأبّت إليه عصابة من المسلمين، فدعا ابنه محمّد فقال له: (امش نحو هذه الراية مشياً رويداً على هيثك، حتّى إذا أشرعت في صدورهم الرماح، فأمسك يدك حتّى يأتيك أمري ورأيي)، ففعل، وأعدّ عليّ عليه السلام مثلهم مع الأشر، فلمّا دنا منهم وأشرع الرماح في صدورهم، أمر عليّ الذي أعدّوا فشدّوا عليهم ونهض محمّد في وجوههم، فزالوا عن مواقفهم، وأصابوا منهم رجالاً...»^(٢).

٥- أخرج الخطيب الخوارزمي الحنفي في كتابه (المناقب)^(٣)، وسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص)^(٤): إنّ الأشر قال لمحمّد بن الحنفية في يوم من أيام صفّين: قم بين الصّفّين وامدح أمير المؤمنين واذكر مناقبه، فبرز محمّد وأوماً إلى عسكر معاوية، وقال: يا أهل الشام! اخسّوا، يا ذرية

(١) وقعة صفّين: ٤٢٢.

(٢) وقعة صفّين: ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٣) المناقب: ١٣٤، ط حجرية.

(٤) تذكرة الخواص: ١٦٧، ط حجرية.

النفاق، وحشو النار، وحصب جهنم، عن البدر الزاهر والقمر الباهر، والنجم الثاقب... وذكر خطبة طويلة أخرجها بطولها نقلاً عن المصدرين المرحوم العلامة الشيخ عبد الواحد المظفر في كتابه (بطل العلقي)^(١).

ثانياً: وأما ما ذكره صاحب (كشف أسرار) من علاقة محمد بن الحنفية مع المختار بن أبي عبيد الثقفي، فهذا لم تخل التواريخ عن ذكره بصور متفاوتة، استفاد البعض منها التشهير بالمختار، وآخر التشهير بمحمد - كما رآه صاحب الكتاب - وثالث رآهما بريئين مما نسب إليهما، وجعلها ذات دلالة على حسن موقف الرجلين بعضهما من بعض دون المساس بكرامتهما، فكل ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِ كَلِمَةٍ فَرُبُّكُمْ أَغْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾^(٢).

وللشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) جواب مفيد لا يخلو من وجاهة، فقد سئل محمد عن خروج المختار، وادّعائه أن محمداً أمره بذلك، وأن يدعو الناس إلى القول بإمامته، فأنكره محمد، وقال لهم: والله ما أمرته بذلك، ولكن لا أبالي أن يأخذ بثأرنا كل أحد، وما يسوؤني أن يكون المختار هو الذي يطلب بدمائنا، فاعتمد السائلون هذا القول ورجعوا إلى الكوفة، ونصر أكثرهم المختار على الطلب بدم الحسين عليه السلام، ولم ينصروه على القول بإمامة محمد بن الحنفية^(٣).

(١) بطل العلقي ٥٢١/١ - ٥٢٣، ط المكتبة الحيدرية بقم.

(٢) سورة الإسراء/٨٢.

(٣) الفصول المختارة: ٣٠٠.

أقول: ومما يؤيد هذا ما ذكره اليعقوبي في تاريخه، فقال: «فلما صار المختار إلى الكوفة، اجتمعت إليه الشيعة، فقال لهم: إنَّ محمد بن علي بن أبي طالب بعثني إليكم أميراً، وأمرني بقتل المُحلّين، والطلب بدماء أهل بيته المظلومين، وإنّي والله قاتل ابن مرجانة، والمنتقم لآل رسول الله ﷺ ممّن ظلمهم.

فصدّقه طائفة من الشيعة، وقالت طائفة: نخرج إلى محمد بن عليّ فنسأله، فخرجوا إليه، فسألوه، فقال: ما أحبّ إلينا من طلب بئارنا، وأخذ لنا بحقنا وقتل عدونا، فانصرفوا إلى المختار فبايعوه وعاقدوه...»^(١).

وقال اليعقوبي في تاريخه: «ووجّه برأس عبيد الله بن زياد إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى المدينة مع رجل من قومه، وقال له: قف بباب عليّ بن الحسين، فإذا رأيت أبوابه قد فتحت، ودخل الناس، فاذا (فإن/ظ) ذاك الوقت الذي يوضع فيه طعامه فادخل إليه، فجاء الرسول إلى باب عليّ بن الحسين عليهما السلام، فلما فتحت أبوابه ودخل الناس للطعام، نادى بأعلى صوته: يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة، ومنزل الوحي، أنا رسول المختار بن أبي عبيد معي رأس عبيد الله بن زياد، فلم تبق في شيء من دور بني هاشم امرأة إلا صرخت، ودخل الرسول فأخرج الرأس، فلما رآه عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: أبعد الله إلى النار.

وروى بعضهم: أنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام لم يُر ضاحكاً يوماً قطّ منذ

(١) تاريخ اليعقوبي ٥/٣، ط النجف.

قتل أبوه إلا في ذلك اليوم، وأنه كان له أبل تحمل الفاكهة من الشام، فلما أتى برأس عبيد الله بن زياد أمر بتلك الفاكهة ففرقت في أهل المدينة، وامتشطن نساء آل الرسول ﷺ واختضبن، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسين بن عليّ (عليه السلام) ...»^(١).

فظهر من هذين الخبرين - وراويهما المؤرخ يعقوبي المتوفى بعد سنة (٢٩٢هـ) ممن لا يُتهم بمالاة وموالاة المختار لهوى فيه - إن كلاً من محمد ابن الحنفية (عليه السلام) وابن أخيه الإمام زين العابدين (عليه السلام) لم يسيئا القول في المختار، كما لم يقولوا فيه ما يشعر بتصرفه عن إذهنهما، وإنما كان طلبه بالثار مرضياً عندهما ومدعاة لسرورهما.

ثالثاً: وأما نقد محمد بأنه ليس هو وليّ الدم، ولم يشعر السائل بأنّ وليّ الدم هو الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، وكان عليه أن يعلمهم بذلك، فقد أجاب عن هذا المرحوم الخطيب السيّد علي الهاشمي في كتابه (محمد بن الحنفية) نقلاً عن بعض أهل السير والتاريخ، بما دلّ على أنّ محمد توقف عن الإجابة على الطلب بدم الحسين (عليه السلام)، وقال: ((وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا، فوالله لو ددّت أنّ الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، وأما الطلب بدمائنا فقوموا بنا إلى إمامي عليّ بن الحسين (عليه السلام)، فلما دخلوا عليه أخبره خبرهم الذي جاءوا من أجله، قال: (يا عم! ولو أنّ زنجياً تعصّب لنا

(١) تاريخ يعقوبي ٦/٣.

أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته وقد وليتك هذا الأمر، فاصنع ما شئت)، فخرجوا وهم يقولون أذن لنا زين العابدين ومحمد بن الحنفية. وإذا صحَّ أنه كتب إلى المختار يأذن له في الخروج في الطلب بدم الحسين عليه السلام، فذلك إنما كان بعد إذن الإمام زين العابدين عليه السلام له في ذلك، وتوليته الأمر.

وهذا الذي ذكره هذا الخطيب رحمته الله لم أقف عليه في مصدر قديم معتبر، ولا يبعد أن يكون من التبرير والتعذير، ولم أقف على ما يوحى بحسن حال المختار ومدحه بطريق معتبر، وما روي في (ذوب النصار) لابن نماء، و(أصدق الأخبار) للسيد الأمين، وغيرهما، فهو بين مرسل، أو مسند لا يخلو سنده من مجهول أو مهمل^(١).

(١) قال أبو الحسن المدائني: قال سعيد النواء - نسبة إلى بيع النواة - قدمت المدينة فلقيت عليّ ابن الحسين، فقلت: يا بن رسول الله! متى يبعث أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب؟ قال: إذا بُعثَ الناس.

قال: ثمّ تذاكرنا أيام الجمل، فقال: ليته كان ممنوعاً قبل ذلك بعشرين سنة - أو كلمة غير هذه - قال: فأتيت حسن بن حسن فذكرت له ما قال؟ فقال: لوددت والله أنه كان يقاتلهم إلى اليوم. قال: فخرجت من فوري ذلك إلى عليّ بن الحسين فأخبرته بما قال، فقال: إنه لقليل الإبقاء على أبيه. قال: وبلغ الخبر المختار، فقال: أضرّب بين ابني رسول الله صلى الله عليه وآله لأقتله! فتواريت ما شاء الله، ثمّ لم أشعر إلا وأنا بين يديه، فقال: الحمد لله الذي أمكنني منك، قال: فقلت: أنت استمكنت مني؟ أما والله لولا رؤيا رأيتهما لما قدرت عليّ! قال: وما رأيته؟ فقلت: رأيت عثمان بن عفّان، فقلت: أنت عثمان بن عفّان؟ فقال: أنا حباري، تركت أصحابي حيارى لا يهود ولا نصارى، فقال: يا أهل الكوفة انظروا إلى ما أرى الله عدوكم، ثمّ خلى سبيلي، قال الجاحظ: وقد روي

رابعاً: وأما خبر المحاكمة إلى الحجر الأسود، فقد أخرجه الكليني في (أصول الكافي)^(١) في الحديث الخامس من باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ والمبطل في أمر الإمامة، كما ذكر في مصادر أخرى ورد فيها مسنداً ومرسلاً، وفي جميعها ورد في آخرها: فانصرف محمد وهو يتولى علي بن الحسين عليه السلام.

⇨

هذا الكلام عن شتير بن شكل، أنه رأى معاوية في النوم فقال الكلام الذي روي عن عثمان. ثم قال الجاحظ: ووجه كلام علي بن الحسين الذي رواه سعيد النّوّاء - إن كان صادقاً - فإنه للذي كان يسمع من الغالية من الإفراط والغلو والفحش، فكأنه إنما أراد كسرهم وأن يحطّهم عن الغلو إلى القصد، فإنّ دين الله عزّ وجلّ بين التقصير والغلو، وإلاّ فعلي بن الحسين أفقه في الدين، وأعلم بمواضع الإمامة، من أن يخفى عليه فضل ما بين عليّ وبين طلحة والزبير. (كتاب الحيوان للجاحظ ٤٥٠/٥ - ٤٥٢، تح عبد السلام هارون).

ومهما يكن حال المختار في أطواره التي تقلّب فيها، فهو أدخل السرور على أهل البيت عليهم السلام بقتله قتلة الحسين عليه السلام حتّى ولو كان لا يوقف له على مذهب، كما قال المبرّد في (كامله ج ٢٦٤/٣، تح محمد أبو الفضل إبراهيم) كان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار رافضياً في ظاهره.

وقال المبرّد أيضاً:.... فكتب إليه - إلى ابن الزبير - من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن عليّ أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن أسماء، ملأ الكتاب بسبّه وسبّ أبيه... وكان من عجائب المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر يسأله الخروج إلى الطلب بدم الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما)، فأبى إبراهيم إلاّ أن يستأذن محمد بن عليّ بن أبي طالب، فكتب إليه يستأذنه في ذلك، فعلم محمد أنّ المختار لا عقد له، فكتب محمد إلى إبراهيم ابن الأشتر: أنه ما يسوءني أن يأخذ الله بحقنا على يدي من يشاء من خلقه. (المصدر نفسه ٢٦٦/٣ - ٢٦٧).

(١) أصول الكافي ٢٨٢/١.

ولم يستبعد غير واحد أن تكون تلك المحاكمة - وقد جرت بمكة - أن تكون وسيلة إعلامية للتنويه بإمامة زين العابدين عليه السلام وتبيينها لمن كان يظنّها في محمّد ابن الحنفية الكيسانية، وقد تكون على نحو منازعة العباس والإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيام الخلفاء الحاكمين، للتنبيه على إثبات دعوى المحقّق دون المبطل.

خامساً: نقد المؤلّف لابن الحنفية بأنّه لم يمهّد الكيسانية عن القول بإمامته، وهذا من العجيب منه! فكأنّه لم يقرأ خبر أبي خالد الكابلي الذي رواه الكشي في (رجال)، وفيه: ((أنّ الكابلي كان يخدم محمّد بن الحنفية دهرًا وما كان يشكّ في أنّه الإمام الذي تجب طاعته، حتّى سأله يوماً وأقسم عليه أن يجيبه هل هو الإمام المفروض طاعته على الخلق؟ فقال له: يا أبا خالد! حلقتني بالعظيم، الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام عليّ وعليك وعلى كلّ مسلم))^(١).

كما روى ابن سعد في طبقاته: ((... أنّ بعض أصحاب محمّد بن الحنفية كان يسلم عليه بالمهدوية، فنهاه، وقال: أجل أنا مهدي أهدي إلى الرشاد والخير، اسمي اسم نبيّ الله، وكنيتي كنية نبيّ الله، فإذا سلّم أحدكم فليقل: سلام عليك يا محمّد: السلام عليك يا أبا القاسم))^(٢). فهو نهى الكيسانية فلم ينتهوا، كسيل أبيه نهى السبئية ولم ينتهوا فما عليه من سبيل.

(١) اختيار الرجال: ١٢٠، ط المصطفوي.

(٢) طبقات ابن سعد ٦٨/٥.

سادساً: إنَّ ما ذكره المؤلّف من أنَّ محمّداً لحق الحسين عليه السلام في الطريق وقد صحب معه أخا الوالي بالمدينة لسمع كلامه كشاهد على عدم رضاه بخروج الحسين عليه السلام، وهذا من شنيع القول لما فيه من الخبط والتهويل، وقلة معرفة بالتاريخ، وذلك أنَّ الذي لحق الحسين عليه السلام في الطريق وكان معه أخو والي المدينة هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي أخذ كتاب أمان للحسين عليه السلام من الوالي وفيه العهود الموثقة والأيمان المغلظة أن لا يُمسّ بسوء، وجاء معه بأخ الوالي للتأكيد على توثيق كتاب الإمام وصدق تعهد الوالي، ولحق بالحسين عليه السلام بوادي العقيق.. وسيأتي ذكر هذا بتفصيل أوفى عند ذكر ابن جعفر.

سابعاً: وأمّا عدم مسافرتة مع الحسين عليه السلام، فقد قيل: إنّه كان مريضاً، فهو معذور لمرضه، إمّا بشلل اليد^(١) أو بالإغماء، وقد مرَّ أنَّ الحسين عليه السلام كان قد أذن له أن يقيم في المدينة ليكون عيناً له على بني أمية. وقد مرَّ ذكر الوصية؛ فراجع!

ثامناً: وأمّا تزيف رواية (اسمه اسمي)، فهي مروية عند الفريقين بأسانيد متعدّدة، كما في (خاتمة كتاب مستدرك الوسائل) للشيخ النوري^(٢)،

(١) قال المبرّد في كامله ٢٦٦/٣: وكان عبد الله بن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية إلى بغض أهله، وكان يحسده على أيّده - قوته - ويقال إنَّ عليّاً استطال درعا فقا: لِيُنْقَصَ منها كذا وكذا حلقة، فقبض محمّد بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فضلها، ثمَّ جذبها ففقطعها من الموضع الذي حلّه أبوه، فكان ابن الزبير إذا خُذْتُ بهذا الحديث غضب واعتراه أفكل - يعني الرعدة تعلق الإنسان -

(٢) مستدرك الوسائل ٦١٩/٣، ط حجرية.

وإيماناً بصحة التسمية، ما جرى بين طلحة بن عبيد الله وبين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، إذ قال له: لا كجراتك تسمي باسمه وتكني بكنيته، فقال علي (عليه السلام): (الجرىء من اجتراً على الله وعلى رسوله). ثم نادى علي (عليه السلام): (يا فلان! ادع لي فلاناً)، فجاء نفر من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قريش فشهدوا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رخص لعلي أن يجمع الاسم والكنية^(١)، فالخبر صحيح برخصة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام).

تاسعاً: وأمّا ما ذكره من نقد محمد بن الحنفية في تأبينه لسيد الشهداء بقوله: ((رحمك الله أبا محمد، لئن عززتني حياتك، فقد هدّنتني وفاتك...))، إلى آخر ما قال، فقد وهم المؤلف في أمر لا يخفى على إنسان له أدنى إطلاع وعلم بتاريخ الأئمة (عليهم السلام)! فإنّ صريح بداية التأبين دلّ على أنّه كان لأبي محمد، وهي كنية الإمام الحسن (عليه السلام)، ولم يكن الحسين (عليه السلام) يكنى إلاّ بأبي عبد الله، كما أنّ خاتمة التأبين دلّت أيضاً على ذلك، حيث قال محمد بعد كلام في مدح الإمام (عليه السلام): ((فإنك والحسين غداً سيّدا شباب أهل الجنة))، ثمّ ضرب بيده إلى الحسين (عليه السلام)، فقال: ((قم بأبي أنت وأمي فعلى أبي محمد السلام))^(٢).

عاشراً: وأمّا المفاضلة بين ابن الحنفية وأبي الفضل العباس، فهو من الازدراء بمقام الشهادة، على نحو قول الشاعر:

(١) طبقات ابن سعد ٦٦/٥، ط ليدن وراجع صفوة الصفوة لابن الجوزي ٤٢/٢.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢٠٠/٢ وزهر الاداب للقيرواني ٢٠٠/٢، ط الغري سنة ١٣٥٨ هـ.

متى أقل مولاي أفضل منهم أكن للذي فضّلته مُتَقصّصا
ألم تر أنّ السيف يزرى بحدّه إذا قيل هذا السيف أمضى من العصا^(١)

فمن ذا الذي يدور في خلده المفاضلة بين شهيد من شهداء الطفّ،
وبين شخص آخر من غير المعصومين عليه السلام، مهما كان له من علوّ مقام علماً
وشأناً من أبناء المعصومين عليه السلام، فضلاً عن غيرهم؟! إنّها كبوة عَلم وزلّة
قلم، عفا الله عن المؤلّف وعنا وعن جميع المؤمنين والمسلمين إنّّه الغفور
الرحيم.

(١) يتيمة الدهر ٢/٢٢٤.

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام

وهذا هو الشخصية الرابعة من وجوه الهاشميين الذين حاولوا منع الإمام الحسين عليه السلام عن التوجه إلى العراق، وقد كتب إليه من المدينة كتاباً: ((بسم الله الرحمن الرحيم.

للحسين بن علي عليه السلام من عبد الله بن جعفر..

أما بعد، أنشدك الله ألا تخرج عن مكة، فإنني خائف عليك من هذا الأمر الذي قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك، فإنك إن قتلت أخاف أن يطفأ نور الأرض، وأنت روح الهدى، وأمير المؤمنين، فلا تعجل بالسير إلى العراق، فإنني آخذ لك الأمان من يزيد وجميع بني أمية على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك، والسلام)).

قال: فكتب إليه الحسين بن علي عليه السلام: (أما بعد، فإن كتابك ورد عليّ فقرأته، وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أنني رأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، فخبّرني بأمر وأنا ماضٍ له، لي كان أو عليّ، كما عدت اليهود على السبت، والسلام). وهذا ما أخرجه ابن أعثم في (الفتوح)^(١)، والخوارزمي الحنفي في مقتله^(٢).

(١) الفتوح لابن أعثم الكوفي ١١٥/٥ - ١١٦، ط دار الندوة الجديدة بيروت.

(٢) مقتل الخوارزمي ٣١١/١ - ٣١٢.

وفي (الطبقات الكبرى) لابن سعد أشار إلى هذا الذي ذكره ابن أعثم، إلا أنّ الحسين عليه السلام كتب له في الجواب: (إني رأيت رؤيا، ورأيت فيها رسول الله ﷺ وأمرني بأمر أنا ماضي له، ولست بمخبر بها أحداً حتى ألاقي عملي) (١).

وذكر ابن سعد أيضاً عن ابن جعفر قوله: ((لو شهدته - يعني الحسين عليه السلام - لأحببت أن أقتل معه، ثم قال: أعزز عليّ بمصرع الحسين عليه السلام)) (٢)، وكان قد لحق الحسين عليه السلام بكتاب أمان أخذه من عمرو ابن سعيد الأشدق، وحمل معه يحيى بن سعيد تظميناً للحسين عليه السلام وسعيّاً في صدّه عن الذهاب إلى العراق، فأبى الحسين عليه السلام.

قال الشيخ المفيد في (الإرشاد): ((فلما أيس منه عبد الله بن جعفر رحمه الله، أمر بنيه عوناً ومحمّداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه، ورجع مع يحيى بن سعيد إلى مكة)) (٣).

ومع هذا فقد تناولته - كمن سبق ذكره من بني هاشم - سهام التجريح صائبة وخائبة! فإلى القراءة عنها:

ما قاله صاحب كتاب (كشف أسرار)، فقد قال في صفحة (١٤) ما ترجمته: ((الثاني: عبد الله بن جعفر الذي هو ابن عمّ الحسين عليه السلام وصهره

(١) ترجمة الإمام الحسين ومقتله من طبقات ابن سعد: ٥٩، تح السيّد عبد العزيز الطباطبائي.

(٢) طبقات ابن سعد: ٨٥.

(٣) الإرشاد: ٢١٩.

- أي: زوج زينب الكبرى أخت الحسين عليه السلام - وكانت للحسين قطعة أرض (بستان) وهي التي يقال لها: (خيف الأراك، وخيف ليلي، وخيف الناس)، وهبها الإمام الحسين عليه السلام له على أن لا يزوّج ابنته من يزيد بن معاوية (؟). ولما كان لابن جعفر باب مفتوح للعطاء والإطعام، فكان إقبال الناس عليه فعرف بالسخاء (؟).

وكان له في كل سنة من معاوية أوقية من مسكوك الذهب والفضة، وهو يوزعها في الموسم بين رجال أهل الحجاز وأرباب الحوائج، حتى اعترض بعض الأمويين على معاوية في إرساله ذلك المقدار في كل سنة لابن جعفر).

ثم قال ما ترجمته: ((وكان - ابن جعفر - يتطلّب العطاء من يزيد بن معاوية، فكان يعطيه تسعمائة ألف درهم، فإن كان هذا قبل شهادة الحسين عليه السلام فقد أخذ من مثل يزيد وباع الحسين عليه السلام (؟) وإن كان بعد استشهاده فهو أدهى وأمر من الأول، وهذا هو السرّ في منع الشارع المقدّس الارتشاء في الحكم ورآه حراماً... (؟))

والأمر الآخر الذي أوجب تأخره وعدم نصرته الحسين عليه السلام: أنّه كان له بقرب الشام ضياع وأملاك وعين ماء كان يذهب إليها في كل سنة فيجمع غلاتها ويستوفي منافعتها ثم يعود (؟).

وأما أنّه أرسل ولديه مع الحسين عليه السلام فإنّهما معاً ليسا من ولد زينب، بل أحدهما من زوجته الثانية التي ماتت وكفلت زينب الطفل فرّبته مع

طفلها الذي ولدته فهو ربيب لها، وأنس الطفل بها على أنها أمه، ولمّا خرجت مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء صاحبها الصبيان مع أمّهما، ولم يسع ابن جعفر ممانعتهما من صحبة أمّهما (؟)، وما يتلوه أرباب المراثي من أنّ ابن جعفر قال لزینب: خذي طفليّ هذين معك لنصرة أخيك، ليس له مدرك صحيح وهو أمر مضحك، حيث لم يخرج هو فيرسل طفلين لم يبلغا الحلم عوضاً عنه للجهاد (؟)، وكانت زينب خجلاً من أخيها الحسين عليه السلام، لأنّ زوجها لم يخرج معه (؟).

وأيضاً فإنّ ابن جعفر كان يطاول الحسنين عليهما السلام حتّى فتح له دار ضيافة، وجعل لمن يأتيه عطاء، وكان له مجلس خاص به، بينما كان لازم الأدب أن يتبعهما وينضوي تحت رايتهما (؟)، فهو بدلاً من ذلك كان يطاولهما في المنكب والموكب - كما يقولون - والناس لا تفرق بين الدرّ والفحم، وكثير منهم تخدعه المظاهر الخلافة من ابن جعفر، فحرّموا من فضل مصاحبة الحسنين عليهما السلام (؟) وما أدري كيف يكون جوابه للنبيّ وعليّ وفاطمة عليهم الصلاة والسلام إذا سألوه (؟).

هذه بعض مؤاخذات هذا الرجل الزاحف في التاريخ فضلاً عن أن يكون راجلاً أو فارساً. ولردّ عليه أجمل الجواب في النقاط التالية:

أولاً: ما ذكره أولاً من إعطاء الحسين عليه السلام له (خيف الأراك، وخيف ليلي، وخيف الناس) لثلاث زوج ابنته من يزيد - فهذا الذي دعاني أن أصفه بالزاحف في التاريخ - ولو أنّه كان راجلاً لقرأ ما ذكره المبرّد في كامله^(١)،

(١) الكامل ١١٤/٣ - ١١٥، ط محمد علي صبيح سنة ١٣٤٧هـ.

أو ما ذكره ياقوت الحموي في (معجم البلدان)^(١)، في ذكر الخيف، أو قرأ (تاريخ المدينة) للسهمودي^(٢)، أو (مقتل الخوارزمي)^(٣)، أو (مناقب ابن شهر آشوب)^(٤)، أو (بحار الأنوار) للمجلسي^(٥)، وهذه كلها متوفرة لديه عادة، فضلاً عن كتاب (جمهرة خطب العرب) لأحمد زكي صفوت^(٦)، وغيره مما يبعد عليه مناله.. فإنّ في تلك المصادر ذكر كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم - وكان هو والي المدينة - في أن يخطب إلى جعفر ابنته أمّ كلثوم على يزيد ويرغبه في الصداق، فقرأ مروان الكتاب على ابن جعفر، فقال: ((إنّ خالها الحسين عليه السلام ينبغي وليس يفتات عليه بأمر - وفي لفظ - إنّ أمرها ليس إليّ، إنّما هو إلى سيّدنا الحسين، وهو خالها، فانتظرنني حتّى يقدم، فلمّا قدم الحسين عليه السلام ذكر له ابن جعفر ذلك، فقام من عنده ودخل على الجارية، فقال: (يا بنيّة! إنّ ابن عمّك القاسم بن محمّد بن جعفر بن أبي طالب أحقّ بك، ولعلّك ترغبين في كثرة الصداق، وقد نحلّتك البغيغات).

فلمّا حضر القوم للإملاك - وكان ذلك في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله - أقبل مروان على الحسين عليه السلام وخطب منه بعد أن أعلمه خبر الكتاب، وقال: إنّ معاوية أمرني بذلك، وأنّ أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، مع صلح ما

(١) معجم البلدان ٢/٢٤٨.

(٢) تاريخ المدينة ٢/٢٦٣.

(٣) مقتل الخوارزمي ١/١١٤.

(٤) المناقب ٢/١٧١.

(٥) بحار الأنوار ١٠/١٣١، ط حجرية.

(٦) جمهرة خطب العرب ٢/٥٥.

بين هذين الحيين، مع قضاء دينه، واعلم، أنّ من يغطّكم بيزيد أكثر ممّن يغطّه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد! وهو كفو من لا كفو له، وبوجهه يستسقى الغمام، فرد خيراً أبا عبد الله.

فتكلّم الحسين عليه السلام فقال: (الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه...).

إلى أن قال: (يا مروان! قد قلت فسمعنا، أمّا قولك: مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله ﷺ في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمئة وثمانين درهماً.

وأمّا قولك: مع قضاء دين أبيها، فمتى كنّ نساءنا يقضين عنا ديوننا؟!

وأمّا صلح ما بين هذين الحيين، فإنّا قوم عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكم للدين، فلعمري، لقد أعيب النسب فكيف السبب؟!

وأمّا قولك: والعجب كيف يستمهر يزيد؟ فقد استمهر من هو خير من يزيد وأبيه وجده.

وأمّا قولك: إنّ يزيد كفو ما لا كفو له، فمن كان كفوه قبل اليوم فهو كفوه اليوم ما زادته إمارته شيئاً.

وأمّا قولك: وجهه يستسقى به الغمام، فإذا (فإنّما/ظ) كان، ذلك وجه رسول الله ﷺ.

وأمّا قولك: من يغطّنا به أكثر ممّن يغطّه بنا، فإنّما يغطّنا به أهل الجهل، ويغطّه بنا أهل العقل).

ثم قال عليه السلام بعد كلام: (فاشهدوا جميعاً إنني قد زوجت أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمّها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتهما ضيعتين بالمدينة، وإن غلّتهما في السنة ثمانية آلاف دينار، فيهما لهما غنى إن شاء الله).

فتغيّر وجه مروان، وقال: أغدراً يا حسين؟!

فقال: (أنت بدأت، خطب أبو محمد الحسن بن عليّ عائشة بنت عثمان بن عفّان، فاجتمعنا لذلك، فتكلّمت أنت وزوجتها من عبد الله بن الزبير).

فقال مروان: فما كان ذلك، فالتفت الحسين عليه السلام إلى محمد بن حاطب وقال: أنشدك الله أكان ذلك؟ فقال: نعم).

هذه هي القصة التي أرادها مؤلّف (كشف أسرار) وما جرى فيها، فمن أين جاء بأنّ الحسين عليه السلام أعطى الأخياف الثلاثة لابن جعفر؟ وإنّما كان عطاؤه قطعتي الأرض بالمدينة للعروسين ليستعينا بها على دهرهما.

ثم إنّ المستفاد من هذه القصة هو تعظيم ابن جعفر للحسين عليه السلام، إذ لم يقطع في أمر ابنته دونه، ولم يجب إلى شيء ممّا دعاه إليه مروان، بل أوكل الأمر إلى الحسين عليه السلام، وهذا دليل اتّباعه له، وانقطاعه إليه، وامتناله لأمره، واعترازه بطاعته.. وللقارئ إعادة قراءة النص ليتبيّن له بوضوح سداجة معرفة المؤلّف بالتاريخ.

ثانياً: ما ذكره من نقد لابن جعفر وأنّه فتح دار ضيافة خاصّة به،

وإعطائه الجوائز، وأخذه صلوات معاوية وابنه يزيد، فهذا - إن صحَّ كله أو بعضه - ليس ممَّا ينقد عليه ابن جعفر، بل هو ممَّا يمدح عليه، فإنَّ طبيعة السخاء هي الموروثة له من أبيه الذي كان يقال له أبو المساكين، وفي تاريخهما معاً شواهد ذلك، وقد روي أن قيل له في كثرة عطائه لكل من سأله، فقال: إنَّ الله عودني وأنا عودت الناس، فأخاف أن اقطع عادتي فيقطع الله ما عودني.. (باقتضاب من الاستيعاب في ترجمته).

وأما أخذه صلوات معاوية ويزيد، فقد ورد أنَّ أهل المدينة كانوا يدانون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر، حيث كان يفرقه بينهم، وفي أخبار الأجداد له السبق في الذكر الجميل.

ثالثاً: وأما ما ذكره من أنَّه كانت لابن جعفر عيوناً وأملاً كقرب الشام كان يذهب إليها ويقيم فيها، فهذا من أسباب تخلُّفه عن نصرته الحسين عليه السلام، فمما يضحك الثكلى!! فمن بذلت نفسه مواساة ابنه للحسين عليه السلام تبخل بإهمال ضيعة له بقرب الشام، والولد أعزَّ من المال، ألم يقرأ قول ابن جعفر لأبي اللسلاس وهو غلامه حين سمع منه كلاماً مشيناً في شهادة ابني عبد الله بن جعفر، وقال: هذا ما لقينا من الحسين، فحذفه بنعله، وقال له: يا بن اللخناء! أَللحسين تقول هذا؟! والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتَّى أقتل معه، والله إنَّه لمَّا يسخِّي بنفسه عنهما ويهون عليَّ المصائب بهما أنَّهما أصيبا مع أخي وابن عمِّي مواسيين له صابرين معه، ثمَّ أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله ألاَّ يكن آسيتَ حسيناَ يدي فقد واساه ولدي^(١).

(١) تاريخ الطبري ٤٦٤/٥.

وقد ذكر الشريشي في (شرح مقامات الحريري)^(١): إن أبناء عبد الله بن جعفر الذين استشهدوا مع الحسين عليه السلام ثلاثة، وهم: جعفر، ومحمد، وعون.

رابعاً: وأما قول المؤلف: أنهما - أبناء عبد الله بن جعفر - الصبيين لم يكونا معاً لزينب وأيا مفارقتها، وأنه - ابن جعفر - أراد منعهما فلم يتمكن، وهذا كسابقه خبط في الظلماء!

فقد روى الطبري في تاريخه: «عن أبي مخنف، عن الحارث بن كعب الوالبي، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن علي مع ابنه عون ومحمد:

أما بعد، فإنني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي، فإنني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلك اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإنني في أثر الكتاب، والسلام.

قال: وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه، وقال: أكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنيه فيه البرّ والصلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئن إلى ذلك فيرجع. فقال عمرو بن سعيد: أكتب ما شئت وأتني به حتى أختمه، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب.

(١) شرح مقامات الحريري ١/١٧٣.

ثم أتى به عمرو بن سعيد، فقال له: اختمه، وابعث به مع أخيك يحيى ابن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه، ويعلم أنه الجد منك، ففعل.

وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكة، قال: فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأنا الكتاب وجهدنا به، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال: (إنني رأيت رؤيا فيها رسول الله ﷺ وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له، عليّ كان أولي).

فقالا له: فما تلك الرؤيا؟

قال: ما حدثت أحداً بها، وما أنا محدث بها حتى ألقى ربّي^(١).

ثم ذكر الطبري صورة الكتاب الذي كتبه عبد الله بن جعفر وختمه عمرو بن سعيد، وصورة جواب الحسين عليه السلام عليه؛ فراجع!

خامساً: ما ذكره المؤلف ناقداً لابن جعفر من أن له مجلساً خاصاً، وعطاءً خاصاً متميزاً عن الحسين عليه السلام، وهذا من النقد التافه مما لا ينبغي الرد عليه، إلا بما رواه الصدوق ابن بابويه في كتابه (الخصال)^(٢)، بسنده:

((عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنّ رجلاً مرّ بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد فسأله، فأمر له بخمسة دراهم، فقال له الرجل: أرشدني؟

فقال له عثمان: دونك الفتية التي ترى - وأوماً بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر - فمضى الرجل نحوهم

(١) تاريخ الطبري ٣٨٨/٥ - ٣٨٩، ط محققة.

(٢) الخصال: ١٣٠، في باب لا تصلح المسألة إلا في ثلاث، ط الحيدرية بتقديمي.

حتى سلّم عليهم وسألهم.

فقال له الحسن والحسين عليهما السلام: يا هذا! إنّ المسألة لا تحلّ إلا في ثلاث: دم منجّع، أو دين مقرح - مفرع/ظ - أو فقر مدقع، ففي أيّها تسأل؟ فقال: في واحدة من هذه الثلاث.

فأمر له الحسن عليه السلام بخمسين ديناراً، وأمر له الحسين عليه السلام بتسعة وأربعين ديناراً، وأمر له عبد الله بن جعفر بثمانية وأربعين ديناراً، فانصرف الرجل فمرّ بعثمان، فقال له: ما صنعت؟

فقال: مررت بك فسألتك فأمرت لي بما أمرت ولم تسألني فيما أسأل؟ وإن صاحب الوفرة لما سأله قال لي: يا هذا فيما تسأل؟ فإنّ المسألة لا تحلّ إلا في ثلاث، فأخبرته بالوجه الذي أسأله من الثلاثة، فأعطاني خمسين ديناراً، وأعطاني الثاني تسعة وأربعين ديناراً، وأعطاني الثالث ثمانية وأربعين ديناراً.

فقال عثمان: ومن لك بمثل هؤلاء الفتية، أولئك فطموا العلم فطمأ، وحازوا الخير والحكمة).

فهذا الخبر دلّ بوضوح على مدى احترام ابن جعفر للحسين عليهما السلام، إذ لم يساويهما في العطاء احتراماً وأدباً.

ولو أنّ مؤلّف كتاب (كشف أسرار) كشف عن واقع ابن جعفر عليه السلام في مواقفه مع معاوية - الذي قيل عنه أنّه استغراه بالمال فاستغواه فسَمّى باسمه أحد أولاده - لكان خيراً له وأجدي نفعاً لقراء كتابه.

فإن ابن أبي الحديد المعتزلي قد ذكر بعضاً في (شرح نهج البلاغة)، نقلاً عن المدائني، قال: ((بيننا معاوية يوماً جالساً عنده عمرو بن العاص، إذ قال الآذن: قد جاء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

فقال عمرو: والله لأسوءنه اليوم.

فقال معاوية: لا تفعل يا أبا عبد الله، فإنك لا تنتصف منه، ولعلك أن تظهر لنا من منقبته ما هو خفيّ عنا، ولا نحب أن نعلمه منه.

وغشيه عبد الله بن جعفر، فأدناه معاوية وقرّبه، فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فنال من عليّ عليه السلام جهاراً غير ساتر له، وثلبه ثلباً قبيحاً.

فالتمع لون عبد الله بن جعفر واعتراه أفكل - الرعدة - حتى ارتعدت خصائله - كلّ لحمة فيها عصب - ثم نزل عن السرير كالفنيق - الفحل المكرم الذي لا يؤذى لكرامته -

فقال عمرو: مه أبا جعفر!

فقال له عبد الله: مه لا أمّ لك، ثم قال:

أظنّ الحلم دلّ عليّ قومي وقد يتجهل الرجل الحليم

ثم حسر عن ذراعيه، وقال: يا معاوية! حتّام نتجرّع غيظك؟ وإلى كم الصبر على مكروه قولك، وسيّء أدبك، وذميم أخلاقك؟ هبلتك الهبول، أما يزجرك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك، إذا لم تكن حرمة من دينك تنهاك عمّا لا يجوز لك.

أما والله، لو عطفتك أواصر الأرحام، أو حاميت على سهمك من

الإسلام، ما أرعيت بني الإمام المُتَّك - جمع متكاء: الجارية البظراء، وهو ممَّا يسبُّ به - والعبيد الصلح أعراض قومك، وما يجهل موضع الصفوة إلا أهل الجفوة، وإنَّك لتعرف وشائظ - الحشو - قريش، وصبوة غرائرها، فلا يدعُّونك تصويب ما فرط من خطئك في سفك دماء المسلمين، ومحاربة أمير المؤمنين، إلى التماذي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه، فاقصد لمنهج الحق، فقد طال عمهك - العمى - عن سبيل الرشد، وخبطك في بحور ظلمة الغي، فإن أبيت، إلا تتابعنا في قبح اختيارك لنفسك، فاعفنا من سوء القالة فينا! إذا ضمَّنا وإياك الندي، وشأنك وما تريد إذا خلوت، والله حسيبك، فوالله لولا ما جعل الله لنا في يدك لما أتيناك.

ثم قال: إنَّك إن كلفتنى ما لم أطق، ساءك ما سرَّك مني من خلق. فقال معاوية: يا أبا جعفر! أقسمت عليك لتجلسن، لعن الله من أخرج ضبَّ صدارك من وجاره، محمول لك ما قلت، ولك عندنا ما أمَّلت، فلو لم يكن مجدك ومنصبك، لكان خُلقك وخُلقك شافعين لك إلينا، وأنت ابن ذي الجناحين وسيد بني هاشم.

فقال عبد الله: كلا، بل سيد بني هاشم حسن وحسين لا ينازعهما في ذلك أحد.

فقال: أبا جعفر، أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كائنة ما كانت، ولو ذهبت بجميع ما أملك.

فقال: أمَّا في هذا المجلس فلا، ثم انصرف.

فأتبعه معاوية بصره، وقال: والله لكأنه رسول الله ﷺ مشيه وخلقه وخلقه، وإنه لمن مشكاته، ولوددت أنه أخي بنفيس ما أملك. ثم التفت على عمرو فقال: أبا عبد الله، ما تراه منعه من الكلام معك؟ قال: ما لا خفاء به عنك.

قال: أظنك تقول إنه هاب جوابك! لا والله، ولكنه ازدراك واستحقر، ولم يرك للكلام أهلاً، أما رأيت إقباله عليّ دونك ذاهباً بنفسه عنك. فقال عمرو: فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه؟

قال معاوية: اذهب إليك أبا عبد الله، فلات حين جواب سائر اليوم، ونهض معاوية وتفرّق الناس^(١).

أقول: ألا يكفي هذا الخبر، لمؤلف الكتاب إعادة النظر، في التهجم بظلم على ابن جعفر عليه السلام؟ إنها بلية الموروث المعثوث من سوء المقال، فشوّت صحائف الأعمال، عند أولئك الأفاذا من الرجال، أصحاب الفضيلة والكمال.

وحبذا لو أن مؤلف الكتاب رحمه الله كان قرأ ما رواه الصدوق في (الخصال) باب الاثني عشر، والكليني في (أصول الكافي)، بأسانيدهما: «عن سليم بن قيس الهلالي، قال: سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول: كنّا عند معاوية أنا والحسن والحسين، وعبد الله بن عباس، وعمر بن أبي سلمة، وأسامة بن زيد، فجرى بيني وبين معاوية كلام.

(١) شرح نهج البلاغة ٢٩٦/٦ - ٢٩٧، ط محققة.

فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد علي فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد، فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا علي، ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا حسين، ثم تكلمة اثني عشر إماماً، تسعة من ولد الحسين).

قال عبد الله بن جعفر: واستشهدت الحسن والحسين، وعبد الله بن عباس، وعمر بن أبي سلمة، وأسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية^(١).

كما أنّ المؤلّف عفا الله عنّا وعنه لو قرأ ما ذكره ابن أبي الحديد عن كتاب الواقدي: أنّ عبد الله بن جعفر فاخر يزيد بن معاوية بين يدي معاوية، فقال له: بأيّ آرائك تفاخرنى؟ أبحرّب الذي أجرناه؟! أم بأُمّية الذي ملكناه؟! أم بعبد شمس الذي كفّلناه؟!

فقال معاوية: لحرب بن أمّية يقال هذا! ما كنت أحسب أنّ أحداً في عصر حرب بن أمّية يزعم أنّه أشرف من حرب؟

فقال عبد الله: بلى أشرف منه من كفأ عليه إناءه، وجلّله بردائه.

فقال معاوية ليزيد: رويداً يا بُني، إنّ عبد الله يفخر عليك بك، لأنّك منه وهو منك.

(١) الخصال: ٤٤٧، أصول الكافي ٤٤٤/١.

فاستحيا عبد الله، وقال: يا أمير المؤمنين! يدان انتشطتا، وأخوان
اصطرعا)).

ثم ذكر ابن أبي الحديد ما قاله معاوية لابنه في شرح ما قاله عبد الله
ابن جعفر، وهو حريّ بالمراجعة، ولو أنّ مؤلّف الكتاب قرأ هذا لقصر من
خطوه السريع في التشنيع.

ومن فاته قراءة ما تقدّم نقله من أخبار عبد الله بن جعفر عن الصدوق
في (الخصال)، والكليني في (الكافي)، وابن أبي الحديد في (شرح النهج)،
فأنى له قراءة ما ذكره المدائني (ت ٢٢٨هـ) في كتاب (التعازي)، بسنده:
(«قال: جاور عبد الله بن جعفر عامّاً بمكّة، فمات له مملوك كان مجرباً ذا
موضع منه، فأتاه ابن عباس يعزيّه، فقال: لا تعدم الأجر على الرزية،
والخلف من الفقيد، ثقل الله به ميزانك، وغفر لنا ولفتك»)^(١).

ثم جاء في (كشف أسرار) عن ابن عباس كلام طويل عريض استغرق
ما يقرب من خمس صفحات، لم يترك المؤلّف رحمه الله في تاريخ ابن عباس
أيّ إشارة خير تشفع له، وبتحامل ظالم من دون مبرّر لذلك، فقال ما ترجمته
من صفحاته كلّها باختصار: ((عبد الله بن عباس هو ابن عمّ أمير
المؤمنين عليه السلام والد الحسين عليه السلام، ومخالطته ومحاربته معه في أيام خلافته،
ثمّ توليه من قبله على البصرة، وأخيراً أخذه بيت مال المسلمين بدون إذن

(١) كتاب التعازي: ٨٣، تح ابتسام مرهون الصفار وبدرى محمد فهد مط النعمان سنة ١٣٩١هـ

الإمام، وتمرد عن طاعته، ومضى إلى المدينة (؟) وجرت مكاتبات بين الإمام عليه السلام وبينه حول المال، دلت على جرأته وسوء أدبه، وعاقبة تمرده مضيه إلى الشام إلى معاوية (؟)، وكان نهاية أمره زوج ابنته من يزيد، فكان صهره، كل ذلك مثبت في الكتب، ومشهور في التاريخ، وقد ولدت ابنته ليزيد ولدين.

والذي في السنة أهل المنابر مشهور من دخول هند بنت عبد الله بن عامر زوجة يزيد إلى مجلسه بدون حجاب يوم أتوه بالسبايا بعد شهادة الحسين عليه السلام، وأن يزيد ألقى عليها رداءه، ليس كذلك، بل أن تلك المرأة كانت بنت عبد الله بن عباس (؟)، لأن عبد الله بن عامر بن ربيعة بن الحرث ابن عبد المطلب من بني هاشم، إلا أنه كان رجلاً غالب معيشته من أملاكه بالطائف، ونادراً ما يأتي إلى مكة، وقصة حديثه مع معاوية في شأن أملاكه بالطائف معروف (؟)).

ثم ذكر القصة، وقال: ((مضافاً إلى أنه - يعني عبد الله بن عامر - لم يكن ذا شخصية لها شأن كبير يرغب معاوية في وصلته ومصاهرته على ابنته ليزيد (؟) ثم هم - أصحاب المنابر - يقولون: إنها كانت خادمة عند الزهراء عليها السلام، وهذا يلزم أن يكون عمرها يومئذ قد جاوز الستين، لأن من وفاة الزهراء عليها السلام إلى يوم عاشوراء إحدى وخمسين سنة، ولا بد أن تكون يوم خدمتها ابنة عشر سنين، فكيف يعقل أن تكون ابنة أكثر من ستين سنة زوجة ليزيد الذي مات وعمره ٣٤ سنة (؟)، ثم هي كانت خادمة بيت الزهراء عليها السلام ذلك البيت الذي عرفت عداوة معاوية وابنه يزيد لأهله، إنها لم

تكن ابنة عبد الله بن عامر، بل هي ابنة عبد الله بن عباس، لأن هذين الاسمين يشتركان في الجزء الأول منهما وهو عبد الله، وفي الجزء الثاني عامر وعباس بينهما تشابه في الخط الكوفي، ولا فرق سوى نبرة الباء في عباس، وبذلك حصل سهو النسخ، ولما كان هذا قبيحاً وشديد القبح، غير بعض المتقدمين من نقلة الأخبار والتواريخ وتعمد تحريفه، لكن ابن عبد ربّه صاحب (كتاب العقد الفريد) - الذي هو أحد معتبري مؤرخي أهل السّنة - ذكر في الجلد الثاني من مجلداته الثلاث في طي ذكر تاريخ وتراجم الخلفاء، وعدّد أزواجهم وأولادهم، فذكر يزيد وعدّد أولاده وأزواجه وذكر صريحاً: بأن معاوية، وخالده، وأبو سفيان أمهم فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، وعبد الله، وعمر أمهم أم كلثوم بنت عبد الله بن عباس، وكان ولده عبد الله ناسكاً وولده خالد عالماً، ولم يكن في بني أمية أزهد من هذا ولا أعلم من ذاك، ولا يصحّ الاجتهاد مقابل النص.

وبعد أن علمنا حال عبد الله بن عباس وسابقة أعماله مع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأخيراً مصاهرته ليزيد على ابنته، كيف يرجي أن يكون مع الحسين (عليه السلام) رأياً وقناعة في الخروج معه لحرب يزيد؟ لا يكون ذلك.

ولا ندري ماذا أعدّ جواباً لنفسه في يوم الجزاء عند حضوره بين يدي الله والنبيّ وعليّ وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين)). اهـ.

هذه خلاصة ما ذكره من مؤاخذه ابن عباس في تقصيره بعدم الخروج مع الحسين (عليه السلام) في نهضته، فكانت نقاط الإدانة ثلاثة:

الأولى: أخذه بيت مال البصرة، وقد مرّ بحث هذا بتفصيل في الجزء الثالث من هذه الحلقة^(١)، وأوّل هذا الجزء، فلا مزيد على ما مرّ.

الثانية: ما جاء في كلام المؤلف رحمته الله من التهويل والتضليل، كزعمه أنّ ابن عباس مضى إلى معاوية بالشام في حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا زعم باطل، وينبئ عن قلة معرفة بتاريخ الأحداث، والذي رواه المؤرّخون إنّما كان ذلك بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام، فقد كان الوفود على معاوية بالشام لقبض العطاء، وليس للراحة والسفاهة، فمعاوية منع عن بني هاشم الخمس، فأضرّ بهم الحال في المال، فصاروا يفدون إلى الشام لقبض العطاء، وقد مرّت الإشارة إلى هذا الجانب في ذكر ابن الحنفية وابن جعفر، وليتني علمت رأيه في قبض الحسن والحسين عليهما السلام الأموال عطاءً، أو صلة أو جوائز كيف كان وجه الشرعية في ذلك؟ أليس هما سيّدا شباب أهل الجنة عليهما السلام، وهما وليّا الأمر؟ فكيف كانا يشدّان الرحال من المدينة إلى الشام لقبض العطاء المفروض لهما؟ وقد مرّت رواية ابن جعفر التي ذكر فيها الأئمة عليهم السلام من بعد النبي صلى الله عليه وآله لمعاوية واستشهاده الحسن والحسين عليهما السلام، وعبد الله بن عباس، وأسامة بن زيد، وعمرو بن أبي سلمة، فشهدوا له، فهل حضورهم جميعاً عند معاوية بالشام كانوا في سفرة سياحية ليأكلوا تين الغوطة؟ إنّها سطحية الموروث عند المؤلف رحمته الله.

الثالثة: وهي طامة السذاجة في فهم تاريخ ابن عباس، وهي تزويجه

(١) أي: الجزء الثامن عشر من الموسوعة.

يزيد بابنته، والكلام فيها من جوانب ثلاثة:

الأول: في أصل التزويج.

الثاني: مناقشة المؤلف لأهل المنابر.

الثالث: اعتماده على ما جاء في (العقد الفريد) لابن عبد ربّه.

فأول هذه الجوانب: أنّها فرية لا واقع لها، وقد خبط المؤلف فيها خبط

عشواء، فإنّ لابن عباس - كما في كتب الأنساب - من البنات اثنتان:

إحداهما: لبابة سمّيت باسم أمّ ابن عباس لبابة الكبرى = أمّ الفضل،

وهذه - لبابة بنت عبد الله بن عباس - كان زوجها علي بن عبد الله بن جعفر

ابن أبي طالب عليه السلام، المعروف بعلي الزينبي، نسبة إلى أمّه زينب ابنة أمير

المؤمنين عليه السلام وهي التي روى عنها ابن عباس خطبة أمّها فاطمة الزهراء عليها السلام

في مسجد أبيها عليه السلام حين منعوها فدكاً، فقال ابن عباس: حدّثنا عقيلتنا زينب

بنت علي...^(١)

الثانية: أسماء، تزوّجها ابن عمّها عبد الله بن عبيد الله بن العباس،

فأولدها ولدين سماهما باسم الحسين عليه السلام والحسن والحسين.

وذكر ابن عبد ربّه في (العقد الفريد)^(٢) بتحقيق أحمد أمين ورفيقه بنتاً

ثالثة ولم يسمّها، نعت إلى ابن عباس وهو في السفر؛ إلّا أنّ ابن حمدون

ذكر أنّ هذا كان في طريق مكّة، فنزل عن دابته فصلّى ركعتين، ثم رفع

(١) مقاتل الطالبين: ٩٥.

(٢) العقد الفريد ١٩٦/٣.

يديه وقال، فاسترجع، ثم قال: عورة سترها الله، ومؤنة كفها الله، وأجر ساقه الله^(١).

ولم تذكر مصادر النسب والتاريخ بنتاً أخرى تزوّجها يزيد بن معاوية، وما ذكره المؤلف نقلاً عن (العقد الفريد) لابن عبد ربّه فذلك موجود فيه، ولكن لو تفتّن المؤلف إلى هوية ابن عبد ربّه وقيمة كتابه، لأعرض عنه وعن كتابه الذي فيه من أعاجيب الأكاذيب، ما ينبغي طرحه في سلّة المهملات، ولئلا أكون قاسياً عليه في قولي هذا، أذكر للقارئ واحدة أخرى من أكاذيبه ممّا لها علاقة بما ذكره في المقام، وما أنا بعائب عليه هذا، فالرجل أمويّ الهوى والنزعة، لكن عائب على الأساتذة (عمالقة الفكر والقلم في مصر الكنانة) الذين تولّوا تحقيق كتاب (العقد الفريد)، كيف فاتهم التنبيه على ما فيه! من أكاذيب تنقص عندنا أقدارهم فتزدريهم قبل أن نزدريه.

وللبينة على هذا فالقارئ ما سبق ذكره في الجزء الخامس ٤٠٥/٥ من الحلقة الأولى^(٢):

كبوّة عاثر وهفوة عابر

((ومن الكذب الفظيع الفاضح، ما رواه ابن عبد ربّه في (العقد الفريد) عن العتبي، قال: ((كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل: لبابة بنت عبد الله بن عبّاس، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية، وزينب بنت سعيد بن العاص، وأمّ

(١) التذكرة الحمدونية ٢٨٤/٤، ط صادر.

(٢) موسوعة عبد الله بن عبّاس، الجزء الخامس / الفصل الرابع / في بقية تاريخ حياته.

جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث، فكنّ يجتمعنّ على مائدته، ويفترقن فيفخرن، فاجتمعن يوماً، فقالت لبابة: أما والله، إنك لتسويني بهنّ، وإنك تعرف فضلي عليهنّ.

وقالت بنت سعيد: ما كنت أرى أنّ للفخر عليّ مجازاً، وأنا ابنة ذي العمامة إذ لا عمامة غيرها.

وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث: ما أحبّ بأبي بدلاً، ولو شئت لقلت فصدقت وصدّقت.

وكانت بنت يزيد بن معاوية جارية حديثة السنّ فلم تتكلّم، فتكلّم عنها الوليد، فقال: نطق من احتاج إلى نفسه، وسكت من اكتفى بغيره، أما والله لو شاءت لقلت: أنا ابنة قادتكم في الجاهلية، وخلفائكم في الإسلام. فظهر الحديث، حتّى تحدّث به في مجلس ابن عباس، فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته»^(١).

هذه الكذبة الشنعاء والفرية الصلعاء يرويها العتبي، ويذكرها عنه ابن عبد ربّه، وكلاهما عندي في هذا المقام يستغفلان عقول الناس بمثل هذه الأكاذيب، ولا غرابة منهما فكلاهما أمويّ الهوى.

ولكن هلّم الخطب في الأساتذة الثلاثة المحقّقين للكتاب، وهم: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، كيف انطلت عليهم هذه الأكذوبة، فلم يتفطنوا أنّ لبابة بنت عبد الله بن عباس لم تكن زوجة الوليد،

(١) العقد الفريد ١٠٤/٦.

بل كانت زوجة عليّ بن عبد الله بن جعفر، كما مرّ).

ولمّا مات عنها تزوّجها إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله فولدت له يعقوب، ثمّ فارقتها فتزوّجها ابن عمّها محمّد بن^(١) عبيد الله بن العباس^(٢). ثمّ إنّ ابن عباس ما كان حيّاً أيام الوليد بن عبد الملك ليقول ما قُول، بل كان متوفّى قبل ذلك بما يقرب من عشرين سنة، إذ كانت وفاة ابن عباس سنة ٦٨هـ، وكانت ولاية الوليد سنة ٨٦هـ؛ فلاحظ!

لقد مرّ في الجزء الثاني من هذه الحلقة^(٣) بعنوان (تعقيب) على ما ذكره ابن عبد ربّه في (العقد الفريد) من خبر خيانة بيت مال البصرة ذكر أمويّة ابن عبد ربّه، فراجع تلاقي رجلاً وترى عجباً.

وحسبك ما ذكره ابن الأثير في كتاب (التكملة) من خبر أرجوزة ابن عبد ربّه في الخلفاء ولم يذكر أمير المؤمنين عليه السلام منهم، وجعل معاوية رابعهم! ثمّ ذكر بني مروان إلى عبد الرحمن بن محمّد، فلمّا رأى ذلك منذر

(١) لقد ذكر هذا مصعب الزبيري في كتابه نسب قريش، وقد وقع وهم في النسخ، فلم يتفطن له محقّق الكتاب، وذلك حين قال: تزوّجها محمّد بن عبد الله بن عباس، وهذا من فاضح الخطأ، إذ كيف يصحّ هذا وهي تكون أخته، ولم يتنبّه المحقّق وجرى على خطئه من أتى بعده وأخذ من كتابه من الكتاب المحدثين، (انظر: شدو الربابة، الصحابة والصحابة خليل عبد الكريم، ط سينا للنشر).

(٢) راجع المحرّر، لمحمّد بن حبيب الهاشمي: ٤٤٠، ط حيدر آباد.

(٣) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء السابع عشر، الفصل الأوّل/تهمة الخيانة في المصادر القديمة/مدونات القرن الرابع الهجري/الرابع: العقد الفريد.

ابن سعيد غضب وسبّ ابن عبد ربّه، وكتب في حاشية الكتاب:

أوما عليّ لا برحت مُلَعْنًا يابن الخيشة عندكم يامام
ربّ الكساء وخير آل محمّد داني الولاء مقدّم الإسلام^(١)

فهذا حسب ونسب ابن عبد ربّه.

وأما العتبي، فهو من فروع الشجرة الملعونة في القرآن، فهو منسوب إلى عتبة بن أبي سفيان، وهي نسبة لثلاثة من الرجال، كما ذكرهم الذهبي في (سير أعلام النبلاء):

الأوّل: محمّد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن أبي سفيان ابن حرب الأموي ثمّ العتبي البصري، روى عن ابن عينة، وأبي مخنف، ووالده، وكان يشرب، وله تصانيف أدبيات وشهرة مات سنة ٢٢٨هـ

الثاني: محمّد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن حميد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأمويّ السفيناني العتبي القرطبي المالكي صاحب كتاب (العتيبة)، سمع يحيى بن يحيى الليثي، وأصبع بن الفرّج، وسحنون بن سعيد، و... وروى عنه... قال أسلم بن عبد العزيز: أخبرني ابن عبد الحكم، قال: أتيت بكتب حسنة الخطّ تدعى (المستخرجة) من وضع صاحبكم محمّد بن أحمد العتبي، فرأيت جلّها كُذوباً، مسائل المجالس له، لم يوقّف عليها أصحابها، فخشيت أن أموت، فتوجد في تركتي، فوهبتها لمن يقرأ

(١) التكملة ٢٩/١.

فيها، قلت: كيف استحللت أن تعطيه ليقراً فيها؟ فسكت... مات سنة ٢٦٥هـ وقيل: سنة ٢٦٤هـ.

الثالث: عمر بن محمد بن يحيى بن عثمان القرشي العتبي الاسكندراني، ويعرف بابن جابي الأحباس، ولد سنة ٦٣٩هـ.. ومات سنة ٧٢٤هـ.

أقول: فليس هذا هو المذكور في خبر (العقد الفريد) لتأخر زمنه، بل هو أحد الأولين والذي منهما كان يشرب كما قال الذهبي، فهو أقرب، لأنه له تصانيف أدبيات وشهرة تتسق مع هوى ابن عبد ربّه في منهجية كتابه. ثم إنّ في الخبر فجوات وهنات غير ذلك، فمنها: أنّه لم يكن ليزيد ابنة اسمها فاطمة فمن أين أتى بها ابن عبد ربّه في هذا الخبر، وهو لم يذكر ليزيد عند ذكره أولاده بنتاً؟

ولابن عبد ربّه في كتابه (العقد الفريد) من أعاجيب الأكاذيب ما يضحك منه صبيان الكتاتيب، فمن ذلك ما ذكره في أولاد يزيد، فقال: معاوية وخالد وأبو سفيان، وأمّهم فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، وعبد الله وعمر، وأمّهما أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عباس(?) وهذا أيضاً من فاضح الكذب إذ لم يكن لابن عباس بنت أسمها أمّ كلثوم، وإنّما له: لبابة، وأسماء، وقد ذكرناهما وأزواجهما وذرايهما. وهذا أيضاً لم يتنبّه له المحققون فيصّحّوه، فزه بهكذا محققين، ولتعلّق جامعات الكنانة حافر الحمار على أبوابها لثلاث تصيبها العين اللوامة والهامة لدرء الحسد عن أولئك المحققين...

وأما نقد المؤلف لأصحاب المنابر، إذ يذكرون زوجة يزيد التي دخلت عليه حاسرة كاشفة، وأنها هي هند بنت عبد الله بن عامر بن عتبة بن ربيعة بن عبد المطلب، هي ليست كذلك، بل هي ابنة عبد الله بن عباس، لما تقدم من أنه زوج ابنته من يزيد (١) وهذا من المؤلف رحمه الله خلط عجيب غريب!

أولاً: إخضاعه الحقائق التاريخية للثقافة المنبرية، وهذا ليس من شأن العالم المحقق لغلبة الموروث، وفيها من مقتضى الحال، وما ينبغي وما لا ينبغي، ما لا يجوز الاعتماد على تلك الثقافة التي لم تخل من آفة، بل من آفات كثيرة.

ثانياً: لم تكن لابن عباس بنت اسمها هند، وقد مرّ ذكر أسماء بناته، وهما: لبابة، وأسماء ليس غيرهما، فكيف يريد المؤلف لي النص من دون حجة؟!

ثالثاً: ليس النسب الذي ذكره لتلك المرأة التي يذكره قراء المنابر، وهي هند زوجة يزيد صحيحاً، فإن النسب الذي يذكره أهل المنابر لتلك المرأة قالوا: هي هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وهو الذي كان والياً لعثمان على خراسان وما والاها، وهو الذي كان قد فتحها، راجع (تاريخ الطبري)^(١)، و(تاريخ ابن الأثير)^(٢)، وراجع في التراث الشيعي (موسوعة بحار

(١) تاريخ الطبري ٥/٦.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣٥/٤.

الأنوار^(١)، و(نفس المهموم) للقمي^(٢)، وغير ذلك، ففي جميعها أنها هند بنت عامر بن كريز، وهي زوجة يزيد، وهي التي - كما في (مقتل الخوارزمي)^(٣) - لما رأت رأس الحسين عليه السلام مصلوباً على باب دارها - وقيل: إنها رأت رؤياً في ذلك - فدهشت ولم تتمالك دون أن دخلت على يزيد مهتوكة الحجاب، وهي تصيح: أراس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مصلوب على باب داري، فقام إليها يزيد وغطاها، وقال لها: أعولي وابكي على الحسين فإنه صريخة بني هاشم، عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله، وهذه هي التي تكنى بأم كلثوم، وكان يزيد يحبها كثيراً، ولما بلغه ما لقي الناس من جند الصائفة من حمى وجدري، وأضر بهم الجوع والمرص، فقال يزيد:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم بالغدقونة^(٤) من حمى ومن موم
إذا اتكأت على الأنماط في غرف بدير مروان عندي أم كلثوم^(٥)

(١) بحار الأنوار ٢٤٦/١٠، ط حجرية.

(٢) نفس المهموم: ٢٤٩.

(٣) مقتل الخوارزمي ٧٣/٢.

(٤) وردت هذه الكلمة في كثير المصادر مغلوطة، والصواب ما أثبتناه نقلاً عن تاريخ يعقوبي ٢٠٤/٢، ط الغري، ولما كان المراد بها اسم مكان فقد ذكره ابن عبد الحكم في مرصد الإطلاع: ٢١١ في باب الغين والذال المعجمتين، وقال: غدقونة، بفتح أوله وسكون ثانيه وقاف مفتوحة وذال معجمة مضمومة، وواو ساكنة، ونون، هو اسم جامع للثغر الذي منه المصيصة وطرسوس وغيرهما، ويقال خدقونة أيضاً.

(٥) ذكر هذين البيتين الطبري وابن الأثير وابن خلدون واليعقوبي في تواريخهم، وتعدى ذكرها مصادر المسلمين إلى مصادر غيرهم، فقد ذكرها ميخائيل شارويم بك في كتابه الكافي ٨٩/٢.

قال اليعقوبي: فبلغ ذلك معاوية، فقال: أقسم بالله لتدخلن أرض الروم، فليصبنك ما أصابهم، فأردف به ذلك الجيش فغزا حتى بلغ القسطنطينية. ومهما يكن فقد ذكر ابن سعد في (الطبقات)^(١)، وقال: أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وهي يومئذ عند يزيد بن معاوية. وروى الطبري في تاريخه^(٢)، ومثله ابن الأثير في كامله^(٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق^(٤): ... إنّ تلكم هند بنت عامر بن كريز - وكانت تحت يزيد ابن معاوية - فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين! أُرأس الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فأعولي عليه وحُدّي على ابن بنت رسول الله ﷺ وصريخة قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله قتيلاً ثمّ من جميع تلك المصادر أنّ أمّ كلثوم هي هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وهي كانت زوجة يزيد، فمن أين أتى مؤلف (كشف أسرار) أنّها بنت عبد الله بن عباس، ولو أنّه عفا الله عنه قرأ ما دار بين يزيد وابن عباس من قبل ومن بعد شهادة الحسين عليه السلام من الرسائل المتبادلة، لكان على يقين من خطئه فيما اتّهم به ابن عباس. وأما اعتماده على ما جاء في (العقد الفريد)، فقد بيّنت ما فيه من الغلط

(١) طبقات ابن سعد ٤٨٩/١.

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٥/٥.

(٣) الكامل ٥٧٦/٢.

(٤) تاريخ دمشق ٨٥/٦٢.

الشائن في الحقائق التاريخية بالنسبة إلى ابن عَبَّاسٍ، بدءاً من ذكره خيانة بيت مال البصرة، وما مهَّد لذكرها من خبر عمر، وقد مرَّ كلُّ ذلك في الجزء الثاني من هذه الحلقة كما أُشرت.

وأختم الكلام في المقام بذكر آخر أكذوبة على ابن عَبَّاسٍ ذكرها ابن عبد ربِّه في كتابه الجزء الرابع، بتحقيق أحمد أمين ورفيقه ط سنة ١٣٦٣هـ بمصر:

((...هشام بن عروة، قال: قال عبد الله بن عَبَّاسٍ للجائز به: جنبني خشبة ابن الزبير، فلم يشعر ليلة حتَّى عثر فيها، فقال: ما هذا؟ فقال: خشبة ابن الزبير.

فوقف ودعا له، وقال: لئن علتك رجلاك، لطالما وقفت عليهما في صلاتك، ثمَّ قال لأصحابه: أما والله ما عرفته إلاَّ صَوَّاماً قَوَّاماً، ولكنني ما زلت أخاف عليه منذ أن رأيته تعجبه بغلات معاوية الشهب.

قال: وكان معاوية قد حجَّ ودخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء عليها رحائل الأرجوان، فيها الجواري عليهن الجلابيب والمعصفرات، ففتن الناس))^(١). اهـ.

فهذه الكذبة التي ذكرها ابن عبد ربِّه، ومرَّت على الأساتذة المحقِّقين دون أن يلتفتوا إلى أنَّها غير صحيحة بكلِّ معنى الكلمة، إذ كان ابن عَبَّاسٍ

(١) العقد الفريد ٤/٢٠٤.

توفي سنة ٦٨هـ بالطائف، وقتل ابن الزبير وصُلب في أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ بمكة، فأين نشر ابن عباس وجاء فعثر بخشبة ابن الزبير؟! قال اليعقوبي في تاريخه: ((وصلب بالتنعيم، فأقام ثلاثة، وقيل: سبعة أيام، ثم جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر وهي عجوز عمياء، حتى وقفت على الحجّاج، فقالت: أما آن لهذا الراكب أن ينزل بعد؟ أما إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنّ في بني ثقيف مبيراً وكذاباً)، فأما المبير فأنت، وأما الكذاب فالمختار بن أبي عبيد.

فقال: من هذه؟

قيل: أم ابن الزبير، فأمر به فأُنزل^(١).

فأين كان ابن عباس حيّاً ليقول: جنبني خشبة ابن الزبير؟! إنها من أكاذيب ابن عبد ربّه الأندلسي، ومن سخرية الأقدار أن يتولّى تحقيق كتابه (العقد الفريد) أساتذة من مصر ذوي شهادات عالية، ولكنهم في ثقافتهم أفرغ من فؤاد أم موسى.

(١) تاريخ اليعقوبي ١٤/٣، ط الغري.

النقطة الرابعة عشرة

نتائج محزنة، وامتحان عسير

لقد كانت واقعة الطفّ الأليمة ذات نتائج محزنة بعظم مآسيها، فأعطت النخبة الباقية من بني هاشم دروساً قاسية: فعلمتهم أن لا ينشطوا في كفاح مسلّح مع حكام الجور، إذ أخدمت فيهم جذوة النشاط السياسي الفاعل في معارضتهم، كما أورثتهم تلك المأساة درساً لا ينسى، وذلك عدم الثقة بمن يأتيهم فيزعّم لهم النصر، ويطمعهم في نجاح الثورة على الظالمين، فصاروا يظهرون الولاء وهم لهم خادعون، يخادعونهم لبلوغ مآربهم، فيتخذونهم ذريعة لاستغواء الناس بمتابعتهم ومبايعتهم، فتعود كربلاء ثانية حامية، وتقضي على البقية الباقية من أهل البيت عليهم السلام وسائر بني هاشم، لذلك فقد عظمت مصيبة أولئك النخبة المنظورة اجتماعياً، كابن عباس، وابن الحنفية، وابن جعفر، وأضرابهم، فهم حين يرون الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام وهو ولي الدم، قد اتخذ سبيلاً إذ قد تجاوز المحنة بما يصدّ عنه عادية المتكالبين على الحكم، سواء من ابن الزبير وأعوانه، أو يزيد والخالفين من بعده في سلطانه، ففي العلم والدعاء في المحراب ما يغني عن إشهار السيف والحراب، فرأى رجال النخبة في تلك السيرة العطرة نتائج مثمرة، إلا أنّهم ليس لديهم ما للإمام عليه السلام من قدسية الإمامة التي خصّه الله بها، فأورثته مناعة عن الوقوع في مطبات الأهواء، أمّا رجال النخبة فقد

كانوا هم ومع الناس كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، على حدّ تعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه حاله أيام الحاكمين قبله، وقد ساءت الأحوال، حين كان بنو أمّية حكام الشام وما والاها، وابن الزبير في الحرمين والحجاز يدعو الناس إلى مبايعته، والمختار الثقفي في الكوفة يدعو الناس إلى الطلب بشار الحسين عليه السلام، وهذا إيقاع تهفو إليه قلوب الشيعة، ويبد هؤلاء من القوة والسلطان والمال ما يفتقده بنو هاشم، فهم في حصار اقتصادي منذ منع عنهم الخمس، وإن كان لديهم غنى محبة في قلوب المؤمنين، لما لهم من المثل العليا في الأخلاق والدين، ولكن ذلك الرصيد لا يغني وحده، فالناس هم في كل زمان ومكان كما وصفهم سيّد الشهداء عليه السلام بقوله: (الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معاشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون)^(١)، لذلك فقد انكمشوا على أنفسهم، وانصرفوا إلى شؤونهم الخاصة، متجنّبين مضلّات الفتن، فوقفت سفينتهم على ساحل العلم والعبادة، ولم تجر بهم على اليبس المادي في النضال السياسي، فطمع فيهم من لا يسامتهم في موكب أو منكب، فبنو أمّية من جانب، وابن الزبير من جانب، والمختار من جانب ثالث، كلّ منهم يريد جرّهم إلى صفّه، فيزيد يدعو محمّد بن الحنفية متودّداً إلى زيارته بالشام، ويكتب إلى ابن عباس يتودّده ويشكره على موقفه من رفضه مبايعة ابن الزبير، وابن الزبير يتهدّدهم بالحبس والحرق إن

(١) مقتل الخوارزمي ٣٣٧/١.

لم يبايعوه، وقد حبس منهم خمسة عشر إنساناً، منهم: ابن الحنفية، وابن عباس، كما مرّ حديثهم في الجزء الخامس من الحلقة الأولى، والمختار يكاتبهم ويهدي إليهم ويخادع الناس بهم، فكان أعظم بني هاشم امتحاناً، هما: ابن الحنفية، وابن عباس، فهما في تلك المحنة كانا على أصعب موقف، وأشدّ محكّ.

وإلى القارئ ما كان منهما ممّا يحسب لهما لا عليهما:

فقد روى ابن أعثم (ت ٣١٤هـ)، والخوارزمي الحنفي (ت ٥٦٨هـ) في (مقتل الحسين عليه السلام): أنّ يزيد لعنه الله كتب إلى ابن الحنفية يدعوه للوفادة عليه بالشام، وكان محمد يومئذ بالمدينة:

أما بعد، فإنّي أسأل الله لي ولك عملاً صالحاً يرضى به عنّا، فإنّي لا أرى اليوم في بني هاشم رجلاً هو أرجح منك فهماً وعلماً، ولا أحضر فهماً وحكماً، ولا أبعد من كلّ سَفَهٍ ودنس، وليس من يتخلّق بالخير تخلّقاً، ويتبجّل بالفضل تبجّلاً، كمن جبله الله على الخير جبّلاً، وقد عرفنا ذلك منك قديماً وحديثاً، وشاهداً وغائباً، غير أنّي قد أحببت زيارتك والأخذ بالخطّ من رؤيتك ورأيك، فإذا نظرت في كتابي هذا فأقبل إلينا آمناً مطمئناً، أرشد الله أمرك، وغفر لك ذنبك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلما ورد الكتاب على محمد بن عليّ، أقبل على ابنه جعفر، وعبد الله أبي هاشم، فاستشارهما في ذلك.

فقال له ابنه عبد الله: يا أبت اتّق الله في نفسك، ولا تصر إليه فإنّي

أخاف عليك أن يلحقك بأخيك الحسين ولا يبالي.

فقال محمد: يا بني! ولكني لا أخاف ذلك منه.

فقال له ابنه جعفر: يا أبت! إنه قد ألطفك في كتابه إليك، ولا أظن أنه كتب إلى أحد من قريش، أرشدك الله أمرك، وغفر لك ذنبك، أرجو أن يكف الله شره عنك.

فقال محمد بن علي: يا بني! إني توكلت على الله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وكفى بالله وكيلًا.

- وهنا اصطدم محمد بن الحنفية بمحنة الاختبار العسير - كأسان أحلاهما مرّ - فرأى ارتكاب أهون الضررين في الذهاب إلى يزيد الذي تجمعه وإياه المنافاة - نسبة إلى عبد مناف - أولى من مبايعة ابن الزبير الذي كان يبغض محمدًا بغضاً لا مزيد عليه، وقد مرّت الإشارة إلى بعض الشواهد عليه.

قال - الرواة - ثمّ تجهز محمد بن عليّ وخرج من المدينة وسار حتّى قدم على يزيد بن معاوية بالشام، فلمّا استأذن أذن له، وقربه وأدناه، وأجلسه معه على سريرته، ثمّ أقبل عليه بوجهه.

فقال: يا أبا القاسم! آجرنا الله وإياك في أبي عبد الله الحسين بن علي، فوالله لئن كان نقصك فقد نقصني، ولئن كان أوجعك فقد أوجعني، ولو كنت أنا المتولّي لحربه لما قتلتته، ولدفعت عنه القتل، ولو كان بذهاب ناظري، ولقديته بجميع ما ملكت يدي، وإن كان قد ظلمني، وقطع رحمي،

ونازعني حقّي، ولكن عبيد الله بن زياد لم يعمل برأيي، فعجل عليه القتل فقتله، ولن يستدرك ما فات، وبعد فإنّه ليس يجب علينا أن نرضى بالدنيّة في حقّنا، ولكن يجب على أخيك رحمه الله، أن لا ينازعنا حقّنا، وما قد خصّنا به دون غيرنا، وعزيز عليّ ما ناله، والسلام، فهات الآن ما عندك يا أبا القاسم؟

قال - الرواة -: فتكلّم محمّد بن عليّ، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّي قد سمعت كلامك، فوصل الله رحمك، ورحم حسيناً، وبارك له فيما صار إليه من ثواب ربّه، والخلد الدائم الطويل، عند الملك الجليل، وقد علمنا أنّ ما نقصنا فقد نقصك، وما عراك فقد عرانا من فرح وترح، وكذلك الظنّ أنّك لو شهدت ذلك بنفسك، لكنت ترى أجمل الرأي والعمل، ولجانبت أسوأ الرأي والفعل والخطل، والآن فإنّ حاجتي إليك أن لا تسمعي فيه ما أكره، فإنّه أخي وشقيقي وابن أبي، وإن زعمت أنّه ظلمك وكان عدواً لك كما تقول.

قال - الرواة -: فقال له يزيد: إنّك لا تسمع فيه إلّا خيراً، ولكن هلّم فبايعني، واذكر ما عليك من الدين حتّى أقضيه عنك.

فقال محمّد بن عليّ ﷺ: أما البيعة، فقد بايعتك، وأمّا ما ذكرت من أمر الدين فما عليّ دين والحمد لله، وإنّي من الله تبارك وتعالى بكلّ نعمة سابغة لا أقوم بشكرها.

قال: فالتفت يزيد إلى ابنه خالد، فقال: يا بني! إنّ ابن عمّك هذا بعيد

من اللؤم والدنس والكذب، ولو كان غيره كبعض من عرفت لقال عليّ من الدين كذا وكذا، ليستغنم أخذ أموالنا.

قال - الرواة - ثمّ أقبل عليه يزيد، فقال: بايعني يا أبا القاسم.

فقال: نعم يا أمير المؤمنين!

فقال: إنني قد أمرت لك بثلاثمائة ألف درهم، فابعث من يقبضها، وإذا أردت الانصراف عنا، أوصلناك إن شاء الله تعالى.

قال - الرواة - فقال له محمّد بن عليّ (رحمه الله): أيّها الأمير! لا حاجة لي في هذا المال، ولا له جئت.

فقال يزيد: فلا عليك أن تقبضه وتفرّقه فيمن أحببت من أهل بيتك.

قال: فإنني قد قبلته.

قال - الرواة - فأنزله يزيد في بعض منازلها، وكان محمّد بن عليّ يدخل إليه صباحاً ومساءً، وإذا وفد المدينة قد أقبلوا على يزيد... فأجازهم... فلما أرادوا الانصراف إلى المدينة أقبل محمّد بن عليّ (عليه السلام) حتّى دخل على يزيد، فاستأذنه في الانصراف معهم إلى المدينة، فأذن له في ذلك، ووصله بمائتي ألف درهم أخرى، وأعطاه عروضاً بمائتي ألف درهم.

وقال: يا أبا القاسم! إنني لا أعلم على وجه الأرض في مثل اليوم رجلاً هو أعلم منك بالحلال والحرام، وقد كنت أحببت أن لا تفارقني، وأن تعظني وتأمّرني بما فيه حظّي ورشدي، فوالله لا أحبّ أن تنصرف عني، وأنت ذامّ لشيء من أخلاقي.

قال - الرواة -: فقال له محمد بن علي: أمّا ما كان منك إلى الحسين فذاك شيء لا تستدرك، وأمّا الآن فإنّي ما رأيت منك منذ قدمت عليك إلاّ خيراً، ولو رأيت منك خصلة أكرهها كما وسعني السكوت دون ما أنهاك عنها، وأخبرك بحقّ الله فيها، للذي أخذ الله تبارك وتعالى على العلماء في علمهم أن يبينوه للناس ولا يكتُمونه، ولست مؤدياً عنك إلى من ورائي من الناس إلاّ خيراً، غير أنّي أنهاك عن شرب هذا المسكر، فإنّ رجس من عمل الشيطان، وليس من ولي أمور الأُمّة ودُعي له بالخلافة على رؤوس الأشهاد على المنبر كغيره من الناس، فاتّق الله في نفسك، وتدارك ما فات من أمرك، والسلام.

قال - الرواة -: فسّر يزيد بما سمع من محمد سروراً شديداً.

ثمّ قال: إنّني قابل منك ما أمرتني به، وإنّي أحبّ أن تكاتبنني في كلّ حاجة تعرض لك من صلة أو تعاقد لا تقصرن في ذلك.

فقال محمد: افعل ذلك إن شاء الله، ولا أكون إلاّ عند ما تحبّ، ثمّ ودّعه ورجع إلى المدينة، ففرّق ذلك المال كلّهُ في أهل بيته وسائر بني هاشم وقريش، وما من سائر النساء والرجال والذرية والموالي إلاّ صار إليه شيء من ذلك المال، ثمّ خرج محمد من المدينة إلى مكّة، فأقام بها مجاوراً لا يعرف شيئاً غير الصوم والصلاة.

ولقد روى ابن عساكر عن عليّ بن الحسين، قال: ((كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يهدّده ويتوعّده ويحلف له ليحمل إليه مائة ألف في البرّ، ومائة ألف في البحر، أو يؤدّي إليه الجزية، فسقط في يده، فكتب

إلى الحجاج أن اكتب إلى ابن الحنفية فتهدده وتوعده، ثم أعلمني ما يرد عليك، ثم كتب الحجاج إلى ابن الحنفية بكتاب شديد يهدده ويتوعده فيه بالقتل، فكتب إليه ابن الحنفية:

((إنَّ لله تعالى ثلثمائة وستين لحظة إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله إليَّ نظرة يمنعي بها منك))، فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى ملك الروم بنسخته.

فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك، ولا أنت كتبت به، ما خرج إلا من بيت نبوة^(١).

وروى ابن أبي شيبة، عن محمد بن الحنفية، قال: ((أتقوا هذا الفتن، فإنها لا يستشرف لها أحد إلا استبقته، ألا أن هؤلاء القوم لهم أجل ومدة، لو اجتمع من في الأرض أن يزيلوا ملكهم لم يقدرُوا على ذلك، حتى يكون الله هو الذي يأذن فيه، أتعطيعون أن تزيلوا هذه الجبال؟))^(٢).

ومع هذا الاعتزال والتوقي من شرور المتسلطين، فلم يسلم في مكة من شر ابن الزبير الذي صب جام غضبه وحقده على بني هاشم عامة، وعلى ابن الحنفية وابن عباس خاصة، وقد مر ذكر جانب من هذا في الجزء الخامس من الحلقة الأولى^(٣)؛ فراجع!

(١) تاريخ ابن عساكر ٥٤ / ٣٣٢، كنز العمال ٣٠ / ١٤ رقم ٣٧٨٥٥.

(٢) المصنّف ٢٧٢ / ٧.

(٣) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء الخامس، الفصل الثالث / جبر الأمة أيام ابن الزبير والمروانيين.

والذي ينبغي التذكير به في المقام: موقف ابن عباس في تلك الفترة المظلمة بمضلات الفتن، حيث امتنع من مبايعة ابن الزبير، فكتب إليه يزيد يتودّده ويشكره على موقفه المناهض لابن الزبير:

((أما بعد، أنه بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته ليدخلك في طاعته، فتكون على الباطل ظهيراً، وفي المأثم شريكاً، فامتنعت عليه، وانقبضت لما عرفك الله في نفسك من حقنا أهل البيت، فجزاك الله أفضل ما جزى الواصلين عن أرحامهم، الموفين بعهودهم، ومهما أنس من الأشياء، فلن أنس برّك وصلتك وحسن جائزتك التي أنت أهلها، في الطاعة والشرف والقراءة لرسول الله ﷺ، فانظر من قبلك من قومك ومن يطرأ عليك من أهل الآفاق ممّن يسحره ابن الزبير بلسانه وزخرف قوله، فخذلهم عنه، فإنهم لك أطوع، ومنك أسمع منهم للملحد والخارق المارق، والسلام)).

فكتب إليه ابن عباس إليه:

((أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه دعاء ابن الزبير إليّ للذي دعاني إليه، وأنّي امتنعت عليه معرفة لحقك، فإن يكن ذلك كذلك، فلست برّك أرجو بذلك، ولكن الله بما أنوي به عليم.

وكتبت إليّ أن أحث الناس عليك، وأجذبهم عن ابن الزبير، فلا ولا سروراً ولا حوراً، بفيك الكثكث^(١)، ولك الأثلب^(٢)، إنك العازب إن متّك

(١) صغار الحجارة والتراب.

(٢) الحصى والرمل.

نفسك، وإنك لأنت المفقور المشبور.

وكتبت إليّ بتعجيل برّي وصلتي، فاحبس أيّها الإنسان عني برّك
وصلتك، فإنّي حابس عنك ودّي ونصرتي، ولعمري ما تعطينا ممّا في يدك
إلا القليل، وتحبس منه الطويل العريض، لا أبأ لك.

أتراني أنسى قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطلب مصاييح الدجى،
ونجوم الأعلام، وغادرتهم خيولك بأمرك، فأصبحوا مصرّعين في صعيد
واحد، مزملين بالدماء، مسلوبين بالعراء، لا مكفّنين ولا موسّدين، تسفيهم
الرياح وتغزوهم الذئاب، وتنتابهم عوج الضباع، حتّى أتاح الله لهم قوماً لم
يشركوا في دمائهم، فكفّنوهم وأجنّوهم.

وبهم والله وببي من الله عليك، فجلست في مجلسك الذي أنت فيه.

ومهما أنس من الأشياء فلست أنسى تسليطك الدعيّ ابن الدعيّ، الذي
كان للعاهرة الفاجرة، البعيد رحماً، اللئيم أباً وأمّاً، الذي اكتسب أبوك في
ادّعائه له العار، والمأثم والذلّة، والخزي في الدنيا والآخرة، لأنّ رسول
الله ﷺ قال: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)^(١)، وإنّ أباك يزعم أنّ الولد لغير
الفراش، ولا يضير العاهر، ويلحق به ولده، كما يلحق ولدُ البغي الرشيد،
ولقد أemat أبوك السنّة جهلاً، وأحيى الأحداث المضلّة عمداً.

ومهما أنس من الأشياء، فلست أنسى تسييرك حسيناً من حرم رسول

(١) راجع موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤٩٠/١٠ - ٤٩١ تجد أكثر من ثلاثين مصدراً
لهذا الحديث الشريف بما فيهن كتب الصحاح والمسانيد والسنن.

الله ﷺ إلى حرم الله، وتسييرك إليه الرجال، وإدساسك إليهم إن هو نذر بكم فعاجلوه، فما زلت بذلك وكذلك، حتى أخرجته من مكة إلى أرض الكوفة، تزار إليه خيلك وجنودك زئير الأسد، عداوة منك لله ولرسوله ولأهل بيته، ثم كتبت إلى ابن مرجانة يستقبله بالخيول والرجال، والأسنة والسيوف، ثم كتبت إليه بمعاجلته وترك مطاولته، حتى قتلته ومن معه من فتيان بني عبد المطلب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

نحن أولئك، لا كآبائك الأجلاف الجفاة أكباد الحمير.

ولقد علمت أنه كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزه بها حديثاً، لو ثوى بالحرمين مقاماً، واستحلّ بهما قتالاً، ولكنه كره أن يكون هو الذي يستحلّ حرم رسول الله ﷺ وحرمة البيت الحرام، فطلب المودعة، وسألكم الرجعة، فاغتنمتم قلة أنصاره، واستئصال أهل بيته، كأنكم تقتلون أهل بيت من الترك أو كابل.

وكيف تحدوني على ودك وتطلب نصرتي! وقد قتلت بني أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثاري، فإن يشأ الله لا يطلّ لديك دمي، ولا تسبقني بثاري، وإن تسبقنا به، قبلنا ما قُتلت النبيون وآل النبيين، فطلّت دمائهم في الدنيا وكان الموعد الله وكفى بالله للمظلومين ناصراً، ومن الظالمين منتقماً.

والعجب كلّ العجب! وما عشتَ يريك الدهر العجب، حملك بنات

عبد المطلب، وحملك أبناءهم أغيلمة صغاراً إليك بالشام، تري الناس أنك قد قهرتنا، وأنت تذلنا، وبهم والله وبى من الله عليك وعلى أهلك وأهلك من السباء.

وأيم الله، إنك لتصبح وتمسي آمناً لجراح يدي، وليعظمن جرحك بلساني وبناني، ونقضي وإبرامي، فلا يستعزّنك^(١) الجدّل، فلن يمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله ﷺ إلا قليلاً، حتى يأخذك الله أخذاً أليماً، ويخرجك من الدنيا آثماً مذموماً، فعش لا أباً لك ما شئت، فقد أرداك عن الله ما اقترفت^(٢). اهـ.

فلما قرأ يزيد هذا الكتاب، قال: «لقد كان ابن عباس مضبباً^(٢) على الشر»، وغضب غضباً شديداً، وهمّ بقتل ابن عباس، ولكن الله شغله بأمر ابن الزبير، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر، فمات سكراناً بحوارين من نواحي حمص.

وإنّ هذه الرسالة من ابن عباس في بلاغتها وقوّ حجّتها، كأنّها مستقاة من نهج ابن عمّه أمير المؤمنين السّليمان، وهي أصدق وثيقة تاريخية تدين يزيد بجرائمه، وتدمغ الذين برؤوه من جريمة قتل الحسين السّليمان وأدانوا بها ابن زياد، كما أنّها آخر ما عرف عن ابن عباس رضي الله عنه من موقف سياسي مع يزيد لعنه الله.

(١) في جملة من المصادر تصحيف والصواب ما أثبتناه، ومعناه لا يغلب عليك، يقال: استعزّ به الحال أي غلب عليه.

(٢) في جملة من المصادر تصحيف والصواب ما أثبتناه، ومعناه أخفى غلّه في قلبه وأمسكه.

راجع بشأنها توثيقاً وتصديقاً الجزء الخامس من الحلقة الأولى من هذه الموسوعة من صفحة (٢٦٠) إلى صفحة (٢٦٦).

وبهذا اختتم المبحث الأول في بحث تشيع ابن عباس وذويه بين السلب والإيجاب، ولقد تبين بوضوح أنهم من أعظم بني هاشم، وأنهم من الشيعة الذين يرون أن الإمامة لأمر المؤمنين عليه السلام وإن تغلب على الحكم غيره، وكانوا له تبعاً في متابعتة ومبايعته، كما قرأنا أنهم من بعده شايعوا الإمام الحسن عليه السلام، وبعد المهادنة مع معاوية لعنه الله بدت بوادر الانفصام التي عمل هو على زراعتها وتنميتها بدسائسه، فنجح في تشويه سمعة البعض منهم بضعف الأخلاق أو حب المال، كعبيد الله بن عباس حين ازدلف إليه وترك جنده في أيام الحسن عليه السلام، وكابن جعفر الذي استرله حتى سمى بعض بنيه باسم معاوية - وسمى هذا ابنه يزيد - وما أن هلك وقام ابنه يزيد لا بارك الله في يزيد، ولعنه لعن عاد وثمود ويزيد، فقد ارتكب جريمته النكراء، والتي لم يكن لها شبه في تاريخ الإنسانية جمعاء، وأعلن بكفرته الصلعاء، ولما أحس المسلمون منه الكفر فأظهروا النعمة عليه وظاهروه العدو والبغضاء، صار يتبرأ من قتل الحسين عليه السلام، ويقول: عجّل عليه ابن زياد، ودعا محمد بن الحنفية لزيارته بالشام، فاستجاب مكرهاً لا بطل، وحصل له ما حصل، ممّا مرّ ذكره، ولم يبق من زعماء الهاشمين ممّن لم تزعزعه العواصف ومكذوب العواطف، سوى ابن عباس الذي كان شوكة في عيون الحاقدين من خالفين ومستخلفين، حصارم ومتربّين، فحاول يزيد

مخادعته فباء بالفشل، واكتشف في رسالته مخادعاً كناطح الجبل، إذ جاء الجواب كما مرّ، وفيه من التهديد والوعيد والتنديد ما أغضب يزيد، فقال: «لقد كان ابن عباس مضباً على الشر»، وهمّ بقتله لولا دفع الله عنه بما كان من أمر يزيد مع ابن الزبير، إلى أن هلك إلى جهنم وبئس المصير.

المبحث الثاني

في بقية ما قيل
في ابن عباس رضي الله عنه من تنقيد

لقد ابتلي تاريخ المسلمين بشريحة من الأخباريين، الذين يللمون الروايات من هنا وهناك، من دون تمحيص سند أو متن، وأضفوا على جوامعهم الأخبارية، أسماء رنانة، على أن بعضهم لم يخل من علامة استفهام في انتمائه السياسي أو المذهبي، فصارت كتبهم سبباً في إشاعة الفوضى في المعلومات التاريخية، وكم وُجد بينها من أخبار كاذبة ومن المعلوم إنها - تلك الأخبار - في سرعة انتشارها كنار الهشيم في يوم ريح عاصف، لا تبقي ولا تذر في تحطيم كيان نُخب الرجال، وهذا ما مُني به تاريخ ابن عباس، وقد قرأنا فيما مرّ من أجزاء هذه الموسوعة شواهد على هذا.

وكم قد رأيت في كتب التراث تفاوت نقل، أو تزيّد نصّ، وكلّما امتدّ الزمان، واشتدّ الطعان واللعان بين أصحاب الفرق والمذاهب، تزداد الصورة تعتيماً، والرواية تضخيماً، وصار التعديل والتجريح في مهبّ الريح في الميدان الفسيح، وفيه يضيع الصحيح من الموروث، لطنطة العناوين، وبريق أسماء المؤلّفين.

وإلى القارئ نماذج استهدفت ابن عباس، فأنزلته إلى الحضيض جراء تلك الأخبار الدائمة له:

الأول:

فقد روى المجلسي رحمه الله في كتابه (بحار الأنوار)، فقال: ((أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الخبر التالي: إِنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا عَلَى وَلَدِ الْعَبَّاسِ بِالشَّتَاتِ، فَلَمْ يَرَوْا بَنِي أُمِّ أَبَعْدَ قُبُوراً مِنْهُمْ، فَعَبَدَ اللَّهُ بِالْمَشْرِقِ، وَمَعْبَدَ بِالْمَغْرِبِ، وَقَتَّمُ بِمَنْفَعَةِ الرُّوَّاحِ، وَثَمَامَةَ بِالْأَرْجَوَانِ، وَمَتَمَّمُ بِالْخَازَرِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ كَثِيرٌ:

دَعَا دَعْوَةَ رَبِّهِ مُخْلِصاً فَيَالِكَ مِنْ قَسَمٍ مَا أُبْرَأَ
دَعَا بِالنُّوَى فَتَنَاءَتْ بِهِمْ مَعَارِفَةُ الدَّارِ بَرّاً وَبَحْرَا
فَمَنْ مَشَرَّقَ ظِلٌّ ثَاوٍ بِهِ وَمَنْ مَغْرِبَ مِنْهُمْ مَا أَضْرَأُ^(١)

أقول: وهذا الخبر قد رواه من قبل ابن شهر آشوب في كتابه (مناقب آل أبي طالب) في فصل إجابة دعواته، فقال: ((أبو هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية: إِنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا عَلَى وَلَدِ الْعَبَّاسِ بِالشَّتَاتِ...))^(٢).

ويبدو أن المجلسي رحمه الله نقل الخبر منه، وإن لم يذكر مصدره في النسخ المطبوعة التي رأيتها، ومهما يكن فإن الرواية مرسلة لا يعتد بها، كما قال هذا السيد الأستاذ رحمه الله في ترجمة قثم بن العباس من كتابه (معجم رجال الحديث) نقلاً عن (مناقب ابن شهر آشوب).

(١) بحار الأنوار ٥٥٨/٩، ط كمباني حجري وص ٦٣٨، ط طهران حجري، و ٢٠٧/٤١ - ٢٠٨، ط الوفاء بيروت.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١١٣/٢، ط الحيدرية.

وأيضاً ممّا يوهّنها، نسبة الشعر لكثير - وهو كثير عزة المعروف - ولم يوجد هذا في شيء من مصادر شعره، سواء ما طبع منه باسم الديوان، أو بنحو دراسات خاصّة به، ولا في دواوين الشعر العربي، أو كتب الأدب، أو التراجم، أو التاريخ، وليتني عرفت من أين نقل (ابن شهر آشوب) هذا الخبر مع جهالة السند بينه وبين أبي هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفية؟! مضافاً إلى جهالة حال أبي هاشم الذي هو من أئمة الكيسانية، ومنه انتقلت الدعوة إلى بني العباس بوصية منه إلى محمّد بن علي بن عبد الله بن العباس، وقد مات عنده بالحميمة.

ثم إن في الخبر وقع تصحيف في اسم تمام فورد اسمه ثمامة، وليس في ولد العباس من اسمه ثمامة ولا متمم أيضاً؛ إلى غير هذا من جهالة الأماكن..

فالخبر ساقط بالمرّة؛ ولا ينقضي العجب من الشيخ ابن شهر آشوب رحمته الله الذي رواه من دون تعقيب عليه! وأعجب منه الشيخ المجلسي رحمته الله الذي رواه وكثيراً مثله عمّن هبّ ودبّ، من دون تعقيب وتثريب! وهذا ما أضعف الثقة ببعض مرويات الكتّابين^(١).

(١) نحو ما رواه ابن شهر آشوب في المناقب ١٩٢/٣ في فصل تواريخ الإمام الحسن عليه السلام وأحواله، نقلاً عن أبي طالب المكي [هو محمّد بن علي بن عطية العجمي ثمّ المكي الواعظ صاحب قوت القلوب في معاملة المحبوب في التصوّف، حكى أنّه كان يستعمل الرياضة كثيراً، قدم بغداد فوعظ الناس فخلط في كلامه فتركوه وهجروه، وامتنع عن الكلام بعد ذلك، وحفظ عليه من خلطه قوله - والعياذ بالله - ليس على المخلوقين أضرار من الخالق، راجع

الثاني:

روى الكشي في رجاله: ((عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن محمد بن سنان، عن موسى بن بكر الواسطي، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اللهم العن ابني فلان، واعم

⇨

كتاب (الكنى والألقاب) للشيخ عباس القمي، أنه عليه السلام تزوج مائتين وخمسين امرأة، وقيل ثلثمائة، وكان علي يضجر من ذلك فكان يقول في خطبته: إن الحسن مطلق فلا تزوجه (؟؟؟)، وروى ابن شهر آشوب أيضاً: عن أبي عبد الله المحدث في رামش افزاي أن هذه النساء كلهن خرجن خلف جنازته حافيات (؟؟؟) [لقد ذكر المؤلف هذا الشيخ منتجب الدين في كتابه في الرجال كما نقل عنه سيدنا الأستاذ في معجم رجال الحديث، وأنه مصنف رامش افزاي آل محمد في عشر مجلدات، ثم قال: شاهدته وقرأت بعضها عليه (ج ١٨/١٧ برقم ١٠٦٣٣ معجم رجال الحديث (؟) ولي تحفظ على أقوال منتجب الدين رحمته، وقد مر ذكر إغراقه في المدح والثناء على زعيم وقته الذي أهدى إليه كتابه في الرجال، متأثراً بثقافة العصر المغولي الذي عاش فيه]، وهذا مما يضحك الثكلى لغرابته ووضوح كذبه، وقد تعرض لبيان سخف هذا القول من كتب في الحسن عليه السلام من الأعلام، وفي نظري أن ما ذكره الدكتور زكي مبارك المصري في كتابه المدائح النبوية ص ٥٧ - ٥٩ وأنها - كثرة الأزواج - دسيسة أموية بلباقة سياسية نجحت في تشويه سمعة الحسن من الوجهة السياسية، وهذا هو الصحيح.

ويبقى قول القائل صحيحاً: «كل كتاب يؤخذ منه ويترك إلا كتاب الله تعالى»، كما صح قول من قال: «كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد إلا قول المعصوم، إذا صحت النسبة إليه»، وعلى هذا تبقى الأقوال وأصحابها على المحك، وقد يتوهم صاحب الكتاب صحة القول فيذكره مطمئناً، ثم ينكشف له أو لغيره من بعده عدم ذلك، فلا ننخدع بعناوين الدوات وما لها من المصنفات، وما أكثر الشواهد على هذا في كتب التراث عندنا وعند غيرنا، فالأخذ منها بتحفظ أنجي وأسلم.

أبصارهما كما عميت قلوبهما الأجلين في رقبتني، واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما)))^(١).

لقد مرّ ذكر هذا الخبر في ترجمة عبيد الله في المبحث الأول؛ وما في هذا الخبر سنداً ودلالة من مناقشة؛ فراجع!

الثالث:

روى الكشي في رجاله: «عن جعفر بن معروف، قال: حدّثنا يعقوب ابن يزيد الأنباري، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: أتى رجل أبي عليه السلام فقال: إنّ فلاناً - يعني عبد الله بن العباس - يزعم أنّه يعلم كلّ آية نزلت في القرآن في أي يوم نزلت، وفيم نزلت.

قال: فسله فيمن نزلت: «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا»^(٢)؟ وفيم نزلت: «وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ»^(٣) وفيم نزلت: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا»^(٤)؟

فأتاه الرجل، وقال: وددت الذي أمرك بهذا واجهني به فأسأله، ولكن

(١) رجال الكشي: ٧٣، تح المصطفوي.

(٢) سورة الإسراء/٧٢.

(٣) سورة هود/٣٤.

(٤) سورة آل عمران/٢٠٠.

سله: ما العرش؟ ومتى خلق؟ وكيف هو؟

فانصرف الرجل إلى أبي، فقال له ما قال.

فقال: وهل أجابك في الآيات؟

قال: لا.

قال: ولكني أجيبك فيها بنور وعلم غير المدعي والمنتحل: أمّا الأوليان فنزلتا في أبيه، وأمّا الأخيرة فنزلت في أبي وفينا، وذكر الرباط الذي أمرنا به بعد وسيكون ذلك من نسلنا المرابط ومن نسله المرابط... لقد طمع الخائن في غير مطمع، أما إن في صلبه وديعة قد ذرئت لنار جهنم، سيخرجون أقواماً من دين الله أفواجاً كما دخلوا فيه، وستصبغ الأرض بدماء الفراخ من فراخ آل محمد، تنهض تلك الفراخ في غير وقت وتطلب غير ما تدرك، ويرابط الذين آمنوا ويصبرون لما يرون، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين»^(١).

ورواه الكشي في صفحة (٥٥)، فقال: «حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن قتيبة، قال: حدثنا الفضل بن شاذان، عن محمد بن أبي عمير، عن أحمد بن محمد بن زياد، قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين (عليه السلام)»^(٢)، وذكر نحوه.

وهذا الخبر لا يصح سنداً، لجهالة جعفر بن معروف في السند الأول،

(١) رجال الكشي: ٥٣، تح المصطفوي رقم ١٠٣.

(٢) رجال الكشي: ٥٥ رقم ١٠٤.

وجهالة أحمد بن محمد بن زياد في السند الثاني، وقد مرّت الإشارة فيما تقدّم إلى هذا في بعض أجزاء الموسوعة.

والآن إلى بسط الكلام حول هذا الحديث، فأقول:

إنّ الحديث الواحد إذا ورد منطوقه بعدّة صور بينها تفاوت مغيّراً للمفهوم، يكون ذلك مبعثاً على الريبة في صحّة بعض صوره، وهذا ما كان فعلاً في خبر الكشي المبحوث عنه، فقد رُوي بصور بينها اختلاف في النص الذي يُشِين ابن عباس.

وإلى القارئ عرض ما وقفت عليه من بقية صور الخبر المذكور في الكشي:

ولتكن رواية الكشي ^(١) هي الأولى من الصور.

الصورة الثانية: رواها علي بن إبراهيم بن هاشم القمي رحمته الله في التفسير المنسوب إليه، فقال: «حدثني أبي، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: جاء رجل إلى أبي عليّ بن الحسين عليه السلام، فقال: إنّ ابن عباس يزعم أنّه يعلم كلّ آية نزلت في القرآن، في أيّ يوم نزلت، وفيمن نزلت.

فقال أبي عليه السلام: سلّه في من نزلت: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ^(٢)، وفيمن نزلت: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ

(١) مرّت بتسلسل الثالث.

(٢) سورة الإسراء/٧٢.

أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ^(١)، وفيمن نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(٢)؟

فأتاه الرجل فسأله.

فقال: وددت الذي أمرك بهذا واجهني به فأسأله عن العرش مِمَّ خُلِقَ؟ ومتى خُلِقَ؟ وكم هو؟ وكيف هو؟

فانصرف الرجل إلى أبي التَّكَلُّفِ.

فقال أبي: وهل أجابك بالآيات؟

قال: لا.

قال أبي: لكن أجيبك فيها بعلم ونور غير المدعي ولا المنتحل: أمّا قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، ففيه نزلت وفي أبيه، وأمّا قوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾، ففي أبيه نزلت، وأمّا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾، ففي أبيه نزلت وفينا، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به، وسيكون ذلك، من نسلنا المرابطة، ومن نسله المرابطة.

وأما ما سأل عنه - إلى آخر ما مرّ -

إلى أن قال: وليس وراء هذا مقال، لقد طمع الحائر في غير مطمع، أما

(١) سورة هود/٣٤.

(٢) سورة آل عمران/٢٠٠.

إنّ في صلبه وديعة قد ذرئت لنار جهنّم...»^(١). وهذه الصورة رواها البحراني في تفسير البرهان^(٢) والعياشي في تفسيره^(٣).

الصورة الثالثة: رواها السيّد هاشم البحراني رحمته الله في (تفسيره البرهان)، فقال: ((عن المفيد، قال: أخبرنا علي بن أحمد، قال: أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن علي بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السلام، عن محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام: إنّ ابن عباس بعث إليه من يسأل عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾؟ فغضب علي بن الحسين عليه السلام، ثمّ قال للسائل: وددت الذي أمرك بهذا واجهني به، ثمّ قال: نزلت في أبي وفينا ولم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد، وسيكون ذلك ذرية من نسلنا المرابط.

ثمّ قال: أما إنّ في صلبه - يعني ابن عباس - وديعة ذرئت لنار جهنّم، سيخرجون أقواماً من دين الله أفواجاً، ستصيب الأرض بدماء فراخ من فراخ آل محمد عليهم السلام، تنهض تلك الفراخ في غير وقت، وتطلب غير مدرك وترابط الذين آمنوا، ويصبرون ويصابرون، حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين))^(٤). وهذه الصورة رواها المفيد في (الاختصاص).

(١) تفسير القمّي: ٣٨٥، ط الحجرية الأولى، ج ٢/٢٣، ط النجف.

(٢) تفسير البرهان ٤٣٦/٢.

(٣) تفسير العياشي ٣٠٥/٢.

(٤) تفسير البرهان ٢٠٦/٢، ط حجرية ج ١، ٣٣٤، ط افتاب تهران.

الصورة الرابعة: رواها أيضاً السيّد هاشم البحراني رحمته الله في (تفسيره البرهان) بعد الصورة المتقدمة، فقال: ((عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية - الآية المذكورة في الصورة المتقدمة -

قال: نزلت فينا، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد، وسيكون ذلك في نسلنا المرابط، ومن نسل ابن نائل المرابط))^(١). وهذه الصورة رواها العياشي في تفسيره^(٢).

والمراد بابن نائل: العباس، فإنّ أمّه نثيلة كانت أمة لأمّ الزبير، وأبي طالب، وعبد الله، فأخذها عبد المطلب فأولدها العباس في قصّة لا تخلو من نسج خيال لإيقاع النكال ببني العباس.

الصورة الخامسة: رواها السيّد هاشم البحراني في (تفسيره البرهان)، فقال: ((عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السلام، عن أبيه، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾، قال: نزلت في العباس))^(٣). وهذه في (تفسير العياشي)^(٤)، و(تفسير الصافي)^(٥).

الصورة السادسة: ((عن علي بن إبراهيم، بإسناده عن أبي الطفيل، عن

(١) تفسير البرهان ٣٠٥/٢.

(٢) تفسير العياشي ٢١٣/١.

(٣) البرهان ٤٧٧/١، ج ٢/٢١٦، ط افتاب تهران.

(٤) تفسير العياشي ١٤٤/٢.

(٥) تفسير الصافي ٧٨٦/١.

علي بن الحسين: أنها نزلت ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ في العباس^(١).

الصورة السابعة: رواها السيد هاشم البحراني في (تفسيره البرهان)، فقال: ((علي بن إبراهيم، قال: حدثني أبي...))^(٢)، ثم ساق الخبر المتقدم في الصورة الثانية بحذافيره. وهذا ما رواه الفيض الكاشاني في (تفسيره الصافي)^(٣). وهناك مصادر متأخرة ذكرت الخبر نقلاً عن (تفسير علي بن إبراهيم)، و(تفسير العياشي)، و(اختصاص) المفيد، ك(البحار، وكشكول البحراني)، فلا حاجة للتطويل بذكر ما فيها.

وحسبنا الإشارة في المقام إلى الاختلاف فيما مرّ، ففيه كفاية لمن استهدى إلى ما في خبر الكشي من نزول الآيتين الأولى والثانية نزلتا في أبيه، والثالثة في أبي وفيه، كما في الصورة الأولى. بينما ورد في (تفسير علي بن إبراهيم) نزول الآية الأولى فيه وفي أبيه، والثانية في أبيه، والثالثة في أبيه وفيه، كما في الصورة الثانية. وفي هذه الصورة برواية العياشي، فالأوليان نزلتا في أبيه، والثالثة في أبيه وفيه.

وفي هذه الصورة نفسها برواية البحراني في (البرهان)^(٤)، فالآية الأولى

(١) تفسير البرهان ٢/٢١٦.

(٢) تفسير البرهان ٢/٤٣٦، ط افتاب تهران.

(٣) تفسير الصافي ١/٣٢٣ نشر كتابفروشي إسلامية سنة ١٣٧٤.

(٤) تفسير البرهان ٢/٤٣٢.

ففيه وفي أبيه، والثانية في أبيه، والثالثة ففي ابنه نزلت وفيها.

إلى غير هذا من تفاوت، فيحتمل أن يكون من النسخ، كما يحتمل وقوعه من الرواة، ومع غض النظر عن هذا الجانب، هل لنا غض النظر عمّن رواه أبو الطفيل، فتارة روى الخبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وأخرى عن الإمام السجاد عليه السلام! مع أنّ الواقعة - على تقدير صحتها - واحدة ولم تتعدّد، راجع الصورتين الخامسة والسادسة.

مضافاً إلى هذا عدم دلالة نظم الآيات في السياق على ذلك.

الرابع:

روى الكشي في رجاله: «عن محمد بن مسعود، قال: حدّثني جعفر بن أحمد بن أيوب، قال: حدّثني حمدان بن سليمان أبو الخير، قال: حدّثني أبو محمد عبد الله بن محمد اليماني، قال: حدّثني محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب الكوفي، عن أبيه الحسين عن طاووس، قال: كنّا على مائدة ابن عباس، ومحمد بن الحنفية حاضر، فوقعت جرادة فأخذها محمد، ثمّ قال: هل تعرفون ما هذه النقط السود في جناحها؟

قالوا: الله أعلم.

فقال: أخبرني أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنّه كان مع النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: هل تعرف يا عليّ هذه النقط السود في جناح هذه الجرادة؟

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

فقال: مكتوب في جناحها: (أنا الله ربّ العالمين، خلقت الجرادة جنداً

من جندي، أصيب به من أشياء من عبادي).

فقال ابن عباس: فما بال هؤلاء القوم يفتخرون علينا، يقولون: أنهم أعلم منا.

فقال محمد: ما ولدهم إلا من ولدني.

قال: فسمع ذلك الحسن بن علي عليه السلام، فبعث إليهما وهما بالمسجد الحرام، فقال لهما: أما أنه قد بلغني ما قلتما إذ وجدتما جرادة، فأما أنت يا بن عباس ففيمن نزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾^(١)، في أبي أو في أبيك؟ وتلا عليه آيات من كتاب الله كثيراً.

ثم قال: أما والله، لولا ما نعلم لأعلمتك عاقبة أمرك ما هو، وستعلمه ثم إنك بقولك هذا مستنقص في بدنك، ويكون الجرmoz من ولدك، ولو أذن لي في القول لقلت ما لو سمع عامة هذا الخلق لجحدوه وأنكروه^(٢).

وفي هذا الخبر فجوات تجعل علامات الاستفهام تلتهمه وتلفظه! بدءاً من أبي محمد عبد الله بن محمد اليماني المجهول، على أنه من الرواة في (كامل الزيارات)، و(الروضة)، و(التهذيب)، و(الكافي)^(٣).

ومروراً بالحسين بن أبي الخطّاب المجهول حاله، وانتهاءً بطاووس الذي هو كسابقه وإن لم تجهل معرفته فهو طاووس بن كيسان اليماني،

(١) سورة الحج/١٣.

(٢) رجال الكشي: ٥٥ (مصطفوي).

(٣) المفيد من معجم رجال الحديث: ٣٤٩.

ولعله لهذا قال السيّد الأستاذ رحمته: الرواية ضعيفة بعدة من رواتها^(١).

ويبدو لي أنّ الخبر كما رواه الكشي هو من الموضوعات العراقية على ابن عباس، بدلالة ما مرّت الإشارة إليه فيما قاله أهل العراق عن طاووس، عن ابن عباس في مسألة التعصيب^(٢)، فجاء السائل وسأل ابن عباس عن صحّته، فنفاه وأنكر أن يكون قد قاله هو أو رواه عنه طاووس.

وخبر الكشي هو مروى عن عراقي هو الحسين بن أبي الخطاب الكوفي، عن طاووس، وهو الراوي عن ابن عباس.

ومهما كان حال طاووس، فقد قال أبو جعفر النخّاس في (الناسخ والمنسوخ): «وطاووس وإن كان رجلاً صالحاً، فعنده عن ابن عباس منّاكير يخالف عليها ولا يقبلها أهل العلم»^(٣).

أقول: ولا يبعد أن يكون خبر الكشي من تلك المناكير، فإنّ حديث الجرادة غيره وليس فيه ما يشين ابن عباس.

وقد روى هذا الخبر عكرمة مولى ابن عباس، كما رواه الختلي^(٤) في

(١) معجم رجال الحديث ١١/١٩٣.

(٢) راجع ج ٨/٣٦٧ - ٣٦٨ من الموسوعة في عنوان (ابن عباس فقيها).

(٣) الناسخ والمنسوخ: ٦٩.

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم بن حنين أبو القاسم الختلي المتوفى سنة ٢٨٣هـ، وهذا رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/٢٣٣ برقم ١٠١٣١، ط دار الكتب العلمية بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ، قال: كنّا على مائدة أنا وأخي محمد بن الحنفية وبنو عمّي عبد الله بن العباس وقتّم والفضل على مائدة نأكل، فوقع جرادة على المائدة، فأخذها عبد الله عليه السلام

كتاب (الديباج) قال - الختلي -: «وكتبت أيضاً من كتاب إبراهيم بن سعيد، قال: حدّثني شيخ من أهل دمشق رأيته بها وكان ثقة في سنة تسعين ومائة يكنى أبا العباس، عن إبراهيم بن أبي يحيى، عن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس: قال: كنت أنا وعطاء بن أبي رباح وطاووس على مائدة ابن عباس، ف وقعت جرادة على المائدة.

فقال محمد بن عليّ بن أبي طالب: أخبرني أبي عليّ بن أبي طالب أنّ هذه النقط السود في جناح الجرادة كتاب بالسريانية (إنّي أنا الله، إله العالمين، قاصم الجبارين، خلقت الجراد وجعلته جنداً من جنودي، أهلك به من أشاء من عبادي)»^(١).

ولم تقتصر رواية الخبر على عكرمة وطاووس، فإنّ مقسم مولى ابن عباس أيضاً رواه، وليس فيه ما يشين ابن عباس، كما في رواية البرقي. رواه البرقي في كتاب (المحاسن) في كتاب المآكل في باب الجرادة بسنده: «عن محمد بن سهل بن اليسع والنوفلي، عن عيسى بن عبد الله

⇨

الله بن عباس، فقال للحسين: يا سيدي تعلم ما مكتوب على جناح الجرادة؟ قال: سألت أبي أمير المؤمنين؟ فقال: إنّي سألت جدك رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم، فقال لي: على جناح الجرادة مكتوب: إنّي أنا الله لا إله أنا ربّ الجرادة ورازقها إذا شئت بعثتها رزقاً لقوم، وإن شئت على قوم بلاء، قال فقام عبد الله بن عباس فضمّ الحسين بن عليّ إليه، ثمّ قال: واحدة من مكنون العلم، قال الشيخ رحمه الله - البيهقي - هذه زيادة ألحقت بالأصل في شعبان سنة سبع وخمسين وأربعمائة حين وصلت الجراد نيسابور.

(١) الديباج: ٤٧ - ٤٨ برقم ٧٦ بتحقيق إبراهيم صالح دار البشائر، ط الأولى سنة ١٩٩٤.

الهاشمي، عن عمر بن علي، عن أبي الحسن الأول، عن أبيه، عن جدّه، عن محمد بن علي بن الحنفية، قال: كنت أنا وعبد الله بن العباس بالطائف نأكل، إذ جاءت جرادة فوقعت على المائدة، فأخذها عبد الله بن العباس، ثم قال: يا محمد! ما سمعت والدك يحدث في هذا الكتاب الذي على جناح الجرادة؟

فقلت: قال عليه السلام: إِنَّ عَلَيْهِ مَكْتُوبًا: (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، خَلَقْتُ الْجَرَادَ جُنْدًا مِنْ جُنْدِي، وَأَسْلَطَهُ عَلَى مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي))^(١).

وفي (المحاسن)^(٢) أيضاً، ونقلاً عنه في (البحار)، قال: ((عنه، عن محمد بن علي، عن أحمد بن عمر بن مسلم، عن الحسن بن إسماعيل الميثمي، عن يحيى بن ميمون البصري، عن رجل، عن مقسم مولى ابن عباس، قال: لما سیر ابن الزبير عبد الله بن العباس إلى الطائف زاره محمد ابن علي بن الحنفية، قال: فبينما هو ذات يوم عنده، إذ جيء بالخوان للغداء، فجاءت جرادة ضخمة حتّى تقع على المائدة، فسمع ابن عباس صوت وقعها، فقال: ما هذا الصوت الذي أسمع؟

قالوا: جرادة سقطت على المائدة.

قال: فمن تناولها؟

قالوا: مقسم.

(١) المحاسن برقم ٥٠١.

(٢) المحاسن: ٤٧٩ برقم ٥٠٢.

قال: يا مقسم! انشر جناحها فانظر ماذا ترى تحتها؟

قال: أرى نقطاً سوداء.

فقال: صدقت.

قال: فضرب بيده على فخذ محمد بن عليّ - وكان إلى جنبه - فقال:

هل عندكم في هذا شيء؟

فقال: حدثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه ليس من جرادة إلا وتحت جناحها مكتوب بالسريانية: (إني أنا الله رب العالمين، قاصم الجبابرة، خلقت الجراد وجعلته جنداً من جنودي أهلك به من شئت من خلقي).

قال: فتبسم ابن عباس، ثم قال: يا بن عم! هذا والله من مكنون علمنا، فاحتفظ به^(١). فأين هذا ممّا رواه الكشي؟!

ويبدو تعدّد الروايات وتفاوتها سنداً ومتناً بتعدّد الواقعة، ولم يقف التعدّد والتفاوت على ما سبق، بل ثمة رواية أخرى فيها دلالة على تعظيم ابن عباس للحسن عليه السلام، وهي مروية من طريق أهل البيت عليهم السلام من الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، وهذه وردت في صحيفة الرضا عليه السلام الملحقه به (مسند زيد بن علي عليه السلام)^(٢)، وثمّ مصادر أخرى من غيرنا ورد الخبر فيها^(٣)؛

(١) بحار الأنوار ٢١٢/٦٢.

(٢) مسند زيد بن علي عليه السلام: ٥٠٣، ط دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦٦م.

(٣) راجع حياة الحيوان للدميري ٢١٢/١، ط بولاق بمصر سنة ١٣٩٢هـ، والدرّ المنثور للسيوطي ٤٧١/٣، ط دار إحياء التراث العربي، وكتاب المجلس الصالح للمعافي بن زكريا وفيه الخبر رحمهم الله

وهي أوضح ممّا مرّ جميعاً.

وقد رواها المحدث النوري الطبرسي في (مستدرك الوسائل) باب إن كان الجراد أخذه حياً... عن صحيفة الرضا عليه السلام بإسناده: ((عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام، قال: كنّا أنا وأخي الحسن عليه السلام، وأخي محمد بن الحنفية، وبنو عمّي: عبد الله بن عباس، وقثم، والفضل، على مائدة نأكل، ف وقعت جرادة على المائدة، فأخذها عبد الله بن عباس فقال للحسن عليه السلام: يا سيدي! ما المكتوب على جناح الجرادة؟

قال عليه السلام: سألت أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: سألت جدك، فقال: على جناح الجرادة مكتوب: (إنّي أنا الله لا إله إلا أنا ربّ الجرادة ورازقها، إذا شئت بعثتها لقوم رزقاً، وإذا شئت بعثتها على قوم بلاء).

فقام عبد الله بن عباس فقبل رأس الحسن بن علي عليه السلام، ثم قال: هذا والله من مكنون العلم^(١). وورد الخبر بهذا اللفظ في (الخرائج والجرائح)^(٢). فأين يكون خبر الكشي مع صراحة ما تقدّم في تبجيل ابن عباس للإمام الحسن عليه السلام!

⇨

عن مجاهد، وكنز العمال ١٨٢/١٤ بالأرقام التالية: ٣٨٣٠٦ و ٣٨٣٩٧ عن محمد بن علي وعن الحسين بن علي وفي جامع الأحاديث للسيوطي ٦١/٣٠ برقم ٣٢٨١٠ نقلاً عن الطبراني والأربعين لعبد الغافر الفارسي والبيهقي عن الحسين عليه السلام.

(١) مستدرك الوسائل ١٥٥/١٦ حديث ١٩٤٥٣ في آخر باب ٣٣، صحيفة الرضا: ٧٩ برقم ١٩٤.

(٢) الخرائج والجرائح ٢٤١/١، ط مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم.

المبحث الثالث

أكاذيب عكرمية، وأوهام مستشرقية

والكلام في فصلين

الأول: يتضمّن أكاذيب عكرمة البربري الكذاب على ابن عباس.

والفصل الثاني: يتضمّن أوهام المستشرقين في اتّهام ابن عباس في أخذه عن أهل الكتاب.

وقد مرّ بحثهما إجمالاً في الجزء السادس من الموسوعة، في الباب الأول شبهات كاذبة حول أخذ ابن عباس عن أهل الكتاب^(١)، وفي الباب الثاني ذكر عكرمة البربري، وما قيل عنه في كذبه على مولاه، حتّى صار مضرب المثل في تحذير الموالى من الكذب على مواليتهم^(٢)، وما كنت أظنّ أن تدعو الحاجة إلى إعادة البحث ثانياً، لولا كثرة الخطب والخلط فيهما.

والآن إلى الفصل الأول:

(١) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء السادس، الباب الأول / شبهات كاذبة.

(٢) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء السادس، الباب الثاني، الفصل الثاني / في تلاميذه والرواة عنه / حرف العين (١١١) عكرمة البربري.

الفصل الأول

أكاذيب عكرمية

لقد مرّ في ذكر تلاميذ ابن عبّاس خمسة أسماء عكارمة من الرواة عنه، كلّ منهم اسمه عكرمة، اثنان منهم من موالى ابن عبّاس، وثلاثة من أحرار العرب، وبين يدي البحث بيان معنى اسم عكرمة.

قال ابن خلّكان: ((وعكرمة: بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة، وهو في الأصل، اسم الحمامة الأنثى فسمي به الإنسان))^(١).

ولما كان الثلاثة المنسوبون إلى آبائهم ليسوا مورد اشتباه وتوهم في الأسانيد، لكن الاثنين الموليين هما مورد الاشتباه، فكلاهما من موالى ابن عبّاس، فحين نجد الخبر يرويه عكرمة مولى ابن عبّاس لا يمكن تمييز من هو من الموليين، ولمّا كان عكرمة البربري هو الذي حاز الشهرة، لما امتاز به من مميّزات كونه

أولاً: ناصبياً من الخوارج وداعية لهم.

وثانياً: شهرة كذبه على ابن عبّاس.

وثالثاً: كثرة ترحاله في الوفود على الأمراء يطلب جوائزهم، ولم يترك موضعاً إلاّ خرج إليه.

(١) ابن خلّكان، وفیات الأعيان ٢٦٦/٣، تح إحسان عبّاس.

وقد مرّ في الجزء السادس ذكر كثير من تاريخه، فلا حاجة إلى إعادة ما مرّ.

أمّا عكرمة الآخر، فهو أيضاً مولى ابن عباس، ومرّ ذكره في الجزء السادس^(١)، وقول ابن حبان في الثقات عنه: يروي عن ابن عباس، روى عنه العوام بن حوشب، وليس هذا بعكرمة الأول، هكذا يروي الحكايات، وما أعلم له راوياً إلاّ العوام بن حوشب، اهـ.

وهذا ذكره البخاري في (تاريخه الكبير)، وابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل).

فما جاء من أحاديث رواها عكرمة عن ابن عباس، ولم يتعين بهوية تميزه، ننظر في متونها فما كان في فضل أهل البيت عليهم السلام ومشعر بالتبجيل فهو عن عكرمة الآخر غير البربري الكذاب، وما كان فيه تدجيل أو تضليل وتنقيص فهو عن عكرمة البربري الكذاب، لأنّه كان ظاهر النصب، ويرى رأي الخوارج.

ولضرب المثل أذكر بعض الروايات:

فعكرمة البربري هذا هو الراوي نزول آية التطهير في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، وكان ينادي بهذا في السوق، ويقول: من شاء باهلتة، إنّها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٢)، فهذا أشبه بعكرمة الذي كان إباحياً ومن الصُفْرية

(١) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء السادس، الباب الثاني، الفصل الثاني / في تلاميذه والرواة عنه / حرف العين (١١٢) عكرمة البربري.

(٢) تفسير الطبري ٨/٢٢ ط ٢ البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٣هـ وتفسير ابن كثير في تفسير الآية في سورة الأحزاب.

وناصبياً، وهذا هو التفسير الذي اعتمده الإباضي أطفيش في تفسيره^(١)
ج ١٦٨/٨.

وكذلك في كذبه على ابن عباس في مسألة الصرف حيث أسلم ابنه
صيرفياً^(٢).

وخبره الآخر: ختن ابن عباس بنيه فأرسلني فدعوت اللعابين فلعبوا،
فأعطاهم أربعة دراهم^(٣).

فهذا أشبه بسلوكه لما قد رواه ياقوت في (معجم الأدباء): ((قال: يزيد
ابن هارون: قدم عكرمة مولى ابن عباس البصرة فأتاه أيوب السخيتاني،
وسليمان التميمي، ويونس بن عبيد، فبينا هو يحدثهم إذ سمع غناء، فقال
عكرمة: اسكتوا فنسمع.

ثم قال: قاتله الله فلقد أجاد، أو قال: ما أجود ما قال.

فأما سليمان ويونس فلم يعودا إليه، وعاد إليه أيوب^(٤).

فهو في رواياته الكاذبة على ابن عباس متحلل خلقياً من الحرام، حتى
لقد روى ياقوت أيضاً: ((عن حماد بن زائد، حدثنا عثمان بن مرة، قلت
للقاسم: إن عكرمة مولى ابن عباس قال: حدثنا ابن عباس: إن رسول الله ﷺ

(١) تفسير أطفيش ١٦٨/٨.

(٢) معجم الأدباء ١٨٩/١٢، ط دار المأمون.

(٣) شرح النهج ٢٢٥/٦.

(٤) معجم الأدباء ١٨٥/١٢.

عن المزقّت والمقيّر والدباء والحنتم والجرار.

فقال: يا بن أخي! عكرمة كذاب يحدث غدوة حديثاً يخالفه عشيّاً^(١).

بعض أخبار عكرمة، فمن الراوي لها؟

جاء في (مسند عمر بن الخطاب) ليعقوب بن شيبة، بإسناده: ((عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب (رض)، قال: قال رسول الله ﷺ: (إني ممسك بحجزكم عن النار وتعلموني، تقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب، فأوشك أن أرسل حجزكم وأفرط لكم عن أو على الحوض، فتزدون عليّ معاً وأشتاتاً، فأعرفكم بأسمائكم وسيماكم، كما يعرف الرجل الغريبة من الإبل في إبله ويذهب بكم ذات الشمال، وأناشد فيكم ربّ العالمين عزّ وجلّ، فأقول: يا ربّ! رهطي، أي ربّ منّي. ويقال: يا محمّد! إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم كانوا يمشون بعدك القهقري).

ولأعرفنّ أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي: يا محمّد يا محمّد! فأقول: لا أملك لك شيئاً قد بلغت.

ولأعرفنّ أحدكم يوم القيامة يحمل قشعاً من آدم، ينادي: يا محمّد يا محمّد! فأقول: لا أملك لك شيئاً قد بلغت^(٢).

(١) معجم الأدباء ١٢/١٨٩.

(٢) مسند عمر بن الخطاب: ٤٧ برقم ٢٣.

فمن يروي هذا؟ هل يقبل منه أيضاً روايته عن ابن عباس: قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصب رأسه بخرقه، فقعد على المنبر ثم حمد الله عز وجل وأثنى عليه، ثم قال: (إنه ليس من الناس أمنٌ عليّ بنفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدّوا عني كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر). وهذا أخرجه النسائي في (فضائل الصحابة) ^(١) بإسناده، عن عمرو بن علي، عن وهب بن جرير، عن أبيه، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس. وفي إسناده من فيه!

ثم هل أنّ عكرمة هذا هو الذي روى عن ابن عباس: قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسماء، حتّى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أمّا بعد، فإنّ الناس يكثرّون ويقلّ الأنصار، حتّى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام، فمن ولي منك شيئاً يضرّ فيه قوماً وينفع فيه آخرين، فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم)، فكان آخر مجلس جلس به النبي ﷺ. ^(٢)

فلا شكّ بأنّ عكرمة راوي حديث الخوخة هو غير عكرمة راوي حديث الحوض الآنف الذكر، وحديث الوصية بالأنصار التالي أخيراً، لما بين الأحاديث من تدافع، فيكون حديث الخوخة الموضوع من أكاذيب

(١) فضائل الصحابة: ٣ نشر دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٥.

(٢) صحيح البخاري ٢٠٤/٤ برقم ٣٦٣٨ تعليق مصطفى البغا.

عكرمة البربري، وأحاديث الحوض والوصية بالأنصار من حديث عكرمة مولى ابن عباس الآخر، فكل حديث أشبه بصاحبه، وهكذا كل ما نراه من أحاديث في فضل أهل البيت عليهم السلام فهي من رواية عكرمة هذا الآخر، لأن عكرمة البربري كان ناصبياً معلناً بنصبه، كما مرّت الإشارة إلى هذا في تفسيره آية التطهير بأزواج النبي صلى الله عليه وآله خاصّة، ينادي بهذا في السوق، ويتحدّى صلفاً - فيقول: من شاء باهله - فهل يعقل أن هذا الصلف النطف يروي عن ابن عباس: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)^(١)؟

أو يروي عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله في الأرض أربع خطوط، ثم قال: (هل تدرون ما هذا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)^(٢).

وهل يعقل أن يروي عكرمة الهالك في نصبه خبر ابن عباس: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لنسائه: (أيتكن صاحبة الجمل الأدب، يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت)؟ قال ابن عبد البر في (الاستيعاب): ((وهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وآله))، ثم قال للتوثيق: ((وعصام بن قدامة ثقة، وسائر الإسناد

(١) فضائل الصحابة للنسائي: ٧٤ برقم ٢٤٠.

(٢) فضائل الصحابة ٧٤ برقم ٢٥٩، ونحوه في ص ٧٦ برقم ٢٥٩.

أشهر من أن يحتاج إلى ذكر»^(١).

وأخيراً لا آخراً، فعكرمة الذي أخرج البخاري عنه في صحيحه كثيراً لم يبين لنا من هو المراد من العكرمين اللذين ذكرهما في تاريخه! بينما مسلم لم يخرج عن عكرمة أصلاً، كما في (المختصر في علم الأثر)^(٢) للكافيجي (ت ٨٧٩هـ).

قال ابن أبي الحديد في (شرح النهج)^(٣): «ومن المشهورين برأي الخوارج الذين تمّ بهم صدق قول أمير المؤمنين عليه السلام: (إنّهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء)، عكرمة مولى ابن عباس، ومالك بن أنس الأصبحي الفقيه، يروي عنه أنّه كان يذكر عليّاً، وعثمان، وطلحة، والزبير، فيقول: والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر»^(٤).

أمّا مرويات عكرمة عن ابن عباس في فضل أهل البيت عليهم السلام، فهي لا تشبه بحال عكرمة البربري، وهي بحالة الآخر أشبه.

نحو ما رواه ابن عبد البرّ في (الاستيعاب) في ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بسنده: «عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لعليّ عليه السلام أربع خصال ليست لأحد غيره: هو أوّل عربي وعجمي صلّى

(١) الاستيعاب: ٧٤٤.

(٢) المختصر في علم الأثر: ١٦ نشر الرياض سنة ١٤٠٧هـ.

(٣) شرح نهج البلاغة ٧/٥.

(٤) العفير: السويق الملتوت بلا آدم، والأعفر: الأبيض وليس بالشديد البياض (الصحاح: عفر).

مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان معه لواؤه، هو الذي صبر معه يوم فرّ عنه الناس، وهو الذي غسله وأدخله قبره)). فهذا الخبر لا يرويه عكرمة البربري مع ما عُرف من نُصبه.

ونحو ما رواه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة): ((عن عبّاد، عن الحسن بن دينار، عن بشر بن أبي زينب، عن عكرمة مولى ابن عبّاس، قال: إذا لقيت الهاشميين قالوا: عليّ بن أبي طالب أوّل من أسلم، وإذا لقيت الذين يعلمون قالوا: أبا بكر أوّل من أسلم))^(١). قال ابن أبي الحديد في (شرح النهج): ((فأمّا الرواية عن ابن عبّاس: إنّ أبا بكر أوّلهم إسلاماً، فقد روي عن ابن عبّاس خلاف ذلك بأكثر ممّا رويوا وأشهر، فمن ذلك ما رواه يحيى بن حمّاد عن أبي عوانة، وسعيد بن عيسى، عن أبي داود الطيالسي، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عبّاس أنّه قال: أوّل من صلّى من الرجال عليّ عليه السلام)).

وروى الحسن البصري، قال: حدّثنا عيسى بن راشد، عن أبي بصير، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: فرض الله تعالى الاستغفار لعليّ عليه السلام في القرآن على كلّ مسلم بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٢)، فكلّ من أسلم بعد عليّ عليه السلام فهو يستغفر لعليّ عليه السلام^(٣)، فهل

(١) شرح نهج البلاغة ٢٦٨/١٣.

(٢) سورة الحشر/١٠.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٢٤/١٣.

هذا يرويه عكرمة البربري الخارجي؟!

وروى ابن أبي الحديد في (شرح النهج)، نقلاً عن الواقدي، قال: «وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر»^(١)، وقال: «وحدثني ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان الملك يتصور في صورة من يعرفه المسلمون ليثبتهم، فيقول: إني قد دنوت من المشركين فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا لهم وليسوا بشيء فاحملوا عليهم، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾»^(٢)،^(٣).

فهل يروي عكرمة الناصبي هذا؟

أو خبر أبي رافع، قال: «كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد فشا فينا أهل البيت، فأسلم العبّاس، وأسلمت أم الفضل زوجته، وكان العبّاس يهاب قومه ويكره خلافهم، فكان يكتب إسلامه...»، إلى آخر الخبر، وقد مرّ في أول أجزاء الموسوعة في ترجمة العبّاس؛ فراجع!

وهل يروي عكرمة البربري خبر منع عثمان من توديع أبي ذرّ لما أخرجه إلى الربرة، وما جرى بين مروان وبين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه وقد خرجوا لتوديعه؟ وقد ذكر الخبر بطوله ابن أبي الحديد في (شرح النهج).

(١) شرح نهج البلاغة ١٤/١٦١، مغازي الواقدي: ٧٣.

(٢) سورة الأنفال/١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٤/١٦٢.

وهل أنّ رواية الإمام الباقر عليه السلام للخطبة الشقشقية عن عكرمة، عن ابن عباس، هل هو عكرمة الناصبي؟

وكيف يقبل العقل هذا! إنّما هو عكرمة الآخر من موالى ابن عباس.

وهكذا يبقى ميزان التمييز منصوباً لمعرفة مرويات العكرمتين من موالى ابن عباس، فما كان في مؤداه تدجيل وتبديل فعكرمة الخارجي أولى به، وما كان فيه تبجيل وتفضيل فعكرمة الثاني أولى به، وإنّ فيما رواه ياقوت الحموي في (معجم الأدباء) نقلاً عن القاضي أبي بكر محمد بن عمر الجعابي في كتابه (الموالي): «عن ابن الكلبي، قال: وعكرمة هلك بالمغرب، وقد دخل في رأي الحرورية الخوارج، فخرج يدعو بالمغرب إلى الحرورية»^(١)، فهذا قول صريح في موت عكرمة البربري الذي كان داعية الخوارج هلك بالمغرب.

وأما الثاني، فأراه الذي قيل عنه توفي يوم مات كثير عزة الشاعر، وصُلّيَ عليهما معاً، وقد ذكر الطبري في (ذيل المذيل): «عن خالد بن القاسم البياضي، قال: مات عكرمة وكثير عزة الشاعر في يوم واحد سنة خمس ومائة، فرأيتهما جميعاً، صُلّيَ عليهما في موضع واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس.

وقال غير خالد بن القاسم: وعجب الناس لاجتماعهما في الموت واختلاف رأيهما، عكرمة يظنّ به أنّه يرى رأي الخوارج، يكفرّ بالنظرة،

(١) معجم الأدباء ١٢/١٨٤.

وكثير شيعي يؤمن بالرجعة»^(١).

أقول: وهذا نحو من الخلط بين العكرمتين!

ومهما يكن فقد كثر الخلط في المروي عن عكرمة عن ابن عباس، ولا سبيل إلى معرفة الصحيح من غيره إلا بالنظر في المتن، فما كان موافقاً لآراء الخوارج فهو عن عكرمة البربري الذي قيل عنه: «إنه كان يرى رأي الصفرية من الخوارج»، فذكر أنه نحل ذلك الرأي إلى ابن عباس، وكان ذلك من كذبه على ابن عباس^(٢).

ولقد مرّ ما في (العقود الفضيّة) من كذبه على ابن عباس في اعتزاله عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعدم مشاركته في حرب النهروان؛ ولئن بُعد العهد بذلك، فالى القارئ الإعادة، مع التّكذيب ففيها إفادة:

أكاذيب عكرمية مفتراة على ابن عباس نقلاً عن كتاب (العقود الفضيّة) لسالم بن حمد الإباضي

قال في صفحة (١٥٠): «وأرسل عليّ ابن عباس ليناظرهم. نقلاً من شرح اللامية للقطب، وأصله في كتاب السير العُمانية من سيرة شبيب بن عطية من علماء القرن الثاني للهجرة، هكذا: طلب ابن عباس إليهم الرجوع، وقالوا له: إنّ صاحبك ترك اسم أمير المؤمنين وطلب الحكومة، وخلع

(١) ذيل المذيل: ٦٣٤.

(٢) ذيل المذيل للطبري ٦٣٣/١١.

سربالاً ألبسه الله إياه.

فقال ابن عباس رضي الله عنه: أما علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما عاهد أهل مكة ومشركي العرب ومشركي قريش عام الحديبية حين صدّه المشركون عن المسجد الحرام إلى مضيّ المدّة التي سمّاها لهم من ترك فيها القتال والدماء.

وأما ما ذكرتم من خلعه نفسه من اسم أمير المؤمنين، فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين كتب الكتاب لقريش وأملاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا ما قاضى به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً، فقال المشركون: لو علمنا أنّك رسول الله ما خالفناك، فكتب من محمد بن عبد الله.

وأما ما ذكرتم من الحكومة وأنّها لا تجوز، فقال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾^(١)، وقال عزّ من قائل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾^(٢).

فقالوا: قد سمعنا قولك والذي أرسلت به واحتجاجك، فنذكرك الله لما سمعت قولنا وفهمت حجّتنا، ثمّ كنت عدلاً بيننا وبين من أرسلك.

(١) سورة المائدة/٩٥.

(٢) سورة النساء/٣٥.

قال: اللهم نعم.

قالوا: أخبرنا عمّن قتل الصيد وهو محرم هل يسعه أن يحكم من يرى استحلال الصيد المحرم، ويستحلّ قتل صيد الحرم؟
قال: لا.

قالوا: وكيف يسع علياً أن يحكم في دين الله من يدين باستحلال ما حرّم الله من دماء المسلمين، ويحرّم ما أحلّ الله من قتال الفئة الباغية، ومن يدين بولاية من عادى الله ورسوله وبعداوة أولياء الله، ويدين بخلاف ما عليه المسلمون من الحقّ الذي هم عليه، وفارقوهم على خلافه، فوالله لو كانت الحكومة حقّاً لكان عليّ ترك الحقّ بتحكيمة في دين الله من يدين بخلاف دين الله فيما استحلّ من قتل المؤمنين وسفك دمائهم وما حرّم الله من قتال الفئة الباغية مع ما يدين به من ولاية من عادى الله ورسوله وعداوة أولياء الله، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١).

ثم قالوا: نذكرك الله يا بن عباس هل تعلم أنّ أبا موسى كان شاكاً في قتال الفئة الباغية يحرم ما أحلّ الله من قتال الفئة الباغية، ويخذل الناس عن القتال؟

قال: اللهم نعم.

(١) سورة النساء/١١٥.

قالوا: إِنَّ عَلِيًّا حَكَمَ فِيمَنْ قَتَلَ الصَّيْدَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ مِنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يَحْرَمُ قَتْلَ الصَّيْدِ فِي الْحَرَمِ، وَلَا يَحْرَمُ قَتْلَ الصَّيْدِ فِي الْحَلِّ عَلَى الْمُحَرَّمِ، أَكَانَ بِتَحْكِيمِهِ مَنْ كَانَ هَذَا أَمْرُهُ وَصِفَتُهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ضَلَالًا إِذْ حَكَمَ شَاكًا - مرتاباً فيما حكم الله به من تحريم قتل الصيد في الحرم إذ كان محرماً لضلِّ بتحكيمة مَنْ هَذَا أَمْرُهُ وَصِفَتُهُ، وَلَوْ كَانَتْ الْحُكُومَةُ عَدْلًا لَكَانَ بِحُكُومَةِ مَنْ يَسْتَحِلُّ قَتْلَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُعَادِيهِمْ وَيَكْفُرُ بِدِينِهِمْ ضَالًّا، وَقَدْ أَضَلَّ بِحُكُومَتِهِ مَنْ يَحْرُمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ قِتَالٍ مِنْ بَغْيٍ عَلَيْهِمْ، وَاتَّبَعَ سَبِيلًا غَيْرَ سَبِيلِهِمْ، وَأَبَى أَنْ يَقَرَّ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ فِيمَا خَالَفُوا فِيهِ، فَذَكَرَكَ اللَّهُ يَا بَنَ عَبَّاسَ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ اسْتَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ قِتَالٍ مِنْ بَغْيٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَتَوَلَّى مِنْ عَادَى اللَّهِ، وَعَادَى الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ أَهْلَ الْبَغْيِ؟

فقال: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَدْ خَصَمْتُمْ عَلِيًّا بِهَذَا وَقَوْلَكُمْ الْحَقَّ (؟).

ثُمَّ قَالُوا: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ - إِلَى قَوْلِهِ ﷻ - يُوفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا^(١)، فَأَخْبَرْنَا عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْهُ يَهُودِيَّةٌ أَوْ نَصْرَانِيَّةٌ وَكَانَ بَيْنَهُمَا اخْتِلَافٌ وَمَنَازَعَةٌ هَلْ يَنْبَغِي لَهُ وَلَمْ يَحْضَرْهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَدْعُو الْيَهُودَ أَوْ النَّصَارَى يَحْكُمُونَهُمْ بِمَا هُمْ بِهِ كَافِرُونَ مِنْ أَحْكَامِ الْمُؤْمِنِينَ؟

(١) سورة النساء/٣٥.

قال: لا.

قالوا: كيف حَكَمَ عليّ عمرو بن العاص وهو يكفر بما حَكَمَ فيه ويستحلّ ما حرّم الله من دماء المسلمين ويدين بغير دينهم، ويوالي من عادوا ويعادي من والوا، فنذكرك الله هل يسع عليّ هذا؟

قال: لا يجوز هذا لمن فعله ولا يسعه.

وقالوا: أمّا ما ذكرت من أمر الموادة والقضية التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، فإنّها كانت منازل ونقل عنها منزلة منزلة، وكلّ منزلة نقل الله عنها نبيّه أو أمره بغيرها حرّم عليه الإقامة عليها وحرّم على المسلمين أيضاً أن يقيموا على ما نقل عنه، من ذلك القبلة التي كانت بيت المقدس نقل الله نبيّه والمؤمنين عنها باستقبال البيت الحرام، ومثل الخمر كانت حلالاً، ثمّ نهى الله عنها أولاً تأديباً، ثمّ حرّمها بعد ذلك من نعمه وطوله ومنّته على نبيّه ﷺ وعلى المؤمنين، وكذا مفاداة النبي ﷺ لأهل بدر، ولا أمر ولا نهى ولا وعيد، وقال تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، وقد كان سبق من الله العفو عنهم والمغفرة لهم فيما فعلوا، وقيل: سبق من الله جلّ جلاله أن لا يعذب أحداً إلاّ بعد بيان، أو سبق من الله ﷻ أن يحلّ لهذه الأئمة ما غنموا من عدوهم إذا حاربوا، وأنزل الله ﷻ على نبيّه بعد ذلك تحريم معاهدة المشركين، فقال: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ - إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: - إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ - وَإِلَى قَوْلِهِ: - لا

(١) سورة الأنفال/٦٨.

يَعْلَمُونَ»^(١) (؟) فجاءت براءة بنقض كل عهد وتحريم أمان المشركين وقتلهم حيث ما وجدوا وحصرهم والقعود لهم بكل مرصد وتحريم الجنوح إليهم، ولا يقبل منهم إلا الدخول في الإسلام والإقرار به ولأهل الكتاب الجزية، فما لهم إلا الإسلام أو الجزية ولم يحل الله أمان أحد منهم إلا من استجار ليسمع كلام الله فإن لم يؤمن أبلغه مأمنه. وقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا - إِلَى قَوْلِهِ - بَعْدَ غَايِهِمْ هَذَا﴾^(٢)، فلا إقامة لأحد على ما نقل الله نبيه عنه. فما حجة صاحبك علينا فيما نقل الله نبيه والمؤمنين عنه، وحرّم ذلك عنه، وإن جوّز ذلك فليرجع إلى استقبال بيت المقدس وإلى كل ما نسخ.

ثم قالوا: نذكرك الله يا بن عباس! هل تعلم أنّ الذي احتجّ به صاحبك علينا منتقض غير جائز في الدين؟
قال: اللهم نعم.

قالوا: يا بن عباس! ألسنت تعلم أنّ الله ﷻ قال في كتابه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي...﴾ الآية^(٣)، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ...﴾ الآية^(٤).
قال: اللهم نعم.

(١) سورة براءة/١.

(٢) سورة براءة/٢٨.

(٣) سورة النور/٢.

(٤) سورة المائدة/٣٨.

قالوا: فهل تعلم أنّ قتال الفئة الباغية حدّ من حدود الله كالجلد والقطع؟

قال: نعم.

قالوا: فأخبرنا عمّن زنا، أو سرق، فأراد إمام المسلمين أن يقيم عليه الحدّ، فامتنع وقامت معه طائفة تمنعه عن إقامة الحدّ، أليس يحلّ قتالهم؟

قال: بلى.

قالوا: فإنّ المسلمين قاتلوهم حتّى قتلوا منهم قتلى ثمّ ابتغوا الحكومة، أيسع المسلمين قبولها وتحريم القتال وتعطيله؟

قال: اللّهمّ لا.

قالوا: فكيف يسوغ لنا أن نحكّم في دين الله من يدين بتعطيل الحدود وتحريم ما أحلّ الله من قتال الفئة الباغية مع أنّه حدّ من حدود الله، وكلّ ما حكم الله فيه فلا تخيير فيه لعباده، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ - إلى قوله ﷻ - ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا...﴾ الخ^(٢)، وقال: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ - لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وما جعل الله ﷻ الحكم فيه للرجال فليحكم فيه ذوا عدل

(١) سورة المائدة/٤٩.

(٢) سورة الأنعام/١١٤.

(٣) سورة الأنعام/٥٧.

ولا حكم في غير ذلك للرجال، قال الله جلّ وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ - إلى قوله - ﴿ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(١)، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ - إلى قوله ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢)، فكيف يحكم في دين الله من لم يحكمه الله ورسوله، ووجد في نفسه حرجاً مما قضى الله ورسوله وأبى أن يسلم تسليمًا، واستحلّ قتل من حكم الله ورسوله وسلم لحكمه تسليمًا، فإن معاوية وعمرو بن العاص أبيا أن يسلموا لحكم الله ورسوله؟

قال: اللهم نعم.

ثم قالوا: يا بن عباس! إن كان معاوية وعمرو بن العاص سلّموا لحكم الله وما أنزل من القرآن ورجعا عما كانا عليه وفاءً إلى أمر الله ورجعا إلى دين المسلمين، فالحقّ علينا أن نقبل عنهما ونتولاهما، لأنّ الله أمر بقتال الفئة الباغية حتّى تفيء إلى أمر الله، فإذا فاءوا إلى أمر الله قبل ذلك منهم، ولم يسع أحداً يردّ ذلك عليهما، وأمّا أن نحكم الرجال فيما قد فرغ الله من الحكم فيه، فإن كان حكموا بنقض ما جاءنا من الله فننتقل عما نحن عليه من البينات إلى الضلال والعمى، والترك لحكم الله، والإيمان الذي نحن عليه حتّى يستحلّ ما حرم الله ويحرم ما أحلّ الله، ونوالي من كنّا نعاديهِ

(١) سورة الأحزاب/٣٦.

(٢) سورة النساء/٦٥.

بدين وفريضة، ونعادي من كُنّا نواليه بدين الله وبحكم كتاب الله وما افترض علينا من ولاية من أقر بديننا، فمعاذ الله أن نفعل ذلك إن شاء الله حتى تذهب أنفسنا أو نظهر على عدوّنا.

فقال ابن عباس: اللهمّ هذا هو الحقّ.

وقالوا: ألسنت تعلم أنّ فيما اشترط عليّ ومعاوية كلّ واحد منهما على صاحبه، أنّه أيّما رجل أحدث حدثاً من أصحاب عليّ ودخل في دين معاوية وحكمه فليس لعلّي إقامة الحدّ عليه لدخوله في دين معاوية وحكمه، وأيّما رجل أحدث حدثاً من أصحاب معاوية ودخل في دين عليّ وحكمه فليس لمعاوية إقامة الحدّ عليه لدخوله في دين عليّ وحكمه، فكيف يدخل في دين قوم قد أقرّوا على أنفسهم بأنّه من أحدث حدثاً منهم ففرّ من حكم الله عليه وكره إقامة الحدّ بأن يقول دخل في دين معاوية زال ذلك الحكم والحدّ عنه؟! وكيف يدخل في دين عليّ وأمره كذلك، وزاد بأن خلع نفسه من إمرة المؤمنين ولم يرجع ولم يستغفر ممّا قد أتى ممّا وصفناه وذكرناه من أمره فيما سوى ذلك قد استحقّ من أمر الله البراءة والخلع حتّى يتوب ويستغفر ربّه ويرجع من ذنبه. ألسنت تقول: إنّ عليّاً قاتل طلحة والزبير بكتاب الله وبما افترض الله عليه من قتال الفئة الباغية، وعلى ذلك الأمر قاتل معاوية؟

قال: اللهمّ نعم.

قالوا: وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاتل عمّار بن ياسر

ومن معه بصفين، حتى قتل عمّار بن ياسر ومن معه من أصحاب النبي ﷺ والتابعين بإحسان، وبأمر الله وإذنه قاتلوا الفئة الباغية؟

قال: اللهم نعم.

قالوا: أخبرنا عن عليّ حين حَكَمَ الحكمين، أليس قد حرّم القتال الذي أحلّ الله من معاوية وجنده حتى يحكم الحكمان ويأذنا به؟

قال: اللهم نعم.

قالوا: فأخبرنا عن عليّ، أحرّم دماءهم بتوبة من معاوية وجنده، ودخول منهم في الإسلام؟ أم حرّم دماءهم بغير توبة منهم ولا دخول في الإسلام؟

قال: بل حرّم دماءهم بالعهد الذي أعطاهم حتى يحكم (الحكمين) (كذا) بغير توبة ولا دخول في الإسلام.

قالوا: أليس قد حرّم عليّ منهم ما أحلّ الله من قتالهم من غير انتقال منهم عن الذي أحلّ دماءهم، واستحلّ قتال من قتل بلا حدث، فمن أقام الآن بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبما قام به عمّار ومن معه من المسلمين فقاتل من قاتله عمّار واستحلّ من استحلّ عمّار فهو من الكافرين عند صاحبك؟ وكيف يكون عمّار من المهتدين المؤمنين ويضلّ من عمل عمله واقتدى بهداه بعده، فإن كان (كذا) قاتلهم عمّار هدى، فقد اهتدى من اهتدى بهداه، وإن كان ضلالاً فقد ضلّ عليّ وأتباعه بولاية عمّار ومن معه من المسلمين، لقتالهم معاوية؟ وكيف يكون القتال لمعاوية ضلالاً ومعاوية على الدين

الذي استحلّ منه عمّار قتاله وقاتل من معه ثمّ لم يتوبوا ولم يرجعوا عمّا هم عليه من دين المسلمين وقولهم؟ وكيف لم يكن القتال لطلحة والزبير على البغي ضلالاً وقد كانا أفضل من معاوية، ويكون القتال لمعاوية ومن معه ضلالاً فهم على الدين الذي كان عليه طلحة والزبير، هذا ما نعرف من خطأ عليّ ورجعته عمّا كان عليه من الحقّ ورغبته عمّا مضى عليه خيار المسلمين؟ وكيف يحلّ الله قتال قوم ويأمر به ثمّ يهتدي من حرّمه وهم على ذلك الدين ويضلّ من استحلّه، وكيف يحلّ الله قتال قوم ويأمر به ويأذن فيه ثمّ يكفر من استحلّه، حتّى يأذن فيه من يستحلّ تحريمه من الحكمين؟ وذلك أنّ عليّاً حرّم القتال الذي أحلّه الله من معاوية وجنده، حتّى يأذن فيه عمرو بن العاص وأبو موسى، وزعم عليّ أنّه من قام بكتاب الله جلّ وعلا وسنة نبيّه ﷺ، ويستحلّ ما أحلّ الله من قتال الفئة الباغية حتّى تفيء إلى أمر الله فهو من الكافرين، حتّى يأذن فيه من يدين بتحريم ما أحلّ الله من قتال الفئة الباغية حتّى تفيء إلى أمر الله بغير كتاب من الله حدث يحرم ما أحلّ الله من قتالهم، وحتّى يأذن فيه من يدين بتحريمه ويستحلّ ما حرّم الله من دماء المسلمين، ويحرّم ما أحلّ الله من قتال الفئة الباغية ويعادي أولياء الله ويوالي أعداء الله. فنذكرك الله يا بن عبّاس! هل يسع هذا من فعله ويهتدي به؟!

قال: اللّهم لا.

(وانصرف عنهم وهو مقرّ لهم ومعترف لهم أنّهم قد خصموه، ونقضوا

عليه ممّا جاء به ممّا احتج به عليهم)(؟)

(فرجع ابن عباس إلى عليّ، فلمّا رآه قام إليه وناجاه وكره أن يسمع أصحابه قولهم وحجّتهم التي احتجّوا بها)(١)؟

فقال له عليّ: ألا تعينني على قتالهم؟

فقال ابن عباس: لا والله، لا أقاتل قوماً قد خصموني في الدنيا وإنّهم يوم القيامة لي أخصم، وعليّ أقوى، وإن لم أكن معهم لم أكن عليهم.

واعتزل عنه ابن عباس ﷺ ثمّ فارقه، وكتب إليه عليّ (يؤنبه)(٢) بـمال أخذه من البصرة من بيت المال.

فقال له: قد عرفت وجه أخذي المال أنّه كان بقية دون حقّي من بعد ما أعطيت كلّ ذي حقّ حقّه، قد علمت أخذي المال من قبل قولي في أهل النهروان، ولو كان أخذي المال باطلاً كان أهون من أن أشرك في دم مؤمن فاكفف عن القوم فأبى، والله أعلا وأعلم، انتهى»(١).

وللشاعر العماني أبي مسلم الرواحي:

وفي عبد شمس نجدة وظهور	بني هاشم عمداً ثلثتم عروشكم
وللجور في نفس المحقّ نكير	على غير ذنب غير إنكار قسطهم
وقالوا عليّ لا سواه أمير	قتلتم جنوداً أحكموا الله لا سوى
تمور وأطباق السماء تمور	فيالدماء في حروراء غودرت

(١) العقود الفضية في أصول الإباضية: ٥٠ - ٥٩.

وأنفس صديقين أزهدّها الردى
 مخردلة الأشلاء للطير في الفلا
 على جنبات النهروان عقاير
 أبيد خيار المسلمين بضحوّة
 يعجبون بالتحكيم لله وحده
 فيا أمة المختار هل فيك غيرة
 ويا ظهرة الإيمان هل فيك منعة
 ويا لرجال الله أين محمّد
 ولو وقعة كانت بعين محمّد
 فمن لصدور الخيل فوق صدورهم
 تطل دماء المؤمنين على الهدى
 ويعصى ابن عباس إذا لمّ شعثها
 على أن علت فوق الرماح مصاحف
 مكيدة عمرو حين رثت جباله
 أبا حسن ذرها حكومة فاسق
 أبا حسن أقدم فأنت على هدى
 أبا حسن لا تعطين دثيّة
 أبا حسن لا تنس أحداً وخندقاً
 أبا حسن أين السوابق غودرت
 أبا حسن إن تعطيها اليوم لم تزل

وشقت عن التقوى لهن نحور
 وهنّ بجنّات النعيم طيور
 كما عقرت بالمشعرين نذور
 كما نحرت للميسرين جزور
 وهامهم تحت العجاج تطير
 فإنّ محب الله فيه غيور
 وهيئات عزّت منعة وظهور
 وناصره بالنهروان عقيّر
 لما قر عيناً أو يزول ثبير
 والله في تلك الصدور بحور
 وخيل ابن صخر في البلاد تغير
 ويسمع فيها أشعث وجريّر
 ونادوا إلى حكم الكتاب نصير
 وكادت بحور القاسطين تغور
 جراحات بدر في حشاه تفور
 وأنت بغايات الغويّ بصير
 وأنت بسلطان الغويّ قدير
 وما جر عير قبلها ونفير
 وأنت أخوه والغدير غدير
 يحل عراها فاجر ومبير

أبا حسن أطلقتهما لطليقتها
أتحبس خيل الله عن خيل خصمه
أثرها رعالاً تنسف الشام نسفة
وصك ثغور الفاسقين بفيلق
فلم يبق إلا غلوة وتحسهم
فما لك والتحكيم والحكم ظاهر
أفي الدين شك أم هوادة عاجز
بيت قرير الجفن بالجفن لاصقاً
فلا جبرت حداه إن ظل مغمداً
ولا جبرت حداه يوم سللته
أتغمده عن عبد شمس وحزبها
فما لك والأبرار تنشر هامهم
ذروتهم عصفاً وتبكي عليهم
فما هي إلا جذعة الأنف ما شفت
ستحصد هذا الزرع مهما تقصدت
تنازعها سل السيوف فتلتوي
قتلت نفيير الله والريح فيهم
نشدت دوي النحل لما فقدتهم
أرقت دماء المؤمنين بريثة
علياً أمير المؤمنين بقيةً

وأنت بقدر الأشعري أسير
وسبعون ألفاً فوقهن هصور
بشارت عمّار لهن زفير
له مدد من ربّه فظهير
ويبكي ابن صخر قبة وسرير
وأنت عليّ والشام تمور
تجوّزتها أم ذو الفقار كسير
وجفن حسام ابن اللعين سهير
وهنديّ هند منجد ومغير
له في رقاب المؤمنين صرير
ويلفح حزب الله منه سكير
كأنك زراع وهنّ بذور
بلى فابك خطب بالبكاء جدير
غليلاً وجرح لا يزال يفور
عراقك لا يلوي عليك ضمير
وتخطب فيها والقلوب صخور
وأصبحت فذاً والنفير نفور
ويعسوب ذاك النحل عنه خبير
لهن بزيّاء الحراء خريير
كأن دماء المؤمنين خمور

سمعنك تنفي شركهم ونفاقهم
وما الناس إلا مؤمن أو منافق
وقد قلت ما فيهم نفاق ولا بهم
فهل أوجب الإيمان سفك دمائهم
تركتم جزر السباع عليهم
مصاحفهم مصبوغة بدمائهم
وكنت حفيّاً يابن عمّ محمّد
وكنت حفيّاً أن يكونوا بقية
أما والذي لا حكم من فوق حكمه
لقدماء أعاروك الجماجم خشعاً
فقصعتها إذ حكمت حكم ربّها
فيا أسفاً من سيف آل محمّد
نبا عن رؤس الشام في الحقّ وانثنى
أحيدة الكرار أن خياركم
أحيدة الكرار تابعت أشعثاً
أعشرون ألفاً قلبهم قلب مؤمن
بهاليل أفنوا في العبادة أنفساً
أسود لدى الهيجا راهبين في الدجى
وفي القوم حرقوص وزيد وفيهم
ومن بيعة الرضوان فيهم بقية

فأنت على أي الذنوب نكير
ومنهم جحود بالآله كفور
جحود وهذا الحكم منك شهير
وأنت بأحكام الدماء بصير
لفايف من إيمانهم وستور
عليهن من كتب السهام سطور
بحفظ دماء ما لهن خطير
لنصرك حيث الدائرات تدور
على خلقه وردّ به وصدور
عليهن من قرع الصفاح فطور
فما بقيت عارية ومعير
على المؤمنين الصالحين شهير
على ثغفات العابدين يجور
وقراءكم تحت السيوف شطور
وأشعث شيطان ألدّ كفور
بأوجههم نور اليقين ينور
لهم أثر في الصالحين أثير
أناجيلهم وسط الصدور سطور
أويس ومن بدر هناك بدور
بأيديهم منها ندى وعير

أكلتهم في النهر فطرة صايم فكيف أبا السبطين ساغ فطور
 فيا فتنة في الدين ثار دخانها وذاك إلى يوم النشور يشور
 نجونا بحمد الله منها على هدى فنحن على سير النبي نسير
 بصايرنا من ربنا مستمدة إذا اشتبهت للمارقين أمور
 وثقنا بأن الدين عروة أمرنا وما شذّ عنه فتنة وغرور

قال في كتاب (بيان الشرع) وهو من الكتب العمانية القديمة المعتبرة المعتمدة: قيل: لمّا قتل عليّ بن أبي طالب أهل النهروان، أمر بعيابهم، فجمعت فإذا مصاحف وترايس، فذكروا أنّه أصيب في عسكرهم أربعة آلاف مصحف إلاّ مصحف، فبكى عليّ حتّى كادت نفسه تخرج، ويقال: أنّه دخل على ابنته أمّ كلثوم فهنّته بالظفر بهم، فقال عليّ: أصبح أبوك من أهل النار إن لم يرحمه الله.

أقول: فهذه صحائف سود سوّدتها أقلامهم، نثراً وشعراً، كذباً وزوراً؛ ولا أطيل الوقوف عندها، إلاّ أنّي أذكر ما يكذب زعم الإباضي: بأنّ ابن عبّاس لم يشارك في حرب النهروان، وأنّه فارق الإمام (عليه السلام)، وفي مكاتباته (فاكفف عن القوم)، فأقول له:

اقرأ ما ذكره الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) في ترجمة ابن عبّاس بسنده، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: لمّا أصيب أهل النهروان، خرج عليّ وأنا خلفه، فجعل يقول: ويلكم التمسوه - يعني المخدج - فالتمسوه، فجاءوا فقالوا: لم نجده، فعرف ذلك في وجهه، فقال: ويلكم ضعوا عليهم القصب - أي علّموا كلّ رجل منهم بالقصب - فجاءوا به، فلمّا

رآه خرّ ساجداً^(١).

واقراً ما رواه البكري (ت ٤٨٧هـ) في (معجم ما استعجم): «عن ابن عباس، قال: لما رجعنا من حرب الشراة، صلى بنا أمير المؤمنين بمسكن صلاة الفجر، ثم انقل عن يمينه فنظر إلى رحله، ثم نظر إليّ ثم تبسم. فقلت: ما يضحكك يا أمير المؤمنين! أضحك الله سنك؟

فقال: يا بن عباس! تبنى هاهنا مدينة - وأوماً بيده إلى يمينه - عظيمة المقدار، يسكنها كثير من أمة محمد ﷺ ويربون فيها، تجبى إليهم خزائن الأمم وممالك الأكاسرة والقيصرة، ويطمثون بها، لا يقصدهم جبار عنيد يريد أن يزيلهم عما هم بها فيه إلا قصمه الله»^(٢).

فهذان نصّان صحيحان صريحان في حضور ابن عباس حرب الخوارج مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ممّا يكذب جميع ما ذكره سالم بن حمد الإباضي في كتابه (العقود الفضية) من أكاذيب على ابن عباس، جملة وتفصيلاً؛ وقد مرّت في الجزء العاشر^(٣) محاورات ابن عباس مع زعماء الخوارج، كنافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر، وعطية بن الأسود، وزمعة بن خارجة، وغيرهم، وفي جميعها ما يدلّ على كذب ما ذكره سالم بن حمد الإباضي في كتابه؛ فراجع!

(١) تاريخ بغداد ١/١٧٤.

(٢) معجم ما استعجم ٤/١٢٢٧.

(٣) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء العاشر، الفصل الخامس / محاورات ابن عباس مع المحكمة في الكوفة.

نماذج من أكاذيب عكرمية على ابن عباس

ممّا لا ريب فيه أنّ ثمة روايات مكذوبة على ابن عباس في التفسير وغيره، غير أنّها في التفسير أكثر وراويها عكرمة، ولمّا كان هذا الاسم مشتركاً بين اثنين من موالى ابن عباس - كما نبهت على ذلك في الجزء السادس في بحث تلاميذه - فهل يسع القارئ تمييز الصحيح من السقيم من خلال التمييز بين العكرمتين، أو بالعكس؟

فنقول: نعم، يسعه التمييز من خلال مضامين الروايات معرفة الراوي، فما استقام مؤداه كان راويه عكرمة المستقيم، وما شذّ في مؤداه كان راويه عكرمة البربري الخارجي الإباضي الكذاب.

وثمة نماذج من مكذوبات عكرمة الخارجي، نذكرها للقارئ ليتبسّر في المرويات عن عكرمة، فأيتها تصحّ نسبته وأيتها لا تصحّ؟ فبعضها يستبطن الكذب.

كما في ذلك الذي ذكره أبو جعفر الطبري في تفسيره^(١)، فقال: «واختلف أهل العلم في هذه الفرقة التي قالت: ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهَ مُهْلِكُهُمْ﴾^(٢) هل كانت من الناجية، أم من الهالكة؟

فقال بعضهم: كانت من الناجية، لأنّها كانت من الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء في السب.

ذكر من قال ذلك:

(١) تفسير الطبري ٩/٩٣.

(٢) سورة الأعراف/١٦٤.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾^(١)، هي قرية على شاطئ البحرين مكة والمدينة يقال لها: أيلة، فحرّم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم، فكانت الحيتان تأتيتهم يوم سبتهم شرعا في ساحل البحر، فإذا مضى يوم السبت لم يقدرُوا عليها، فمكثوا بذلك ما شاء الله. ثم إنّ طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم، فنهتهم طائفة وقالوا: تأخذونها وقد حرّمها الله عليكم يوم سبتكم، فلم يزدادوا إلا غيّا وعتوّاً، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم. فلما طال ذلك عليهم، قالت طائفة من النّهاء: تعلمون أنّ هؤلاء قوم قد حقّ عليهم العذاب: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾؟ وكانوا أشدّ غضباً لله من الطائفة الأخرى، فقالوا: ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، وكلّ قد كانوا ينهاهم، فلما وقع عليهم غضب الله، نجت الطائفتان اللتان قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، والذين قالوا: ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ﴾، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان، فجعلهم قردة وخنازير.

حدثني محمّد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمّي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾... إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَيْتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾^(٢)، وذلك أنّ أهل قرية كانت حاضرة

(١) سورة الأعراف/١٦٤.

(٢) سورة الأعراف/١٦٣.

البحر كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم، يقول: إذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرعا، يعني من كل مكان، ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾. وأنهم قالوا: لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجيء ما يكفيننا فيما سوى ذلك من الأيام. فوعظهم قوم مؤمنون ونهوههم. وقالت طائفة من المؤمنين: إن هؤلاء قوم قد همّوا بأمر ليسوا بمنتهين دونه، والله مخزيهم ومعذبهم عذاباً شديداً. قال المؤمنون بعضهم لبعض: ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، إن كان هلاك فلعلنا ننجو وإمّا أن ينتهوا فيكون لنا أجراً. وقد كان الله جعل على بني إسرائيل يوماً يعبدونه ويتفرغون له فيه، وهو يوم الاثنين، فتعدّى الخبثاء من الاثنين إلى السبت، وقالوا: هو يوم السبت. فنهاهم موسى، فاختلفوا فيه، فجعل عليهم السبت، ونهاهم أن يعملوا فيه وأن يعتدوا فيه. وإن رجلاً منهم ذهب ليحتطب، فأخذه موسى عليه السلام، فسأله: هل أمرك بهذا أحد؟ فلم يجد أحداً أمره، فرجمه أصحابه.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: قال بعض الذين نهوههم لبعض: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ يقول: لم تعظونهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم؟ فقال بعضهم: ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

حدثنا محمد بن المشني، قال: ثنا معاذ بن هاني، قال: ثنا حماد، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، قال: ما أدري أنجا الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أم لا؟ قال: فلم أزل به حتى عرفت أنه قد نجوا،

فكساني حلة.

حدّثني المثنى، قال: ثنا حمّاد، عن داود، عن عكرمة، قال: قرأ ابن عبّاس هذه الآية، فذكر نحوه، إلّا أنّه قال في حديثه: فما زلت أبصره حتّى عرف أنّهم قد نجوا.

حدّثني سلام بن سالم الخزاعي، قال: ثنا يحيى بن سليم الطائفي، قال: ثنا ابن جريج، عن عكرمة، قال: دخلت على ابن عبّاس والمصحف في حجره وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك جعلني الله فداك؟ قال: فقرأ: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾... إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، قال ابن عبّاس: لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت، نخاف أن نكون مثلهم. فقلت: أما تسمع الله يقول: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَآ نُهُوا عَنْهُ﴾؟ فسرّي عنه وكساني حلة.

حدّثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: ثني رجل، عن عكرمة، قال: جئت ابن عبّاس يوماً وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فأعظمت أن أدنو، ثمّ لم أزل على ذلك حتّى تقدّمت فجلست، فقلت: ما يبكيك يا بن عبّاس جعلني الله فداك؟ فقال: هؤلاء الورقات. قال: وإذا هو في سورة الأعراف. قال: تعرف أيلة؟ قلت: نعم. قال: فإنّه كان حيّ من يهود سقت الحيتان إليهم يوم السبت، ثمّ غاصت لا يقدرّون عليها حتّى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة، كانت تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاً سماناً كأنّها الماخض، تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيّتهم وأبنيّتهم. فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثمّ إنّ الشيطان أوحى

إليهم، فقال: إنما نهيتهم عن أكلها يوم السبت، فخذوها فيه وكلوها في غيره من الأيام فقالت ذلك طائفة منهم، وقالت طائفة منهم: بل نهيتهم عن أكلها وأخذها وصيدها في يوم السبت. وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت، وقال الأيمنون: الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله، وقال الأيسرون: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لَمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ قال الأيمنون: ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي ينتهون، فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا، وإن لم ينتهوا فمعدرة إلى ربكم. فمضوا على الخطيئة، فقال الأيمنون: قد فعلتم يا أعداء الله، والله لا نبايتكم الليلة في مدينتكم، والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده بالعذاب، فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا، فلم يجابوا، فوضعوا سلماً وأعلوا سور المدينة رجلاً، فالتفت إليهم فقال: أي عباد الله قردة والله تعاوى لها أذنان، قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القروء تأتي نسيبها من الإنس، فتشم ثيابه وتبكي، فتقول لهم: ألم ننهكم عن كذا؟ فتقول برأسها: نعم. ثم قرأ ابن عباس: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(١) قال: فأرى اليهود الذين نهوا قد

(١) سورة الأعراف/١٦٥.

نجوا، ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها، فلا نقول فيها، قال: قلت: أي جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾؟ قال: فأمر بي فكسيت بردين غليظين.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾، ذكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان حتى تنتطح على سواحلهم وأفنيتهن لما بلغها من أمر الله في الماء، فإذا كان في غير يوم السبت بعدت في الماء حتى يطلبها طالبيهن، فأتاهم الشيطان، فقال: إنما حرم عليكم أكلها يوم السبت، فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فصار القوم ثلاثة أصناف: أما صنف فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله. وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبة لله. وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع في الخطيئة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس في قول الله: ﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾، قال: حرمت عليهم الحيتان يوم السبت، وكانت تأتيتهم يوم السبت شرعا، بلاء ابتلوا به، ولا تأتيتهم في غيره إلا أن يطلبوها، بلاء أيضاً بما كانوا يفسقون، فأخذوها يوم السبت استحلالاً ومعصية، فقال الله لهم: كونوا قردة خاسئين إلا طائفة منهم لم يعتدوا ونهواهم، فقال بعضهم لبعض: ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا﴾.

حدَّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ... حَتَّىٰ بَلَغَ﴾: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: لعلهم يتركون ما هم عليه، قال: كانوا قد بلوا بكف الحيتان عنهم، وكانوا يسبتون في يوم السبت، ولا يعملون فيه شيئاً، فإذا كان يوم السبت أتتهم الحيتان شرعاً، وإذا كان غير يوم السبت لم يأت حوت واحد، قال: وكانوا قوماً قد قرنوا بحب الحيتان، ولقوا منه بلاء، فأخذ رجل منهم حوتاً، فربط في ذنبه خيطاً، ثم ربطه إلى خشقة، ثم تركه في الماء، حتى إذا غربت الشمس من يوم الأحد اجتريه بالخيط، ثم شواه. فوجد جاره له ربح حوت، فقال: يا فلان إنني أجد في بيتك ربح نون، فقال: لا. قال: فتطلع في تنوره فإذا هو فيه فأخبره حينئذ الخبر، فقال: إنني أرى الله سيعذبك. قال: فلما لم يره عجل عذاباً، فلما أتى السبت الآخر أخذ اثنين فربطهما، ثم اطلع جاره له عليه. فلما رآه لم يعجل عذاباً جعلوا يصيدونه، فاطلع أهل القرية عليهم، فنهاهم الذين ينهون عن المنكر، فكانوا فرقتين: فرقة تنهاهم وتكف، وفرقة تنهاهم ولا تكف، فقال الذين نهوا وكفوا للذين ينهون ولا يكفون: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، فقال الآخرون: ﴿قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فقال الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ...﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، قال الله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، وقال لهم أهل تلك القرية: عملتم بعمل سوء، من كان يريد يعتزل ويتطهر فليعتزل هؤلاء، قال: فاعتزل هؤلاء وهؤلاء في مدينتهم، وضربوا بينهم سوراً، فجعلوا في ذلك

السور أبواباً يخرج بعضهم إلى بعض. قال: فلما كان الليل طرقتهم الله بعذابه، فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحداً، فدخلوا عليهم، فإذا هم قردة، الرجل وأزواجه وأولاده. فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه، فيقولون: يا فلان ألم نحذرك سطوات الله؟ ألم نحذرك نقمات الله؟ ونحذرك ونحذرك؟ قال: فليس إلا بكاء. قال: وإنما عذب الله الذين ظلموا الذين أقاموا على ذلك. قال: وأما الذين نهوا فكلهم قد نهى، ولكن بعضهم أفضل من بعض فقرأ: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن داود، عن عكرمة، قال: قرأ ابن عباس هذه الآية: ﴿لَمْ تَعْظُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، قال: لا أدري أنجا القوم أو هلكوا؟ فما زلت أبصره حتى عرف أنهم نجوا، وكساني حلة.

حدثني يونس، قال: أخبرني أشهب بن عبد العزيز، عن مالك، قال: زعم ابن رومان أن قوله: ﴿تَأْتِيهِمْ حَيَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾، قال: كانت تأتاهم يوم السبت، فإذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شيء إلى السبت، فاتخذ لذلك رجل منهم خيطاً ووتدًا، فربط حوتاً منها في الماء يوم السبت، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه، فوجد الناس ريحه، فأتوه فسألوه عن ذلك، فوجدتهم، فلم يزالوا به حتى قال لهم: فإنه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك، ولا أدري لعله قال: ربط حوتين، فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه، فوجدوا

ريحه، فجاؤوا فسألوه، فقال لهم: لو شئتم صنعتم كما أصنع، فقالوا له: وما صنعت؟ فأخبرهم، ففعلوا مثل ما فعل، حتى كثر ذلك. وكانت لهم مدينة لها ربض، فغلقوها عليهم، فأصابهم من المسخ ما أصابهم، فغدا إليهم جيرانهم ممن كان يكون حولهم، يطلبون منهم ما يطلب الناس، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم، فنادوا فلم يجيبوهم، فتسوروا عليهم، فإذا هم قردة، فجعل القرء يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به.

وقال آخرون: بل الفرقة التي قالت: ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ كانت من الفرقة الهالكة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن داود بن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ...﴾ إلى قوله: ﴿شُرْعًا﴾، قال: قال ابن عباس: ابتدعوا السبت، فابتلوا فيه، فحرمت عليهم فيه الحيتان، فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر، فإذا انقضى السبت ذهبت، فلم تر حتى السبت المقبل، فإذا جاء السبت جاءت شرعا. فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك، ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً فخزم أنفه، ثم ضرب له وتداً في الساحل وربطه وتركه في الماء، فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله. ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون، ولا ينهاه منهم أحد إلا عصبه منهم نهوه، حتى ظهر ذلك في الأسواق وفعل علانية، قال: فقالت طائفة للذين ينهون: ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی

رَبِّكُمْ» في سخطنا أعمالهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فلما نسوا ما ذكروا به... إلى قوله: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. قال ابن عباس: كانوا أثلاثاً: ثلث نهوا، وثلث قالوا: ﴿لَمْ تَعْظُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وثلث أصحاب الخطيئة. فما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم، فأصبح الذين نهوا عن سوء ذات يوم في مجالسهم يتفقّدون الناس لا يرونهم، فغلقوا عليهم دورهم، فجعلوا يقولون: إنّ للناس لشأناً، فانظروا ما شأنهم فاطلعوا في دورهم، فإذا القوم قد مسحوا في ديارهم قردة، يعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، ويعرفون المرأة بعينها وإنها لقردة، قال الله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

حدّثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿أُنْجِنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾... الآية، قال ابن عباس: نجا الناهون، وهلك الفاعلون، ولا أدري ما صنع بالساكيتين.

حدّثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن ابن عباس: ﴿لَمْ تَعْظُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، قال: هم ثلاث فرق: الفرقة التي وعظت، والموعوطة التي وعظت، والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة، وهم الذين قالوا: ﴿لَمْ تَعْظُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾. وقال الكلبي: هما فرقتان: الفرقة التي وعظت، والفرقة التي قالت: ﴿لَمْ تَعْظُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، قال: هي الموعوطة.

(١) سورة البقرة/٦٦.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لأن أكون علمت من هؤلاء الذين قالوا: ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أحب إلي مما عدل به.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، قال: قال ابن عباس: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، قال: أسمع الله يقول: أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس، فليت شعري ما فعل هؤلاء الذين قالوا: ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾.

أقول: لقد أخرج الطبري عدة أخبار عن ابن عباس بأسانيد مختلفة منها سبعة بأسانيده عن عكرمة، وستة منها عن خمسة من تلاميذ ابن عباس، وهم: علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، وخبر سادس عن قتادة عن ابن عباس، وقد وزعها ابن جرير الطبري على المقالات في تعيين الفرقة التاركة التي قالت: ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وليس يعيننا رواية التلاميذ الخمسة وإن تفاوتت في النقل عن ابن عباس، لأن الواحد منهم لم ينقل إلا وجهاً واحداً في تفسير الآية، وكذلك خبر قتادة عن ابن عباس فإنه من المرسل، وكان قتادة من المدلسين^(١).

ولكن هلم الخطب في المرويات العكرمية، فمنها ما هو مستقيم، ومنها

(١) قبول الأخبار ٢٤٥/١.

ما هو مردود لاستبطان كذبه، ولا يعقل أن تكون كلّها من مرويات عكرمة الخارجي للتفاوت بينها في المعنى، فأما تلك المرويات التي هي مستقيمة المعنى فعن عكرمة الآخر المستقيم، وأما التي تستبطن كذبها فعن عكرمة الخارجي البربري، وللقارئ أن يسأل عن معنى استبطانها كذب راويها؟

فنقول: إنّ روايتها عكرمة يصف دخوله على ابن عباس بحالات مختلفة، وكذلك يصف محاورته لمولاه في معنى الآية الذي حير ابن عباس فلم يهتد إليه، فهداه إليه عكرمة! وهذا أيضاً مختلف الأداء، فتارة يقول: فلم أزل به حتّى عرفته أنّهم قد نجوا فكساني حلّة، وتارة: فما زلت أبصره حتّى عرف أنّهم قد نجوا، وثالثة قال: فقلت ألم تسمع الله يقول: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ فسريّ عليه وكساني حلّة، ورابعة قال: قلت: أي جعلني الله فداك ألا ترى أنّهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوه وقالوا: ﴿لَمْ تَعْطُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾، قال: فأمر بي فكسيت بردين غليظين، وخامسة: فما زلت أبصره حتّى عرف أنّهم نجوا وكساني حلّة، أما السادسة والسابعة من المرويات العكرمية فليس فيهما شيء ممّا تقدّم لا معاناة التعريف، ولا كساء الحلّة، ولا البردين الغليظين، ممّا يجعل القارئ بأنّهما - الروايتان - عن غير عكرمة البربري، بل هما عن عكرمة المستقيم، ومع كوننا لا نعرف عنه الكثير إلاّ أنا نعلم إجمالاً بأنّه لم يكن خارجياً إباحياً، ولم يحبسه ابن مولاه على باب الكيف لأنّه كان يكذب على أبيه، ولما قال عنه مولاه ابن عباس بعد مفارقتة ستة أشهر، ولما عاد فقال ابن عباس: قد جاءكم الخبيث..

ولتنوير القارئ بحاله، نستذكر قراءة بعض ما مرّ عنه في الحلقات السابقة

خصوصاً في الثانية^(١) في ذكر تلاميذ ابن عباس، خصوصاً ما قاله أبو القاسم الكعبي البلخي (ت ٣١٩هـ) في كتابه (قبول الأخبار)^(٢): روى الكرايسي عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن جدّه انه سمع سعيد بن المسيب يقول لغلّامه بُرد: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس.

قال الدوري: قلت ليحيى بن معين: كان مالك بن أنس يكره عكرمة؟ قال: نعم، قلت: فقد روى عن رجل عنه؟ قال: بشيء يسير.

وروى جرير، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، قال: دخلت على علي بن عبد الله بن عباس، وعكرمة موثق على باب كنيف، فقلت: أتفعلون هذا بمولاكم؟ فقال: إنّ هذا يكذب على أبي.

قال يزيد بن هارون: قدم عكرمة البصرة فأتاه أيوب وسليمان التيمي ويونس، فبينما هو يحدثهم إذ سمع صوت غناء، فقال عكرمة: اسكتوا فتسمّع، ثم قال: قاتله الله لقد أجاد، أو قال: ما أجود ما غنّى، فأما سليمان ويونس فلم يعودا إليه وعاد أيوب، قال يزيد: أحسن أيوب.

قال ابن المديني: كان عكرمة إباضياً، وكان يتّهم بالكذب، قال: وسمعت يحيى بن معين يقول: حدّثني والله عن أيوب أنّه ذكر له عكرمة لا يحسن الصلاة، فقال أيوب: وكان يصلّي؟!

(١) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء السادس، الباب الثاني، الفصل الثاني / حرف العين ١١١- عكرمة البربري.

(٢) قبول الأخبار ٢١٨/١ - ٢٢١.

قال ابن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ) في تاريخه الكبير: وسمعت مصعباً يقول: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، وادّعى على عبد الله بن عباس أنه كان يرى رأي الخوارج^(١).

(لجنة الامتحان) تظهر كذبه

وروى ابن أبي خيثمة، عن صالح بن حاتم بن وردان، قال: نا أبي، قال: اجتمع حفاظ ابن عباس على عكرمة، فيهم: عطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، فجعلوا يسألون عكرمة عن حديث ابن عباس، قال: فجعل يحدثهم، وسعيد كلما حدث بحديث وضع إصبعه الإبهام على السبابة - أي سواء - حتى سألوه عن الحوت وقصة موسى عليه السلام، فقال عكرمة: كان يسايرهما في ضحضاح من الماء، فقال سعيد: أشهد على ابن عباس أنه قال: كانا يحملانه في مكمل - يعني الزنبيل -.

قال ابن أبي خيثمة: حدثنا يحيى بن معين، قال: حدثني من يسمع حماد بن زيد يقول: سمعت أيوب وسئل عن عكرمة كيف هو؟ فقال أيوب: لم يكن عندي ثقة لم أكتب عنه.

وكذبة له أخرى:

روى ابن أبي خيثمة بسنده عن إبراهيم - النخعي - قال: لقيت عكرمة فسألته عن: ﴿البَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾^(٢)؟ فقال: يوم القيامة، فقلت: إن عبد الله

(١) التاريخ الكبير ١٩٤/٢.

(٢) سورة الدخان/١٦.

- ابن عباس - كان يقول يوم بدر. فأخبرني من سأله بعد ذلك، فقال: يوم بدر.
وروى ابن أبي خيثمة بإسناده عن أيوب، قال: أخبرني من مشى بين
سعيد بن المسيب وعكرمة في النذر، فقال سعيد: يوفى به، وقال عكرمة: لا
يوفى به، فأخبر به سعيد بن المسيب، فقال: لا ينتهي عبد ابن عباس حتى
يُجعل في عنقه حبل ويطاف به، قال: فأخبرت عكرمة، فقال: أنت رجل
سوء، قال: ولم؟ قال: تخبره كما أخبرتني، قال: قال الله؟ فإن قال: (إنه إنه)
ليكذبن وإن زعم أنه لغير الله فما فيه وفاء.

وكذبة ثالثة:

روى ابن أبي خيثمة، وأبو القاسم الكعبي، والخطيب البغدادي في
مسألة المسح على الخفين، واختلافه في النقل عن ابن عباس، واللفظ
للخطيب: قال قتادة لعكرمة: إن ابن عباس بلغني أنه كان يمسخ، قال: ابن
عباس إذا خالف القرآن لم يؤخذ عنه، قال همام في هذا الحديث عن
قتادة، قال: قلت لعكرمة: لولا ابن عباس ما سألك أحد عن شيء.

قلت - القائل هو الخطيب -: كان ابن عباس أعلم بكتاب الله من عكرمة^(١).
فهذا الحسن البصري قد أكذب عكرمة، فقد قيل له: أن عكرمة يقول
هو الخصاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾^(٢)، فقال: كذب عكرمة، هو

(١) الفقيه والمتفقه ٢٣٦/١.

(٢) سورة النساء/١١٩.

دين الله^(١).

وقال مجاهد: كذب عكرمة، إنما هو دين الله في تفسير الآية (١١٩) النساء: ﴿وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلْيَغَيِّرُوا خَلْقَ اللَّهِ...﴾.

وقيل للحسن: إنَّ عكرمة يقول: هو الخصاء، فقال: كذب عكرمة، هو دين الله. (الكشاف) في تفسير الآية. وهذا في (البحر المحيط) أيضاً في تفسير الآية، وفي تفسير (السراج المنير) كذلك، وفي (هميان الزاد) لأطيمش الإباضي مثله.

وتبقى أحاديث عكرمية مرددة بين الاثنين من موالي ابن عباس، ويمكن استخراج ما روي عن عكرمة في فضائل الإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليه السلام عن ابن عباس، فهي برواية عكرمة غير الإباضي أشبه، وهو الذي سمّيته بالمستقيم، وإليك بعض تلك الروايات:

- في (بشارة المصطفى لشيعه المرتضى): «قال عكرمة: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يحدث فيقول: أمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وقال ﷺ: يا علي! إنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»^(٢).

- في (تفسير العياشي): «عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ما في القرآن آية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، إلا وعلي أميرها وشريفها، وما من

(١) الكشاف ٤٢٥/١، ط البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٧هـ.

(٢) بشارة المصطفى ص ١٤٢ ط ٢ بالحيدرية سنة ١٣٨٣هـ.

أصحاب محمد رجل إلا وقد عاتبه الله، وما ذكر علياً إلا بخير»^(١).

- في مناقب ابن شهر آشوب، نقلاً عن (تذكرة سبط ابن الجوزي):

((قال عكرمة: وسمع - ابن عباس - أقواماً يتناولون علياً عليه السلام، فقال:

ويحكم أتذكرون رجلاً كان يسمع وطء جبريل عليه السلام فوق بيته))^(٢).

- في (تذكرة الخواص في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام): ((قال عكرمة:

ومنها قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾^(٣)، قال عكرمة: الذي ينتظر أمير المؤمنين))^(٤).

- في (الكشف والبيان) للثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ...﴾^(٥): ((قال عكرمة: كان عليّ يتوضأ عند كل صلاة ويقرأ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾))^(٦).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: جعل عليّ يغسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم ير

منه شيئاً مما يرى من الميت، وهو يقول: بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً

(١) تفسير العياشي ٣٥٢/٢، وهذا المتن أخرجه ابن عساكر في ترجمة الإمام عليه السلام بخمسة أسانيد؛ فراجع.

(٢) المناقب ٢٤/٢، وقد أخرجه أحمد في فضائل الصحابة بزيادات القطيعي برقم ٢٣٤، تح المرحوم الطباطبائي.

(٣) سورة الأحزاب/٢٣.

(٤) تذكرة الخواص ١٨٦/١ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ط ١ المجمع العالمي ١٤٢٦هـ.

(٥) سورة المائدة/٦.

(٦) تفسير الثعلبي ٢٤/٤، ط دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٢هـ.

وميتاً»^(١).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس: إِنَّ عَلِيًّا كَانَ يَقُولُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿أَفَانِ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢)، وَاللَّهُ لَا نَقْلِبَ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ، وَلَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَأَقَاتِلَنَّ عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ حَتَّى أَمُوتَ، وَاللَّهُ إِنِّي لِأَخُوهُ وَوَلِيِّهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَوَارِثِهِ، وَمَنْ أَحَقُّ مِنِّي^(٣))).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: بلغ عليّ بن أبي طالب ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصَابَتْهُ خِصَاصَةٌ، فَخَرَجَ يَلْتَمِسُ عَمَلًا يَصِيبُ بِهِ شَيْئًا لِيُغِيثَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ وَقَدْ اسْتَقَى لَهُ تِسْعَةُ عَشْرَ دَلْوًا، كُلُّ دَلْوٍ بِتَمْرَةٍ، فَجَاءَ بِهَا عَلِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: (مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا يَا أَبَا الْحَسَنِ؟). قَالَ: بَلَّغْنِي مَا بِكَ فَخَرَجْتَ أَلْتَمِسُ عَمَلًا أَصِيبُ بِهِ لَكَ طَعَامًا، قَالَ: (حَمَلْتُكَ عَلَى هَذَا حَبَّ اللَّهِ وَرَسُولَهُ؟).

قال: نعم، قال: (من أحبَّ الله ورسوله فليعدَّ للبلاء تجفافاً))^(٤).

(١) فضائل الإمام لأحمد بن حنبل: ٢٧٤ برقم ٢٣٣.

(٢) سورة آل عمران/١٤٤.

(٣) فضائل الإمام لأحمد بن حنبل: ٢٧٤ برقم ٢٣٢.

(٤) في تهذيب اللغة ٦٤/١١، وفي حديث علي: من أحبنا فليعد للفقير جلباباً أو تجفافاً، ونحوها في لسان العرب، والتجفاف: ما يوضع على الخيل من حديد أو غيره في الحرب، والخبر أخرجه محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه ٤٨٧/٢ برقم ١١٢٢، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق في ترجمة الإمام ﷺ ٤٣٩/٢ بتفاوت يسير.

وللخصاصة في حياة الإمام عليه السلام أخبار جَلَّ أمرُها، فحسُن ذكرها،
وإلى القارئ بعضها في آخر هذا الفصل -

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَبْعَ سِنِينَ)، قالوا: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: (لم يكن معي من الرجال غيره))^(١).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله قَضِيئاً مِنْ نُورٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةِ آلَافِ عَامٍ، فَجَعَلَهُ أَمَامَ الْعَرْشِ، حَتَّى كَانَ أَوَّلُ مَبْعُوثٍ فَشَقَّ مِنْهُ نَصِفاً، فَخَلَقَ مِنْهُ نَبِيَّكُمْ، وَالنَّصْفَ الْآخَرَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ))^(٢).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لعليٍّ أربع خصال: هو أولُّ عربيٍّ وعجميٍّ صَلَّى مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي كان معه لواؤه في كلِّ زحف، وهو الذي صبر معه يوم المهراس - أحد - انهزم الناس كلُّهم غيره، وهو الذي غَسَلَهُ، وهو الذي أدخله قبره))^(٣).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة: (ما أَلُوتِكَ يا بنية، إِنِّي أَنْكَحْتُكَ أَحَبَّ أَهْلِي إِلَيَّ))^(٤).

(١) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليه السلام ٦٤/١.

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليه السلام ١٣٥/١.

(٣) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليه السلام ١٤٣/١.

(٤) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليه السلام ٢٥٠/١.

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي رزقوا فهماً وعلماً، ويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي)))، وقال ابن عساكر: هذا حديث منكر فيه غير واحد من المجهولين^(١).

أقول: لولا الإطالة لذكرت الرواة وفحص أحوالهم، ولنغضّ الطرف عنهم فعلاً، ولكن المهمّ في المتن هل يرى فيه نكارة عند من يقرأ ما أخرجه ابن المغازلي الشافعي - المالكي - في مناقبه^(٢) بألفاظ متقاربة، كما يلي:

أ - عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله: (من أحبّ أن يتمسّك بالقضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله في جنّة عدن فليتمسّك بحبّ عليّ بن أبي طالب).

ب - عن السندي، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: (من أحبّ أن يتمسّك بالقضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله لنبيّه في جنّة عدن فليتمسّك بحبّ عليّ بن أبي طالب).

ج - عن عليّ بن الحسين السّليّ، عن ابن عباس، قال: سمعت رسول

(١) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام السّليّ ٩٥/٢.

(٢) مناقب ابن المغازلي: ٢١٥ برقم ٢٦٠ وما بعده.

الله ﷺ يقول: (من أحب أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله بيده في جنة عدن فليتمسك بحب علي بن أبي طالب).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس: إن النبي ﷺ، قال: (إنما رفع الله القطر عن بني إسرائيل بسوء رأيهم في أنبيائهم، وإن الله عز وجل يرفع القطر عن هذه الأمة ببغضهم علي بن أبي طالب))^(١).

- ((عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: ما في القرآن آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، إلا علي رأسها))^(٢).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ما نزل في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، إلا وعلي سيدّها وشريفها وأميرها، وما أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وقد عاتبه الله في القرآن، ما خلا علي بن أبي طالب، فإنه لم يعاتبه في شيء منه))^(٣).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ما ذكر الله في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، إلا وعلي شريفها وأميرها، وقد عاتب الله أصحاب محمد في أي من القرآن، وما ذكر علياً إلا بخير))^(٤).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله طهر

(١) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام علي عليه السلام ٢١٣/٢ - ٢١٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام علي عليه السلام ٤٢٩/٢.

(٣) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام علي عليه السلام ٤٣٠/٢.

(٤) المصدر نفسه.

قوماً من الذنوب بالصلعة في رؤوسهم، وإنّ عليّاً لأولهم^(١).
 - (عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: ما في القيامة
 راكب غيرنا نحن أربعة.

فقام إليه عمّه العبّاس بن عبد المطلب، فقال: ومن هم يا رسول الله؟
 قال: أمّا أنا فعلى البراق وجهها كوجه الإنسان، وخذّها كخذّ الفرس،
 وعرفها من لؤلؤ ممشوط، وأذناها زبرجدتان خضراوان، وعيناها مثل
 كوكب الزهرة تتقدان مثل النجمين المضيئين، لها شعاع مثل شعاع الشمس،
 بلقاء محجلة، تضيء مرةً وتنمى أخرى، يتحدّر من خدّها مثل الجمان،
 مضطربة في الخلق أذناها، ذنبها مثل ذنب البقرة، طويلة اليدين والرجلين،
 أظلافها كأظلاف البقر من زبرجد أخضر، تجد في مسيرها، تمرّ كالريح
 وهي مثل السحابة لها نفس كنفس الآدميين تسمع الكلام وتفهمه، وهي
 فوق الحمار ودون البغل.

قال: فقال العبّاس: ومن يا رسول الله؟

قال: وأخي صالح على ناقة الله، وسقياها [كذا] التي عقرها قومه.

قال العبّاس: ومن يا رسول الله؟

قال: وعمّي حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسول الله، وسيّد
 الشهداء على ناقتي العضباء.

قال العبّاس: ومن يا رسول الله؟

(١) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٤٣٩/٢.

قال: وأخي عليّ على ناقة من نوق الجنة، زمامها من لؤلؤ رطب، عليها محمل من ياقوت أحمر، قضبانها من الدرّ الأبيض، على رأسها تاج من نور، لذلك التاج سبعون ركنًا، ما من ركن إلا وفيه ياقوتة حمراء تضيء للراكب المحثّ، عليه حلتان خضراوان، وبيده لواء الحمد، وهو ينادي أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله.

فيقول الخلائق: ما هذا إلا نبيّ مرسل، أو ملك مقرب. [أو حامل عرش، فينادي مناد من بطنان العرش: ما هذا ملك مقرب] ولا نبيّ مرسل، ولا حامل عرش، هذا عليّ بن أبي طالب وصيّ رسول الله ربّ العالمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين.

ثمّ قال ابن عساكر: قال الخطيب: بعد ذكر الحديث، لم أكتبه إلا بهذا الإسناد وابن لهيعة ذاهب الحديث^(١).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس أنّه قال: إذا بلغنا شيء تكلم به عليّ من فتيا أو قضاء وثبت لم تتجاوز به إلى غيره))^(٢).

- ((عن سماك بن حرب، قال: سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس،

(١) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢/٣٣٤، راجع كتاب (عليّ إمام البررة) تجد توثيق ابن لهيعة، ويكفي في المقام فعلا قول الذهبي في سير أعلام النبلاء ١١/٨: القاضي الإمام العلامة محدّث ديار مصر... وكان من بحور العلم على لين في حديثه، وقال الآجري: سمعت أبا داود يقول: وسمعت أحمد بن حنبل يقول: من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه، وحدّث عنه أحمد بحديث كثير (تهذيب الكمال ١٥/٤٩٤).

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٣/٤٦٧.

قال: إذا حدثنا ثقة عن عليّ بفتيا لا نعدوها^(١).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزل برسول الله ﷺ الموت، لقي العباس عليّاً، فقال له: يا عليّ! إنني والله أعرف في وجوه بني عبد المطلب إذا نزل بهم، وقد رأيت الموت قد نزل برسول الله، فانطلق بنا إليه، فنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا فذلك الأمر الذي نريد، وإن سمّي غيرنا سأله أن يوصيه بنا.

فقال عليّ: لم أكن لأفعل أبداً، والله إن سمّي غيرنا لم يعطناها العرب أبداً.

قال: فقال العباس: إنك يا عليّ لم ممّا يعظم بالمتجرة، وكأني بك بعد ثلاث عبد العصا^(٢).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خرجنا مع عليّ إلى الجمل ستمائة رجل، فسلطنا على الربذة فنزلناها، فقام إليه ابنه الحسن بن عليّ فبكى بين يديه، وقال: إإذن لي فأتكلم؟

فقال عليّ: تكلم ودع عنك أن تحن حنين الجارية.

فقال حسن: إنني كنت أشرت عليك بالمقام، وأنا أشير به عليك الآن: إنّ للعرب جولة، ولو قد رجعت إليها عواذب أحلامها قد ضربوا إليك آباط الإبل حتى يستخرجونك ولو كنت في مثل جحر الضبّ.

(١) المصدر نفسه.

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٧٧/٣.

فقال عليّ: أتراني لا أبا لك كنت منتظراً كما ينتظر الضبع الدم»^(١).
 - ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال عمر لعليّ: عطني يا أبا الحسن.

قال: لا تجعل يقينك شكاً، ولا عملك جهلاً، ولا ظنك حقاً، واعلم أنّه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت، وقسمت فسوّيت، ولبست فأبليت.

قال: صدقت يا أبا الحسن»^(٢).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما قدم عليّ من صفين قام إليه شيخ من أصحابه، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن مسيرنا إلى أهل الشام بقضاء وقدر؟

فقال عليّ: والذي فلق الحبة ما قطعنا وادياً، ولا علونا تلة إلا بقضاء وقدر.

فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي.

فقال عليّ: ولم؟ بل عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم مصعدون، وفي منحدركم وأنتم تنحدرون، وما كنتم في شيء من أموركم مكرهين، ولا إليها مضطرين.

فقال الشيخ: كيف يا أمير المؤمنين والقضاء والقدر ساقنا إليها؟

(١) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ١٢٨/٣.

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢٠٩/٣.

قال: ويحك لعلك ظننته قضاءً لازماً وقَدراً حاتماً! لو كان ذلك لسقط الوعد والوعيد، ولبطل الثواب والعقاب، ولا أتت لائمة من الله لمذنب، ولا محمّدة لمحسن، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب، ذلك مقال إخوان عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وهم قَدَرِيَّة هذه الأُمَّة ومجوسها، ولكن الله تعالى أمر بالخير تخييراً، ونهى عن الشرّ تحذيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً، ولم يملك تفويضاً، ولا خلق السماوات والأرض وما ترى فيهما من عجائب آياتهما باطلاً، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

قال الشيخ: يا أمير المؤمنين! فما كان القضاء والقدر اللذين فيه مسيرنا ومنصرفنا؟

قال: ذلك أمر الله وحُكمه، ثم قرأ عليّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١)، فقام الشيخ تلقاء وجهه، ثم قال:

أنت الإمام الذي نرجوا بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه إحساناً^(٢)

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال لي رسول الله ﷺ: (أشقى

الخلق قدار بن قدير عاقر ناقة صالح، وقاتل عليّ بن أبي طالب).

[ثم] قال ابن عباس: ولقد أمطرت السماء يوم قتل عليّ دماً يومين

(١) سورة الإسراء/٢٣.

(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ٢٣١/٣.

متتابعين»^(١).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (لوددتُ أنها في قلب كلِّ إنسان من أمتي - يعني: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^(٢) -))^(٣).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال: جزى الله محمداً عنا ما هو أهله، أتعب سبعين كاتباً ألف صباح)، وقد رواه عن عكرمة جعفر بن محمد = الصادق عليه السلام^(٤)).

أقول: لا مجال لاحتمال أن يكون عكرمة الرواي لهذه الأخبار، هو عكرمة البربري الخارجي الذي يقول بقول الخوارج.

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: إن الله فضل محمداً على أهل السماء وعلى أهل الأرض.

فقال له رجل: يا بن عباس! وما فضله على أهل السماء؟

قال: إن الله عز وجل يقول لأهل السماء: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾^(٥)، وقال الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا

(١) شواهد التنزيل ٣٤٣/٢ برقم ١١٠٧.

(٢) سورة الملك/١.

(٣) معجم الطبراني الكبير ١٩٣/١١ برقم ١١٦١٦.

(٤) معجم الطبراني الكبير ١٦٥/١١ برقم ١١٥٠٩.

(٥) سورة الأنبياء/٢٩.

تَأْخِرَ^(١) الْآيَةَ.

ف قيل له: يا أبا عَبَّاس! فما فضله على الأنبياء؟

قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾^(٢)، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣)، فأرسله الله إلى الإنس والجن.

قال محقق معجم الطبراني: قال في المجمع (٢٥٥/٨) ورجاله رجال الصحيح غير الحكم بن أبان وهو ثقة، ورواه أبو يعلى باختصار كثير^(٤).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: بينما رسول الله ﷺ يجالس مع خديجة، إذ أتاه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد! اقرأ خديجة مني السلام وبشرها بيت في الجنة من قصب، لا أذى فيه ولا نصب))^(٥).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال علي: يا رسول الله! إنك قلت لي يوم أحد حين أخرت عن الشهادة، واستشهد من استشهد: (إن الشهادة من ورائك)).

قال: (كيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه؟) وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه.

(١) سورة الفتح/ ١ - ٢.

(٢) سورة إبراهيم/ ٤.

(٣) سورة سبأ/ ٢٨.

(٤) معجم الطبراني الكبير ١٩١/١١ برقم ١١٦١٠.

(٥) معجم الطبراني الكبير ٢٤٣/١١ برقم ١١٨١٨.

فقال عليّ: أما بيّنت ما بيّنت فليس ذلك من مواطن الصبر ولكن هو من مواطن الشكر والكرامة»^(١).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: أقبل عليّ من اليمن، فلقي رسول الله بالجحفة، فقال: (بما أحرمت يا عليّ؟) قال: بمثل الذي أحرمت به يا رسول. فأشركه في بُدنه»^(٢).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس: إنّ رسول الله ﷺ كان يلبس خاتمه في يمينه»^(٣).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس: إنّ عمرو بن العاص صلّى بالناس وهو جنب، فلمّا قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له، فدعاه رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك؟

فقال: يا رسول الله! خشيت أن يقتلني البرد، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٤)، فسكت عنه رسول الله ﷺ»^(٥).

(١) معجم الطبراني الكبير ٢٩٥/١١ برقم ١٢٠٤٣.

(٢) معجم الطبراني الكبير ١٨٤/١١ برقم ١١٥٨٤.

(٣) معجم الطبراني الكبير ١٨٦/١١ برقم ١١٥٨٩.

(٤) سورة النساء/٢٩.

(٥) معجم الطبراني الكبير ١٨٧/١١ برقم ١١٥٩٣، راجع كتابي عليّ إمام البررة ١٢٩/٣ - ١٨٠ في ذكر غزوة ذات السلاسل ستجد تفصيل ما جرى فيها من أحداث، حريّ بالمراجع الرجوع إلى المصدر، ليرى مدى التعظيم على الحقائق لحساب الحاكمين.

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس: إِنَّ عَلِيًّا كَانَ يَقُولُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «أَفْإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ»^(١)، والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قُتِلَ لأقاتلنَّ على ما قاتل عليه حتَّى أموت أو أقتل، والله إنِّي لأخوه وولِّيّه ووارثه وابن عمّه، ومن أحقَّ به منِّي))^(٢).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ خَيْلًا فَأَسْهَبَتْ شَهْرًا، لَمْ يَأْتِ مِنْهَا خَيْرٌ، فَتَزَلَّتْ: «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا»^(٣)، ضَبَحَتْ بِمَنَاخِرِهَا... إِلَى آخِرِ السُّورَةِ))^(٤).

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: (ليس في المفصل سجدة) قال عكرمة - فلقيت أبا عبيدة فذكرت له ما قال ابن عباس: ((ليس في المفصل سجدة))، قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود - سجد رسول الله ﷺ والمؤمنون والمشركون في النجم فلم نزل نسجد بعده))^(٥).

(١) سورة آل عمران/١٤٤.

(٢) وهذا الحديث أخرجه النسائي في الخصائص ص ٦١ برقم ٦٥، تح الداني بن منير الزهوي، ط المكتبة العصرية صيدا بيروت، وفي ص ٨٠ - ٨٣ من طبعة المعلق بالكويت تح أحمد ميرين البلوشي سنة ١٤٠٦هـ والحاكم في المستدرک ١٢٦/٣، وابن أبي حاتم في التفسير ٢٦١/٧٧٧/٣، والقطيعي في زوائد مسند أحمد برقم ١١١٠، والحموي في فرائد السمطين ٤٢٤/١، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٤٢٤/١.

(٣) سورة العاديات/١.

(٤) أسباب النزول للواحدي في سورة والعاديات ضبحا.

(٥) راجع الجزء ٧ من الموسوعة ص ٤٠٧، نقلا عن السنن الكبرى للبيهقي ٣١٤/٢.

- ((عن عكرمة، عن ابن عباس: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِيهَا - النِّجْم - وَسَجَدَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَالْمَشْرِكُونَ وَالْجَنِّ وَالْإِنْسَ)). وهذا رواه البخاري في صحيحه^(١).

- ((عن عكرمة: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنِ السُّجُودِ فِي سُورَةِ (ص)؟ فقال: لَيْسَ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْجُدُ فِيهَا))، كسابقه في البخاري^(٢).

فهذه أربعون حديثاً وردت عن عكرمة عن ابن عباس، وهي عندي أشبه أن تكون من روايات عكرمة المستقيم، إذ لا يعقل أن يروي عكرمة البربري الخارجي وهو من - الخوارج الذين كفروا علياً عليه السلام منذ أيام التحكيم - ابن عباس قال: ((فرض الله الاستغفار لعلي في القرآن على كل مسلم، قال: وهو قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٣)، وهو السابق)).

وابن عباس هو الذي قال: ((كنت مع علي بن أبي طالب فمرّ بقوم يدعون، فقال: ادعوا لي فإنه أمرتم بالدعاء لي، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، وأنا أول المؤمنين إيماناً^(٤))).

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة الحشر/ ١٠.

(٤) أخرجه والذي قبله الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢٤٩/٢ - ٢٥٠، ومن الطريف أنه

ولقد مرّ بنا برقم (١٣) حديث عكرمة غمز فيه ابن عساكر سنداً، وأنا وثّقتُه متناً بما رواه ابن المغازلي وغيره ممّا يشابه المتن، ولمّا كان أبو نعيم قد روى ذلك الحديث في (حلية الأولياء) في آخر ترجمة الإمام السَّيِّدِ فِي (ج ١ ص ٨٦) بإسناده: ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنا لهم الله شفّاعتي)، ولم يغمز فيه سنداً، ولكنّه إذ لم يهضمه متناً، لما فيه من تهديد ووعيد للمكذّبين بفضل أهل البيت السَّيِّدِ فَقَالَ - أبو نعيم - فالمحقّقون بموالاته العترة الطيبة هم الذُّبُلُ الشفاه، المفترشوا الجباه، الأذلاء في نفوسهم الفُناة، المفارقون لمؤثري الدنيا من الطغاة، هم الذين خلّعوا الراحة، وزهدوا في لذّذ الشهوات وأنواع الأُطعمة وألوان الأشربة، فدرجوا على منهاج المرسلين، والأولياء من الصّدّيقين، ورفضوا الزائل الفاني، ورغبوا في الزائد الباقي، في جوار المنعم المفضال، مولى الأيادي والنوال.

ونحن أيضاً نقول لأبي نعيم: إنّ ما ذكرته من تحقيق معنى الموالات لا



روى هذا الحديث بسنده إلى المأمون العباسي، عن أبيه الرشيد، عن أبيه المهدي، عن أبيه المنصور، عن أبيه، عن أبيه، عن عبد الله بن عباس، ورواية المأمون عن آبائه إلى المنصور كلّها سماعاً بالتحديث الخاص.

كلام لنا فيه، ولكنه لم يكن هذا في الحديث، وإنما الحديث فيمن كذب
بفضلهم، والدعاء عليهم بالويل، والثبور أن لا تنالهم شفاعة النبي ﷺ، فلماذا
أغمضت عينك عن ذكر هذا؟!

إنها المعايير المزدوجة على حد قول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليله كما إن عين السخط تبدي المساويا

وإن علياً عليه السلام صاحب الترجمة قد قال من قبل: (واعلموا أنكم لن
تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى
تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك
من عند أهله، فإنهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم
عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين
ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق)^(١).

ومن أكاذيب عكرمة البربري الخارجي ما زعمه في مسألة عقوبة
المرتد بالتحريق، فقد رواها وجعل من ابن عباس نداً لعل عليه السلام، ونقاشاً
بينهما، ورجوع علي عليه السلام عن فتياه إلى قول ابن عباس، وقد مرّ الكلام في
هذا في الجزء الثامن^(٢)، والخامس عشر^(٣) من الموسوعة؛ فراجع.

(١) نهج البلاغة ٤٣/٢ الخطبة ١٤٥/ شرح محمد عبده.

(٢) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء الثامن، الفصل الثالث، عقوبة التحريق بين التصديق
والتلفيق.

(٣) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء الخامس عشر، الرسالة السادسة عشرة/كتاب الحدود.

كما مرّ في الجزء التاسع من أكاذيبه على ابن عبّاس نسبة القول له
بالرؤية البصرية للذات الالهية^(١)؛ فراجع تجد المناقشة في صحّة هذا الخبر،
وكم لهذا من نظير.

ولنختم هذا الفصل بشيء عن الخصاصة التي عاشها المسلمون
الأولون، وما عاناه رسول الله ﷺ والذين معه من المهاجرين، وما كان من
مفادات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لرفع تلك المعاناة، وهذا ممّا انفرد به دون
غيره من الصحابة كبقية من مواقفه الشريفة سلام الله عليه، حتّى أنزل الله
تعالى في أهل بيته قرآناً يتلى إلى يوم القيامة^(٢).

(١) موسوعة عبد الله بن عبّاس، الجزء التاسع، المبحث الثالث/محاورات ابن عبّاس مع رموز
الناكثين/نور على الدرب.

(٢) راجع التفاسير: كشاف الزمخشري ١٩٧/٤، والتفسير الكبير للرازي ٢٤٤/٣، والدر المنثور
للسيوطي ٤٨٥/٦ وروح المعاني للآلوسي ٢٧٠/٢٩، وقال: ذكره الواحد في البسيط
وشواهد التنزيل ٣٩٨/٢ ط الأولى وغيرها تجد نزول الآيات ٢٢، ٥٠ من سورة هل أتى في
علي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام، ولا حظ.

لك الله يا علي، قصاصة في الخصاصة

حذّف^(١) وخلاصة، من أخبار الخصاصة، من خلال آيات كريمة، تحكي ماضٍ مجيد، ومجد عتيق، وتاريخ مفيد، قال الله تعالى في سورة الحشر:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

١- أخرج الحاكم الحسكاني الحنفي النيسابوري في كتابه (شواهد التنزيل لقواعد التفضيل)^(٣) بإسناده: ((عن أبي هريرة، قال: إن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجوع، فبعث إلى بيوت أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء.

(١) حذّف في قوله أوجزه وأسرع فيه (المصباح المنير: حذّف).

(٢) سورة الحشر/٨ - ١٠.

(٣) شواهد التنزيل ٢٤٦/٢ برقم ٩٧٠.

فقال ﷺ: من لهذا الليلة؟

فقال عليّ: أنا يا رسول الله! فأتى فاطمة فأعلمها.

فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، ولكنّا نؤثر به ضيفنا.

فقال عليّ: نوّمي الصبية، وأنا أطفئ للضيف السراج، ففعلت وعشّى الضيف، فلما أصبح، أنزل الله عليهم هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ...﴾، الآية.

٢- وأخرج أيضاً بإسناده: ((عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، قال: نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام))^(١).

٣- وأخرج ثالثاً، بإسناده: ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: فرض الله الاستغفار لعليّ في القرآن على كل مسلم، قال: وهو قوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، وهو السابق))^(٢).

٤- وأخرج رابعاً، بإسناده: ((عن المأمون العباسي، عن أبيه الرشيد، عن أبيه المهدي، عن أبيه المنصور، عن أبيه [عبد الله]، عن أبيه [علي بن عبد الله]، عن عبد الله بن عباس، قال: كنت مع عليّ بن أبي طالب، فمرّ بقوم يدعون، فقال: (ادعوا لي فإنه أمرتم بالدعاء لي، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾،

(١) شواهد التنزيل ٢٤٧/٢ برقم ٩٧١.

(٢) شواهد التنزيل ٢٤٩/٢.

وأنا أول المؤمنين إيماناً»^(١).

أقول: وقد أخرج الخبر الأول السيوطي الشافعي في تفسيره (الدر المنثور) نقلاً عن ابن أبي شيبة، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم - النيسابوري - وابن مردويه، والبيهقي في (الأسماء والصفات)، - جميعاً - ((عن أبي هريرة، قال: أتى رجل لرسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهم شيئاً، فقال: (ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله تعالى)).

فقال رجل من الأنصار - وفي رواية فقال أبو طلحة الأنصاري -: أنا يا رسول الله! فذهب به إلى أهله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ لا تدخرين شيئاً.

قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية.

قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوّمهم وتعالى، فاطفى السراج ونطوي بطوننا الليلة لضيف رسول الله ﷺ، ففعلت، ثم غدا الضيف على النبي ﷺ.

فقال: لقد عجب الله من فلان وفلانة، وأنزل الله فيهما: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢).

فهل هذا الخبر هو الخبر الأول، وجرى عليه التحريف والتخريف؟ أم أنّ الواقعة متعددة؟! أم أنّ راوية الإسلام أبا هريرة هو الذي غير وبدل

(١) شواهد التنزيل ٢/٢٤٩ - ٢٥٠ برقم ٩٧٤.

(٢) الدر المنثور ١٠١/٨ - ١٠٢، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

الأسماء والأدوار تبعاً لهواه؟!

كيف ما شئت فقل وذنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر، فإنّ عسر الحياة بالمدينة المنورة على المهاجرين في أوائل سنيّ الهجرة كان أمراً معلوماً، والشواهد عليه كثيرة، وبالرغم من تعاطف الأنصار مع المهاجرين، وبعد المؤاخاة التي دعا إليها النبي ﷺ، فقد كان يسرّ بعد عسر عند بعضهم، ولكن شظف العيش هو الغالب على المهاجرين، حتّى قال النبي ﷺ داعياً لهم على الصبر: (من صبر على لأواها وشدّتها - يعني المدينة - كنت له شفيعاً) ^(١).

ولولا تلك المواساة، وروايات الترغيب لانفرط عقد المجتمع الإسلامي، لشدة مقاساة الجوع الذي كانوا يعانون منه، وفي مصادر التراث شواهد معاناة النخب المنظورة من الجوع، حتّى كانوا يخرجون وسط النهار في الحرّ اللاهب إلى المسجد النبويّ، عسى أن يجدوا النبي ﷺ أو أحداً من المسلمين فيفرّج عنهم ما هم فيه.

أولم يُخرج مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن مردويه، كلّهم: ((عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟

قالا: الجوع يا رسول الله!

قال: والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، فقوموا، فقاما معه فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأت المرأة قالت: مرحباً وأهلاً.

(١) موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣٥/٨.

فقال النبي ﷺ: أين فلان؟

قالت: انطلق يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى النبي ﷺ وصاحبيه، فقال: الحمد لله ما أحد أكرم أضيفاً مني، فانطلق فجاء بعدق فيه بسر وتمر، فقال: كلوا من هذا، وأخذ المدينة. فقال له رسول الله ﷺ: إياك والحلوب.

فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلمّا شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: والذي نفسي بيده لتسألنّ عن هذا النعيم يوم القيامة^(١). انتهى ما أخرجه الحفاظ عن أبي هريرة ولم يعقب أحد منهم على روايته.

فهل كان هو في المسجد أيضاً وأخرجه الجوع فرأى وسمع ما جرى في المسجد، ثمّ تبع النبي ﷺ والشيخين إلى بيت الأنصاري، فرأى وسمع ما جرى هناك؟ أم أنّ النبي ﷺ أو أحد الشيخين حدّثه بما جرى؟ - ولمّا كان الرجل معروفاً بالنهم وقد حدّث هو عن نفسه بأن كان يقع من شدّة الجوع بين المنبر والقبر - فلا نتهمه بالوضع، بل كان معهم، ولعلّه سمع ذلك من عمر كما سمع ابن عباس ذلك من عمر؛ وحديثه أخرجه ابن المنذر، والبزار، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في (الدلائل): «عن ابن عباس: أنّه سمع عمر بن الخطّاب يقول: إنّ رسول الله ﷺ خرج يوماً عند الظهيرة فوجد أبا بكر في المسجد جالساً.

(١) تفسير الدرّ المنثور ٥٦٠/٨، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟

قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله.

ثم إنَّ عمر جاء، فقال رسول الله ﷺ: يا بن الخطاب! ما أخرجك هذه الساعة؟

قال: أخرجني الذي أخرجكما.

فقال رسول الله ﷺ: هل بكما من قوّة فتنتلقان إلى هذا النخل فتصيبان من طعام وشراب؟

فقلنا: نعم يا رسول الله ﷺ! فانطلقنا حتّى أتينا منزل مالك بن النّيهان أبي الهيثم الأنصاري^(١).

وأخرج ابن حبان، وابن مردويه هذا عن ابن عباس بأوسع ممّا مرّ، وأنّ الضيافة كانت في منزل أبي أيوب الأنصاري، ولا حاجة لنا فيها، وقد روى خبرها آخرون من الصحابة، ومنهم: أبو عسيب مولى النبي ﷺ، وهو الذي ذكر أنّ النبي ﷺ قال: (لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة)، فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتّى تناثر البسر، ثمّ قال: يا رسول الله! إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: (نعم إلّا من ثلاث: كسرة يسدّ به الرجل جوعته، أو ثوب يستر به عورته، أو حجر يدخل فيه من الحرّ والبرد)^(٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) تفسير الدرّ المنثور ٥٦١/٨.

وقد روى تسخّط الصحابة لما نزلت هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١) جمع من الحفاظ وأئمة الحديث، عن جماعة من الصحابة، قالوا: يا رسول الله عن أيّ نعيم نُسأل؟ وإنّما هما الأسودان الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا والعدوّ حاضر، فعن أيّ نعيم نُسأل؟ قال: (أما إن ذلك سيكون)^(٢).

وكان من الأسماء اللامعة في الصحابة من المتسخّطين عمر والزبير، ومن الذين رويوا حالهم باستحياء، فقالوا: (قال الصحاب)، أو (قال الناس)، محمود بن لبيد، وأبو هريرة، وصفوان بن سليم، وأبو الدرداء، وابن الزبير، وهو الذي سمّى أباه الزبير في المتسخّطين، وأنّه هو صاحب المقالة التي مرّت من دون اسم.

ومهما كان، ومن كانوا؟ لا يعنينا كثيراً بقدر ما تعنينا معرفة السبب الذي غيّب أهل البيت وعلى رأسهم عليّ بن أبي طالب وغيره عن ذلك النعيم الذي قال عنه جابر بن عبد الله: ((جاءنا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فأطعمناهم رطباً وسقيناهم ماء، فقال رسول الله ﷺ: (هذا من النعيم الذي تسألون عنه)))^(٣).

وفي هذه الأخبار وغيرها نحو تعميم على أسماء الصحابة المتسخّطين

(١) سورة التكاثر/٨.

(٢) تفسير الدرّ المنثور ٥٨٨/٨.

(٣) الدرّ المنثور ٥٦٠/٨.

الذين كبرت عليهم كلمة النبي ﷺ في النعيم الذي يسألون عنه في القيامة، فلم يذكر إلا اسم أبي بكر وعمر من المهاجرين الذين كانوا مع النبي ﷺ في الضيافات اللاتي كانت في بيت أبي أيوب، أو في بيت أبي الهيثم بن التيهان، أو في بيت جابر، فلماذا لم أجد في بيت واحد من هؤلاء سوى أبي بكر وعمر كانا مع النبي ﷺ؟!

لهذا طفح السؤال الذي فرض نفسه: ما بال بقية العشرة المبشرة بالجنة - كما يسمون - لم يحضر منهم أحد حتى علي بن أبي طالب الذي هو أشد لصوقاً بالنبي ﷺ من غيره وأولاهم به؟! فهل كانوا شباعاً حين كان النبي ﷺ والشيخان جياعاً؟ إنها سحابة الظنون التي تمطر من المسائل ما يظنون وما لا يعلمون حول من هم الصحابة الذين كانوا من الفقر يعانون، وبأيهم كان رواة المناقب يفتنون؟ ممن خالفهم الحظ ولم يحالفهم لحضور ذلك النعيم. ومهما تهضمنا فارغ الأعذار عن بقية رجال الأنصار الذين قاسموا المهاجرين ثمرات بساتينهم وأشركوهم في مصادر أرزاقهم، وأغمضنا النظر عما يروون من إنفاق أبي بكر أمواله المودعة في صدور الرواة - (ولا يعلم الغيب إلا الله) - فصار حاله كحال النبي ﷺ الذي لا يجد طعاماً يسد فورة جوعه، وكحال عمر الذي كان معهما في حالي الجوع والشبع إلا أنه لم يكن راضياً بالتسليم لما قاله ﷺ: (إن هذا من النعيم)، وأخذ العذق - غاضباً ومغاضباً - فضرب به الأرض حتى تناثر البسر!

فاللافت للنظر! لماذا لم يدعوا النبي ﷺ علياً معهم إلى تلك الضيافات ولو لمرة واحدة؟! ولا واحداً من بقية العشرة المبشرة؟! أوليس علي عليه السلام هو

صاحب الخصاصة التي وصف حاله فيها بما يشجي أقسى القلوب حتى يذوب، فلنقرأ ما قال:

١- روى الزبير بن بكار في (الأخبار الموقّيات)، بسنده: ((عن محمد ابن كعب القرظي، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لقد غدوت في غداة شانية جائعاً خصبيراً^(١)، وأيم الله لو كان في بيت النبي صلى الله عليه وآله طعام لأطعمت منه، وقد أخذت إهاباً معطوناً^(٢) فجئت وسطه ثم شددته عليّ بخوص ليدفني، التمس كسباً لعلّي أجد شيئاً آكله، فمررت بيهودي وهو في حائط له ينزع منه بيده يسقيه، فاطعلت عليه من ثلثة في الحائط.

قال: يا أعرابي مالك؟ هل لك في كلّ دلو تمرّة؟

فقلت: نعم، افتح الباب، ففتحه لي، فدخلت، فأعطاني دلوّاً فجعلت كلّما نزعت دلوّاً أعطاني تمرّة، حتى إذا امتلأت كفيّ طرحت إليه دلوّه، وقلت: حسبي، ثم أكلتهنّ وحمدت الله، وشربت من الماء الذي نزعته منه بكفي حتى رويت، ثم أقبلت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدته في المسجد جالساً مع الناس، فجلست إليه، فبينما نحن عنده إذ طلع مصعب بن عمير^(٣) في بردة له خلق مرقوعة بفرو، قال: فجاء وهو مستحي يتقصى الناس

(١) الخصبير من الخَصَرَ بالتحريك البرد، وقد خَصَرَ الرجل إذا آلمه البرد في أطرافه.

(٢) الإهاب المعطون: الجلد المدبوغ.

(٣) مصعب بن عمير من أجلاء الصحابة وفضلائهم، هاجر إلى الحبشة في أوّل من هاجر إليها، ثم عاد، وهو من السابقين إلى الإسلام، أسلم بعد دخول النبي صلى الله عليه وآله دار الأرقم، وكان فتى مكّة شاباً وجمالاً وتيهاً، وكان أبواه يحبّانه، فكانت أمّه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب،

حتى جلس في أدناهم، وراه رسول الله ﷺ فذكر ما كان فيه من النعمة، وذكر ما أصابه من الجهد في الإسلام.

قال: فذرفت عينا رسول الله ﷺ، ثم قال: (توشكون أن يغدو أحدكم في جفنة ويروح في أخرى، وأن يُغدا على أحدكم بجفنة ويراح عليه بأخرى، ويستر بيته كما يستر الكعبة، أفإنكم يومئذ خير، أم أنتم اليوم)؟

قال: قلنا: يا نبي الله! نحن يومئذ خير منّا اليوم، كفينا المؤنة فتفرغنا للعبادة.

قال: (بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ))^(١).

٢- وإليك رواية مشهدة آخر من مشاهد الخصاصة كابده عليّ ﷺ كما كابده النبي ﷺ، فأنقذه عليّ ﷺ بما قاساه من عمل، فقد روى محمد بن سليمان الكوفي في (مناقبه) بسنده: ((عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: بلغ

⇨

وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرمي من النعال، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: (ما رأيت بمكة أحسن لمة، ولا أرق حلة، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير)، وقد بعثه النبي ﷺ إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية، يقرئهم القرآن، ويفقههم في الدين شهد بداراً وأحداً واستشهد بأحد، ولم يكن له إلا نمرة إذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: (غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه من الأذخر)، نقلاً عن الاستيعاب والإصابة في ترجمته. فهل عرفنا لماذا ذرفت عينا رسول الله ﷺ يومئذ حين رأى مصعب ﷺ في بردة مرفوعة بفروة، ومات شهيداً ولم يكن له إلا نمرة تقصر عن ستر بدنه!

(١) الأخبار الموقفيات: ٣٧٣ برقم ٢٢٩، ط الأوقاف بغداد.

عليّ بن أبي طالب أنّ رسول الله ﷺ أصابته خصاصة، فخرج يلتمس عملاً يصيب به شيئاً ليغيث به رسول الله ﷺ، فأتى رجلاً من اليهود وقد استسقى له تسعة عشر دلوّاً، كلّ دلو بتمرة، فجاء بها عليّ إلى النبي ﷺ.

فقال ﷺ: من أين لك هذا يا أبا الحسن؟

قال: بلغني ما بك فخرجت ألتمس عملاً أصيب به لك طعاماً.

قال: حملك على هذا حبّ الله ورسوله؟

قال: نعم.

قال: (من أحبّ الله ورسوله فليعدّ للبلاء تجفافاً^(١))).^(٢)

٣- ولقد تكرر هذا من فعل الإمام عليّ عليه السلام غير مرّة، فقد روى محمد بن سليمان الكوفي أيضاً في (مناقبه)، بإسناده، قال: ((بيننا النبي ﷺ عنده نفر من أصحابه وقد مسّهم الجوع، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عند امرأة منهنّ شيئاً، فبينما هو كذلك إذا هم بعليّ قد أقبل أشعث مغبراً، حاملاً على عاتقه قريباً من صاع من تمر قد عمل بيده، فوضعه بين يدي النبي ﷺ).

فقال النبي ﷺ: (مرحباً بالحامل والمحمول)، ثمّ أجلسه فنفض عن رأسه من التراب، ثمّ قال: (مرحباً بأبي تراب) فقربه، فأكلوا حتّى صدروا

(١) التجفاف: تفعال بالكسر شيء تلبّسه الفرس عند الحرب كأنه درع.. قال ابن الجواليقي:

التجفاف معرّب، ومعناه: ثوب البدن وهو الذي يسمّى في عصرنا برقصطان، المصباح

المنير ١/١٤٢، ط ٤ الأميرية بولاق.

(٢) المناقب ٢/٤٨٧ برقم ١١٢٢.

- يعني شعبوا - ثم أرسل إلى نسائه إلى كل واحدة منهن طائفة منه^(١).

٤- ومرة رابعة فيما رواه أحمد، بإسناده: ((عن إسماعيل بن إبراهيم: قال علي^{عليه السلام}: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرأ^(٢) فظننتها تريد بله، فأتيها فقاطعتها كل ذنوب^(٣) على تمر، فمددت ستة عشر ذنوباً حتى مجلت يداي، ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت: بكفي هكذا بين يديها - ومد إسماعيل أحد الرواة يديه - فعدت لي ست عشرة تمر، فأتي النبي^{صلى الله عليه وسلم} فأخبرته، فأكل معي منها^(٤)).

٥- ومرة خامسة أخرجها أبو نعيم في (الحلية)^(٥)، وأحمد في (الفضائل) عن مجاهد، وصاحب مسند العشرة، جميعاً: ((عن محمد بن كعب القرظي: أن أمير المؤمنين رأى أثر الجوع في وجه النبي^{صلى الله عليه وسلم}، فأخذ أهاباً فحوى وسطه، وأدخله في عنقه، وشد وسطه بخوص نخل، وهو شديد الجوع، فاطلع على رجل يستقي بكرة، فقال: هل لك في كل دلو بتمر؟

فقال: نعم، فنزع له حتى امتلأ كفه، ثم أرسل الدلو فجاء بها إلى النبي^{صلى الله عليه وسلم}).

(١) المناقب ٦٣٤/١ برقم ٥١٢، وفي ٧٢٢ برقم ٥٨٨.

(٢) المدر جمع مدرة، مثل قصب وقصبة وهو التراب المتلبّد، قال الأزهري، المدر قطع الطين، وبعضهم يقول: الطين العلك الذي لا يخالطه رمل، المصباح المنير ٧٧٧/٢، ط بولاق.

(٣) الذنوب وزان رسول الدلو العظيمة، قالوا: ولا تسمى ذنوباً حتى تكون مملوءة ماء.

(٤) في مسنده في مسند علي رقم ١١٣٥.

(٥) الحلية ٧١/١.

وهذا هو ما نظمته الحميري بقوله:

حدثنا وهب وكان امرؤاً	يصدق بالمنطق عن جابر
إنّ عليّاً عاين المصطفى	ذا الوحي من مقتدر قادر
عاينه من جوعه مطرقاً	صلّى عليه الله من صابر
وضل كالواله ممّاراً	بصهره ذي النسب الفاخر
يجول إذ مرّ بذي حائط	يسقي بدلو غير مستأجر
قال له ما أنت لي جاعل	بكلّ دلو مترع ظاهر
فقال: ما عندي سوى ثمرة	بكلّ دلو غير ما غادر
فانتزع الدلو إمام الهدى	يسقى به الماء من الخاسر
حتّى استقى عشرين دلوّاً على	عشر بقول العالم الخابر
ثمّ أتى بالتمر يسعى به	إلى أخيه غير مستأثر
فقال ما هذا الذي جئنا	به هداك الله من زائر
فاقتصّ ما قد كان من أمره	في عاجل الأمر وفي الآخر
فضمّه ثمّ دعا ربّه	له بخير دائم ماطر ^(١)

٦- وأخيراً ما رواه أبو نعيم أيضاً في (الحلية)، بسنده: ((عن محمد بن كعب، قال: سمعت عليّاً يقول: (لقد رأيتني أربط الحجر على بطني من شدة الجوع على عهد رسول الله ﷺ، وإن صدقتي اليوم لأربعون ألف دينار)))^(٢).

(١) ديوان السيّد الحميري: ٢٤٥، تح شاكر هادي شاكر من منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

(٢) الحلية ٨٥/١

وختاماً لقد صدق الله تعالى ورسوله ﷺ وصدق عليّ ﷺ.
 فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۖ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾^(١).
 وقال رسول الله ﷺ: (أنتم اليوم خير منكم يومئذ).
 وقال عليّ ﷺ في آخر كتابه إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة:
 (... ولا تكن عند النعماء بطرا، ولا عند البأساء فشلا).

(١) سورة العلق/٦ - ٧.

الفصل الثاني

من جنايات

المستشرقين على ابن عباس رضي الله عنه

لقد تجنّى بعض المستشرقين على ابن عباس رضي الله عنه - عن سوء قصد أو عن غير قصد - إذ لم يفهموه على حقيقته، فنظروه بمنظارهم، فلم يزنوه بموازين عصره، في أهل بيته، ولا بموازين بيئته، فأساءوا فهمه، وجعلوه في ثقافته التفسيرية مديناً لبعض أهل الكتاب ممّن أظهروا الإسلام فيما عندهم، وتبع أولئك المستشرقين بعض من تأثر بهم في آرائهم ممّن تثقّفوا عندهم، فقالوا في ابن عباس: «عن طريقه تسرّبت الإسرائيليات إلى التراث الإسلامي في التفسير»، وهذه تهمة قد مرّ ذكرها والجواب عليها في الحلقة الثانية من الموسوعة، فقد ذكرت ينابيع معرفته، وكذب تلك الأطروحة - أخذه عن أهل الكتاب - وسمّيت النفر الذين زعم المستشرقون أنّ ابن عباس استمدّ منهم بعض معارفه، فقالوا: «(استخدم روايات أهل الكتاب في تفسير القرآن)»^(١)، ولا أتجنّى عليهم، ومن رام المزيد فليقرأ ما كتبه المستشرق اليهودي جولدتسيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)، وقد ترجم كتابه هذا إلى العربية مرّتين:

الأولى: قام بها علي حسن عبد القادر، وطبعت لأوّل مرّة بالقاهرة سنة

(١) تاريخ الأدب العربي ٧/٤ الترجمة العربية، ط دار المعارف المصرية، انظر كايثاني، وبوהל، وجولدتسيهر، وشوالي ص ٧ من المصدر.

١٩٤٤م، وقد اعتمدها المرحوم الدكتور جواد علي في بحثه القيم: (موارد تاريخ الطبري)، المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ من السنة الأولى بدءاً من صفحة (١٥٠)، وذكر في الهامش أنه سيرمز إليها بـ(المذاهب) فيما سيذكره عنها من النصوص.

أمّا الترجمة الثانية: فقد قام بها الدكتور عبد الحليم النجّار، ونشرت ترجمته مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد (سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).

وقد وجدت تفاوتاً ما بين الترجمتين! وزاد في معانتي التفاوت بينهما وبين ما نقله الدكتور محمد باقر حجّتي عن أصل كتاب جولدتسيهر ترجمة النجّار، وهذا ما جعلني في حيرة من أمر كتاب ذلك المستشرق الهولندي (اليهودي) الذي نسبت إليه آراء شاذّة حول ابن عباس عليه السلام، ومع هذا فلا بدّ من احتمال المعاناة في المقارنة بين ما جاء في الترجمتين وما كتبه حجّتي في مناقشة جولدتسيهر في اتّهامه لابن عباس، ولم يكن هذا المستشرق هو الوحيد الذي غمَزَ وهَمَزَ، بل هناك أيضاً أمثاله من المستشرقين ممّن تحامل بظلم عن سوء نيّة - وهو الأقرب إلى واقع أبناء الصليب والصهيونية الحانقة على الإسلام والمسلمين، منذ أيام الإسلام الأولى وحتى يومنا الحاضر - .

ولمّا كان ابن عباس عليه السلام من أسرة نبيّ الإسلام، ومن المقرّبين المبرزين من المسلمين إلى حظيرة نبيّ الإسلام وآله في معارفه، فلم لا تستهدفه سهام المستشرقين؟ ولو ببهتان يفترونه بهتاناً عظيماً، وقد بلغت القحّة ببعضهم

فقال إذ يتحدث عن مدرسة ابن عباس فسمّاها: (ذات المسحة اليهودية)، وقال آخر: «وفي كلّ مشكلات التفسير يبدو ابن عباس كأنه منبئ بأخبار الغيب، وأحياناً كأنه مظهر إلهي».

مع أنّ واقع ابن عباس خلاف ذلك كلّ، وما كان أحد من المسلمين يقول فيه شيئاً من ذلك، ولا يتفق ذلك الزعم مع عقيدة المسلمين مهما قالوا فيه من ثناء وإطراء، لكنّها القلوب المرضى لا تقبل واقع الحقائق، ألم يبهتوا النبي ﷺ بالعظائم؟ حتّى حكى القرآن المجيد مقالة أضرابهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

ومهما كانت مواقف المستشرقين من ابن عباس متشجّنة، فلا بدّ لي من ذكر بعضها لبيان ما بهتوه به من اتّهام باطل لما رأوه في بعض المصادر من روايات طاعنة، ولما كانوا في ثقافتهم يتفاوتون إدراكاً ومدارك، فقد نعذرهم حين نراهم يعتمدون المصادر الإسلامية، ولكن العتب باق حين ينظرون إلى العملة من وجه واحد، فينظروا الجارح دون المادح، وليستدخلوا السياسة في التاريخ، ويفسّروها حسب الأهواء التي يركنون إليها، وهذا ما أوقع العديد منهم في مطبّات غائرة وعائرة، ولما كانوا يختلفون زماناً ومكاناً، وسناً وشأناً، فلا غرابة لو وجدنا بعضهم يأخذ من بعض تقليداً ونادراً تجديداً، كما سيّضح هذا فيما يلي من عرض أقوالهم..

(١) سورة النحل/ ١٠٣.

وسأذكر من رأيته ينقد ابن عباس نقداً لاذعاً في حديثه وتفسيره، أو آدابه وسلوكه، وأهم ما نقدوه به هو:

- ١- في كثرة رواياته عن الرسول ﷺ مع صغر سنّه.
- ٢- في أخذه عن أهل الكتاب في تفسيره.
- ٣- التشكيك في معرفته بالشاهد الشعري على كثرة مسائل نافع بن الأزرق الخارجي.

٤- وأخيراً في سلوكه في ولايته بأخذه بيت مال البصرة. وهذه النقاط وقد مرّ الكلام حولها في أجزاء الموسوعة في حلقاتها الثلاث، ولا أطيل الوقوف فعلاً عندها جميعاً، إلا ما دعت الحاجة إليه.

أسماء المستشرقين الذين نقدوا ابن عباس عليه السلام:

- ١- أوتولوث (١٨٤٤ - ١٨٨١م).
- جاء في كتاب (المستشرقون)^(١): تخرّج بالعربية على فلايشر في ليزيغ، ونال الأستاذية برسالة عن ابن سعد، وهي أطروحته في الأستاذية (ليزيغ ١٨٦٩م)، والطبقات لابن سعد (المجلسة الشرقية الألمانية ٢٣)...
- حكى عنه جولدتسيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)، فقال: «ولم يعد أوتولوث شاكلة الصواب إذ يتحدّث عن مدرسة ابن عباس ذات المسحة اليهودية»^(٢).

(١) المستشرقون: ٧٠٥ نجيب العقيقي، ط دار المعارف بمصر.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ترجمة النجار ص ٨٧.

وقال فؤاد سزكين في (تاريخ التراث العربي): ((...هذان كعب الأحبار وعبد الله بن سلام... وصفهما لوث: بأنها لون يهودي في مدرسة ابن عباس))^(١).
 أقول: لقد مرّ في الحلقة الثانية الجزء السادس (شبهات كاذبة)^(٢) تفنيد هذه المزعمة، فعن كعب الأحبار فلم يأخذ عنه ابن عباس^(٣)، ولا عن عبد الله بن سلام^(٤)، ولا عن وهب بن منبه^(٥)، ولا عن أبي الجلد^(٦).

٢- شبرنجر الهولندي (١٨١٣ - ١٨٩٣م)^(٧).

حكى عنه تحامله البغيض المرحوم الدكتور جواد عليه في مقاله الممتع النافع (موارد تاريخ الطبري) المنشور في (مجلة المجمع العلمي العراقي)، فقال:

((...دفعت هذه المشكلة - التناقض والاختلاف الذي دوّنه الرواة في

(١) تاريخ التراث العربي ١/١٨١.

(٢) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء السادس، الباب الأول، الفصل الثاني/شبهات كاذبة.

(٣) راجع الموسوعة، الجزء السادس، الباب الأول، الفصل الثاني/هل أخذ ابن عباس عن كعب الأحبار.

(٤) راجع الموسوعة، الجزء السادس، الباب الأول، الفصل الثاني/هل أخذ ابن عباس من عبد الله ابن سلام.

(٥) راجع الموسوعة، الجزء السادس، الباب الأول، الفصل الثاني/هل أخذ ابن عباس من وهب ابن منبه.

(٦) راجع الموسوعة، الجزء السادس، الباب الأول، الفصل الثاني/هل أخذ ابن عباس من أبي الجلد.

(٧) المستشرقون: ٦٣١.

مادّة واحدة مثلاً من أقوال ابن عباس - شبرنكر إلى التحامل على ابن عباس فرماه بالكذب والبهتان، وأنا على يقين أنّه لو أعمل عقله ودرس هذه الأقوال المنسوبة إلى ابن عباس دراسة علمية دقيقة، ولو فكر في العوامل السياسية التي يمكن أن تكون هي المسؤولة أولاً عن ذلك، وهي لا تدخل في بحثنا هذا في زماننا.

أقول - والقائل هو المرحوم الدكتور جواد علي - لو فكّر في ذلك وتعمّق في البحث عن هذه الأسباب ما تسرّع في حكمه هذا الذي تخالفه أيسر قواعد الجرح والتعديل^(١) اهـ.

وأقول أنا: حسبنا بما كتبه المرحوم في نقده شبرنجر لتحامله على ابن

عباس عليه السلام

٣- يوليوس ولهوزن.

مستشرق الماني (١٨٤٤ - ١٩١٨م)، بدأ بدراسة اللاهوت لنقد التوراة، ثمّ تخرّج باللغات الشرقية على ايفالد في جوتنجن، فعّد من أشهر تلاميذه، وقد خلفه فيها، له آثار كثيرة، منها: كتاب (تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية) طبعه في برلين سنة ١٩٠٢م، وقد ترجمه إلى الانجليزية وير، وأضاف إليه فهرساً ط كلكتا سنة ١٩٢٧م، ونقله إلى العربية عن الألمانية، وعلّق عليه الدكتور محمّد عبد الهادي أبو ريده^(٢)،

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الأوّل من السنة الأولى في ص ٢١٢.

(٢) راجع الترجمة دكتور حسين مؤنس، وطبع في سلسلة (الألف كتاب) برقم ١٣٦ ط القاهرة

سنة ١٩٦٨م.

وكان قد سبق أن ترجمه الدكتور يوسف العش، وطبع بمطبعة الجامعة السورية ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، وبين الترجمتين بعض الفروق أشرت إلى بعضها في نسختي.

وقد تحامل هذا المستشرق على ابن عباس بظلم لا هوادة فيه، فقد قال في صفحة (١٠٣): «فأما الخلاف الأكبر الذي يتجلى فيه الغرض، فهو المتعلق بمسلك عبد الله بن عباس جد الأسرة العباسية، ولا غرو أنه في عهد الخلافة العباسية كان من يقول الحق عن هذا القديس يعرض نفسه للأذى، وعلى الأقل كان لا بدّ إمّا إظهار الدور الذي لعبه في صورة أحسن ممّا كان، أو السكوت عن هذا الدور جملة^(١)».

(١) يحكي سيف (١٤٤،٦) أنّ عبد الله بن عباس منذ كان في المدينة كان موضع ثقة عليّ، وكان دائماً يحضه النصيح، ولكن عليّاً لم يكن يستمع لنصيحته، ثمّ عيّن والياً على البصرة، وفي أيام ولايته استنفر الناس وبعث منهم جيشاً لمعونة عليّ (الطبري ج ٣٢٥٦ و ٣٣٧٠). ويحكي أبو مخنف أنّ ابن عباس قاتل قتال شديداً يوم صفّين، وكان على ميمنة جيش العراق (الطبري ج ١ ص ٣٢٨٦ - ٣٢٨٦ - ٣٢٨٩).

وكان عليّ يريد أن ينتدبه حَكَمًا في دومة الجندل (الطبري ج ٣٣٣٣/١)، ولكن عليّاً رغم أنّه لم يستطع ذلك، بعثه إلى الدومة، وكان يكاتبه (الطبري ج ٣٣٥٤/١) هو، متجاهلاً أبا موسى، ولكن أبا معشر (الطبري ج ٣٢٧٣/٢ س ١٦)، واليعقوبي (ج ٣/٢٥٤ س ٣) يقولان: أنّه في سنة (٣٣٦هـ) وأيضاً في سنة (٣٥هـ) كان أميراً على الحجّ، وعلى هذا فلا يمكن أن يكون قد اشترك في موقعة صفّين على الإطلاق، ولذلك لا تعجب المدائني هذه الرواية، فيقول: (الطبري ج ٣٤٤٨/١) متابعة لأبي معشر: إنّ عبد الله بن عباس لم يشهد الموسم في عمل حتّى قتل عليّ، وفي سنة ٣٨هـ خرج عبد الله من البصرة إلى عليّ بالكوفة لكي يعزّي بنفسه صديقه الحبيب في خسارته بفقد مصر، ولم يرجع إلى البصرة إلّا عندما انتقض الأمر في

ويؤخذ من رواية الزهري - وهو راوية من أقدم الرواة توفي قبل العصر العباسي - أنّ عبد الله بن عباس عرف ما أَراده الحسن من مصالحة معاوية فسبّقه وأخذ الأمان من معاوية، واشترط لنفسه على ما أصاب من أموال، ثمّ بعث إليه معاوية خيلاً عظيمة فخرج إليهم ليلاً حتّى لحق بهم، ونزل معسكر أهل الشام وترك الجيش الذي كان عليه بلا أمير، وعوانة يسكت في هذه النقطة.

أمّا يعقوبي فهو يذكر بدلاً من عبد الله المشهور أخاه الأصغر عبيد الله ابن عباس.

وقد عرف المدائني اختلاف الرواة حول ما إذا كان عبد الله، أو عبيد الله هو الذي انتقل إلى جانب معاوية أيام الحسن (الطبري ج ١/٣٤٥٦ وقارن



الولايات الفارسية، ووجه عبد الله زياد بن أبيه إلى فارس، وهذا ما يقوله المدائني (الطبري ج ١ ص ٣٤١٤، ٣٤٣٠، ٣٤٤٣، ٣٤٤٩).

ويحكي أبو مخنف غير ذلك (الطبري ج ١/٣٤١٣، ٣٤٤٧) فيقول: إنّ عبد الله بن عباس عزى عليّاً بكتاب بعث به إليه من البصرة، وأنّ الذي وجّه زياداً إلى فارس هو عليّ نفسه لا ابن عباس، ثمّ ظهر ابن عباس مرةً أخرى، لمّا أراد معاوية إكراه كبار الأشراف في المدينة على مبايعة ابنه يزيد، فيحكي المدائني (الطبري ١٧٦/٢، ١٧٥) أنّ خمسة نفر امتنعوا من البيعة، ويذكر منهم عبد الله بن عباس، ولكن معارضة ابن عباس هذه للطغيان، على ما فيها من بطولية لم تأت له بأية نتيجة، ولا بدّ أنه قد أوجعه كثيراً أنّ معاوية يريد تجاهله تماماً، وكذلك يتجاهله في هذه المسألة معظم الرواة.

عن هامش ص ١٠٣.

ص ٣٤٥٣^(١)، فليس الأمر إذاً مجرد خلافات في الاسم بين المخطوطات مرجعها إلى الناسخ^(٢)، والمدائني يقرّر أنّ الذي انتقل هو عبيد الله لا عبد الله، وتابعه في ذلك عمر بن شبة (الطبري ٣٤٥٣/١)، والصفحات التالية والبلاذري... ولكن عبيد الله كان والياً على اليمن من قبل عليّ، لمّا قاد بسر ابن أرطاة، جيش معاوية إلى هناك، ووقع ولدان صغيران له في يد بسر فذبّحهما، وأصيبت أمّهما بالجنون لذلك، ويقول الواقدي: أنّ هذه الحملة وقعت سنة ٤٢هـ ومعنى هذا أنّ عبيد الله كان ما يزال في اليمن في ذلك معادياً لمعاوية، فلا يمكن أن يكون قد انتقل إلى جانبه قبل ذلك بعام أو عامين.

ومهما يكن من شيء، فإنّه لا يمكن أن يكون الواقدي قد عرف شيئاً على الإطلاق عن هذا الانتقال.

أمّا عوانة فيقول: إنّ هذه الحملة وقعت في النصف من عام ٤٠هـ فلا يمكن أن يصدّق أحد أنّ عبيد الله يتعجّل إلى هذا الحدّ في مصالحة قاتل ولديه، على أنّه من الممكن معرفة الباعث الذي من أجله وضع اسم عبيد الله بدلاً من اسم عبد الله معرفة أسهل بكثير من العكس، فلم يكن يصحّ أن يظلّ لاحقاً بجدّ العباسيين - الذين عاش المدائني في أيامهم، وكان موالياً لهم - ذلك العار، وهو أن يكون أوّل من يصلح الأمويين الفجرة، أمّا أخوه

(١) هذا ما يراه دغوي... وهو على هذا الفرض يريد أن يقرأ عبيد الله بدلاً من عبد الله في كتاب الطبري (ج ٢ ص ٢ س ٧ و ١٢ قارن...

(٢) الخلاف هنا في هذه النصوص حول من شهد الصلح بين الحسن ومعاوية - المترجم.

عبيد الله فلم يكن هناك بأس من التخلي عن الدفاع عنه.

على أن ذكر عبيد الله محل أخيه عبد الله لا يمكن أن يلقي عن عبد الله الوزر إلقاء تاماً، فالأموال التي يقول الزهري أنه أصابها، وأن معاوية أعطها له كانت أموالاً من بيت مال البصرة، وكذلك الخمسة آلاف ألف التي أعطيت للحسن كانت هي ما في بيت مال الكوفة، ويؤيد هذا ما يقوله أبو عبيدة (الطبري ١/٣٤٥٣ - ٣٤٥٦) وهو يتفق مع الزهري على أن عبد الله بعد مقتل علي خرج من البصرة، وشخص إلى الحسن، وأنه عند ذلك حمل معه مالا، وهو يسهل الأمر على كل حال بأن يقول: إنها كانت أرزاقاً قد اجتمعت له، وأنه حمل معه مقدار ما اجتمع له، ومعنى هذا أنه لم يأخذ أكثر مما قد استحقه رزقاً له^(١).

ولكن مما يستلفت النظر أن المدائني، وعمر بن شبة، والبلاذري أيضاً لا ينكرون أن عبد الله خرج ببيت مال البصرة، غير أنهم يزعمون أنه فعل ذلك في عهد علي بعد موقعة النهروان بقليل، وأن ذلك لا علاقة له بانتقاله إلى جانب معاوية^(٢).

وعلى هذا تكون هناك خيانة مزدوجة، فابن العباس المتشابهان كثيراً

(١) في رواية لابن شبة (الطبري ١/٣٤٥٣ - ٣٤٥٤) أن أبا الأسود الدؤلي شكاً لعلّي أكل عبد الله ما تحت يده من أموال بغير علم علي، فكتب علي لابن عباس في الأمر، وانتهت المكاتبة بأن كتب ابن عباس لعلّي أن يبعث من يحب والياً بدلاً منه، وأنه ظاعن عن منصبه، المترجم.

(٢) لم يكونوا يعتبرون (إنقاذ) بيت المال شراً كبيراً، لأن العادة جرت بذلك (الطبري ج ٢/٧٥٢ و ٨٧٢)، أما مصالحة معاوية فشيء لا يغتفر.

في الاسم قد تركا منصبهما، أحدهما بعد الآخر مباشرة على نحو مخز، وأثريا في هذه المناسبة بأخذ مبالغ كبيرة من المال، ولكن الأرجح أن ذلك لم يحدث إلا مرة واحدة، وإذا فالزهري على حق في أن المقصود هو عبد الله الذي كان موضع ثقة الحسن وثقة عليّ من قبل، لا عبيد الله، وأن عبد الله قد باع نفسه لمعاوية قبل أن فعل الحسن، بل نحن نجد في رواية المدائني أن عبد الله كان مع عليّ في سنة ٣٩هـ، ولكن لا نلبث أن نجده بعد الصلح في مجلس معاوية (الطبري ج ١١/٢)).

أقول: ولا غرابة من ولهازون من تحامله على ابن عباس كما سبق، بعد أن أعرب لنا مسبقاً عن رأيه في ابن عباس، حيث قال: ((أما عبد الله بن عباس الذي ولّاه عليّ على البصرة))، فقد أثبت أنه والٍ غير أهل للولاية، وأنه لا يعوّل عليه^(١).

ولم يكتف بهذا، بل راح يتابع حملته المسعورة عليه بكل صلف، فقال وهو يتحدث عن ولاية عبد الله بن عامر الأموي للبصرة ثانياً: ((أما البصرة فقد غلب عليها سفهاؤها حتى أكلوها، وضعف سلطان الدولة فيها، فكان السلب والقتل في الشوارع والأسواق فاشيين في النهار المبصر، وكان هذا هو الميراث الذي خلفه عبد الله بن عباس، ولكن ابن عامر كان رجلاً ليّناً كريماً، لا يأخذ على أيدي السفهاء، وقد رأى كما رأى المغيرة في كبره من قبل ألا يضحّي بما كان يؤثره لنفسه من العافية في سبيل تأييد

(١) تاريخ الدولة العرية: ٩٥.

سلطان الدولة، وكان لا يقطع يدَ لصٍ، فلمّا قيل له في ذلك؟ قال: «أنا أتألف الناس فكيف أنظر إلى رجل قطعت أباه أو أخاه؟»، وقد ضجر معاوية من ذلك آخر الأمر، فكتب إليه يستزيره في سنة ٤٤هـ، فقدم على معاوية، فلمّا انتهت الزيارة سأله معاوية أشياء، وسأل هو معاوية أشياء، فكان ممّا سأله معاوية إيّاه أن يعتزل منصبه، وكان ممّا سأل هو معاوية ألاّ يحاسبه على ما أصاب من أموال، وأن يزوجه ابنته هنداً، فزوجه معاوية إياها، وهكذا صار ابن عامر ختناً وصهرًا لمعاوية^(١).

أقول: أرايتم كيف زاغ وراغ هذا المستشرق عن الحقائق، وألبس الحقّ لبوس الباطل! وقد مرّ منّي في الجزء الثالث من هذه الحلقة^(٢) ما يتعلّق ببيت مال البصرة، ونهب ابن عامر له في ولايته الأولى، وكيف تولاها ثانية؛ فراجع.

٤- فردريخ شواللي الألماني (١٨٦٣ - ١٩٢٠م).

تخرّج باللّغات الشرقية على نولدكه، ذكره بروكلمان من مصادره فيما نسبه - زورا - إلى ابن عباس استخدم روايات أهل الكتاب لتفسير القرآن. وسيأتي كلامه والردّ عليه عند ذكر بروكلمان.

٥- أجناس جولدتسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١م).

المجري الهويّة اليهودي الديانة، تخرّج باللّغات السامية على كبار

(١) تاريخ الدولة العربية: ١١٢.

(٢) أي: الجزء الثامن عشر من الموسوعة.

أساتذتها في بودابست وليزيج وبرلين وليدن، ولمّا نبه ذكره عيّن أستاذاً محاضراً في كلية العلوم بجامعة بودابست سنة ١٨٧٣م، وانتدبته الحكومة للقيام برحلة إلى سوريا (١٨٧٣م)، فصحّب فيها الشيخ طاهر الجزائري مدّة، ثمّ تركها إلى فلسطين ومصر (١٨٧٣ - ١٨٧٤)، حيث تطلّع من العربية على شيوخ الأزهر، ولا سيّما الشيخ محمّد عبده، متزياً بزيّهم... وكانت له مكتبة أربت على أربعين ألف مجلّد في العلوم والفقه والفلسفة والفنون واللغة والأدب، أسبغ على القسم الشرقي منها قيمة علمية بما علّقه عليه من الحواشي والاستدراكات والتحقيقات، وأضاف إليها نسخاً تبلغ آلاف^(١).

قال نجيب العقيقي: آثاره وفيرة متنوّعة نفيسة عن الإسلام وفقهه والأدب العربي، أشهرها (اليهود) بالانجليزية... و(آداب الجدل عند الشيعة) بالألمانية (ليزيج ١٨٧٤م)... وله (العقيدة والشرعة في الإسلام)، نقله إلى العربية وعلّق عليه: الدكتور محمّد يوسف موسى أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلّية الحقوق بجامعة عين شمس بالقاهرة، والدكتور علي حسن عبد القادر أستاذ بكلّية الشريعة بالأزهر، ومدير المركز الإسلامي بلندن.

والأستاذ عبد العزيز عبد الحقّ مدير المركز الثقافي المصري بأكرا - غانا، ونشرته دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المشنى ببغداد، بحث المؤلف في هذا الكتاب تاريخ التطوّر العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، وله

(١) المستشرقون: ٩٠٦، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥.

في هذا الكتاب بعض لفتات ذات قيمة أدبية حول نشأة التشيع في أرض عربية بحثة، ودافع عنه في ردّ أوهام بعض المستشرقين الذين قالوا: أنّ التشيع فارسي النشأة والعقيدة، فقال: وقد مال لاعتناق التشيع - مع كونه من الفرق المخالفة - قبائل عربية تشبعت بالآراء الثيوقراطية وبشرعية حقّ عليّ في الخلافة، فأقبلت على تعاليمه في لهفة وحماسة لا تقلّ عن حماسة الإيرانيين.

حقيقة أنّ صفة المعارضة التي انطوى عليها، قد صادف عند الإيرانيين قبولاً وترحيباً، فانضووا بمحض اختيارهم تحت لواء هذه الفكرة الإسلامية التي أمكنهم أن يؤثروا بعض التأثير في نموها وترقيتها فيما بعد، وذلك بفضل فكرتهم الوراثة القديمة الخاصة بالملكية الإلهية.

ولكن بوادر هذه الفكرة في الإسلام لا يشمّ منها وجود مثل هذا التأثير الإيراني، فالتشيع كالإسلام عربي في نشأته وفي أصوله التي نبت منها^(١).

ويبقى كتابه هذا كسائر الكتب التي يؤخذ منها ويترك، وما أكثر الشواهد على ما يُترك نحو ما حاول جاهداً إثبات أنّ في التراث الإسلامي (الحديث) آثار من الديانات السابقة، فقال: «فهنالك جُمِل أخذت من العهد القديم والعهد الجديد، وأقوال للربانيين، أو مأخوذة من الأناجيل الموضوعة، وتعاليم من الفلسفة اليونانية، وأقوال من حِكم الفرس والهنود، كلّ ذلك

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام: ٢٣٠، ط الثانية نشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد.

أخذ مكانه في الإسلام عن طريق (الحديث)، حتّى لفظ (أبونا) لم يعد مكانه في الحديث المعترف به، وبهذا أصبحت ملكاً خالصاً للإسلام بطريق مباشر أو غير مباشر تلك الأشياء البعيدة عنه^(١)، والمثل الحسن لذلك هو هذا المثل المعروف في الأدب العالمي للأعمى الذي كان يحمل كسيحاً يسرق فاكهة الأشجار، وهو مثال للمسئولية المشتركة بين الجسم والروح.

وهذا ما يظهر في الإسلام متمثلاً في الحديث وسنده المتصل: أبو بكر ابن عياش، عن سعيد البقال، عن عكرمة، عن ابن عباس^(٢)، وهذه المقارنة

(١) لقد علّق الأساتذة الثلاثة على كلام جولدتسيهر في هذا المقام، فقالوا: ذكر أنّ الأحاديث دخلها كثير من الآداب اليهودية والحكم الفلسفية، وهو بهذا يخلط بالحديث ما يؤثر عن مثل كعب الأحبار وغيره من الإسرائيليين، نعم في الحديث الصحيح شيء مما يوافق الإسرائيليات وبعض الأمثال العامة، وهذه مصدرها الرسول كما هو مصدر غيرها، ولا شيء في هذا.

(٢) أقول: روى هذا الخبر أبو القاسم قوام السنّة الأصفهاني (ت ٥٢٥هـ) في كتابه الحجّة في بيان المحجّة ٥٠٧/١، تح محمد بن ربيع، ط ٢ سنة ١٤١٩هـ نشر دار الراية بالرياض، فقال: أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن علي الصوفي بمكة، نا علي بن عبد العزيز، نا أحمد بن يونس، نا أبو بكر بن عياش، عن أبي سعد سعيد بن المزربان البقال، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتّى يخاصم الروح الجسد، فيقول الروح: يا رب! إنّما كنت روحاً منك جعلتني في هذا الجسد فلا ذنب لي، ويقول الجسد: يا رب! كنت جسداً خلقتني ودخل فيّ هذا الروح مثل النار، فبه كنت أقوم، وبه كنت أقعد، وبه أذهب وبه أجيء فلا ذنب لي.

قال: فيقال: إنا نقضي بينكما، أخبرنا عن أعمى ومقعد دخلا حائطاً، فقال المقعد للأعمى: إنّني أرى ثمراً، فلو كانت لي رجلان لتناولته، فقال الأعمى: أنا أحملك على رقبتني، قال: فحمله فتناول من الثمرة فأكلا جميعاً فعلى من الذنب، قال: عليهما جميعاً، قال: قضيتما على أنفسكم.

وتطبيقها نعرفهما كذلك عند الربانيين، فقد جاءت في التلمود على لسان الرباني (يهودا هاناسي) تطبيقاً لخاطر الملك الروماني، وتسكيناً لسلوكه وقلبه.

ولهذا المستشرق المجري اليهودي كتاب (مذاهب التفسير الإسلامي)، وقد ترجمه علي حسن عبد القادر، وطبع في القاهرة سنة ١٩٤٤م، ثم ترجمه بعد ذلك الدكتور عبد الحليم النجار، وطبع سنة ١٩٥٥م بمطبعة السنة المحمدية بمصر - وهي التي اعتمدتها - وله في هذا الكتاب هفوات كثيرة، منها ما يتعلق بابن عباس، أذكر بعضاً منها، والتعقيب بذكر الصلاة على النبي ﷺ مني.

قال في صفحة (٨٣) (نَجَّار): «ومن بين جميع الصحابة الذين يعدّ

⇨

والمؤلف نقله عن ابن قَيِّم الجوزية في كتاب الروح (حيدر آباد سنة ١٣١٨ ص ٢٩٤) وكلا المصدرين ليسا من كتب الحديث، وهذا الخبر لا يسلم من تجريح بعض رواته، فأبو بكر بن عياش قال فيه ابن معين: كثير الغلط جداً، وعن أحمد قال مثله، وقال ابن سعد: كثير الغلط، وقال يعقوب بن شيبه: في حديثه اضطراب (الإفصاح ٢٠٧/٤)، وهذا يروي الخبر عن سعيد ابن المرزبان، وقال الفلاس: متروك، وقال ابن معين: لا يكتب حديثه، وقال البخاري: منكر الحديث (الإفصاح ١٩٨/٢).

وهذا يروي الخبر عن عكرمة، وعكرمة البربري الخارجي مطعون فيه ديناً ودنياً، وقد مرّت أقوال العلماء فيه وتكذيبه في روايته عن مولاة ابن عباس، وليكن هذا الخبر من بعض أكاذيبه على مولاة إن لم يكن من بعض رواته المجروحين، فتصيده جولدسيهر كشاهد على تأثر الثقافة الدينية في الإسلام بما مرّ قبله عن الديانات الأخرى؟! (حنّ قدح ليس منها)، مثل يضرب لمن يتمدح بما لا يوجد فيه.

منهم أيضاً الخلفاء الأول وعائشة وأزواج آخر للرسول ﷺ يسمون في حكم المسلمين على أنه أعظم حجج الإسناد في الأهمية: عبد الله بن عباس، ابن عم الرسول ﷺ وابن الجد الأكبر لأسرة العباسيين، فهو يعدّ معجزة التفسير، وبحر العلم^(١)، وحبر هذه الأمة^(٢)، ويسمى أيضاً على وجه التفضيل: ترجمان القرآن^(٣).

ما جاء في الهامش هو ممّا علّقه المؤلف على ما جاء في المتن، وما كان تعقيباً منّي فأبدأه بكلمة أقول.

(١) في تلقيب مختلفين بهذا اللقب؛ راجع ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٣١ ج ٣ ص ١٣٣، أغاني ج ٨ ص ٩٢.

أقول: إنّ الاشتراك في الألقاب والكنى على نحو الاشتراك في الأسماء، وكون من أشار إليهم ممّن لقبوا بهذا اللقب لا يغيّر شيئاً ولا يضرّ ابن عباس، ولدى مراجعتي المصادر التي ذكرها، فوجدت في المصدر الأول: قول الزهري: أدركت من قريش أربعة بحور: سعيد بن المسيب، وعروبة بن الزبير، وأبا سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأول ما في هذا الخبر في عدّ الزهري هؤلاء الأربعة من قريش، فإنّ رابعهم لم يكن من قريش، بل هو من هذيل، وهو حفيد أخ عبد الله بن مسعود الصحابي الشهير، فإن كان الزهري قال هذا فهو كذب منه واضح، كما أنّه يشير إلى سوء فهم أو سوء قصد من جولدتسيهر.

(٢) أطلق هذا اللقب قبل ذلك على زيد بن ثابت (ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١١١)، وسمّى الأعمش [حمزة بن] حبيب عن عمارة (أحد القراء السبعة وتوفي ١٥٦هـ - ٧٧٣م) حبر القرآن (أبو المحاسن بن تغري بردي نشر جونبول ج ١ ص ٤٢٠).

أقول: هذا الذي أشار إليه في زيد بن ثابت قاله أبو هريرة، ومن نافلة القول تعريف أبي هريرة وعلاقته مع زيد بن ثابت في عثمانيته.

(٣) ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١١٩. أقول: والصواب ص ١٢٠.

وقال في صفحة (٨٤): «... الذي باركه الرسول ﷺ، بل كذلك باركه جبريل الملك... وعلي بن أبي طالب فحسب هو الذي يقال أنه سمّاه عليه في فهم العلم^(١)، وقد قدّمه عمر وهو شاب على أقدم الصحابة وأفضلهم^(٢)، وتجلو للتصوّر الذهني رفيع اختصاصه بعمل المفسّر للقرآن كلمة منسوبة إلى تلميذه مجاهد: كان إذا فسر آية من القرآن رأيت على وجهه النور^(٣).

(١) الإحياء (بولاق) ج ٢ ص ٤٦.

أقول: ما ذكره من مباركة الرسول ﷺ ومباركة جبريل عليه السلام كذلك، فقد تقدّم البحث في هذا في الجزء الأول من الموسوعة؛ فليراجع!

وأما ما أشار إليه بنحو التمرّض بكلمة (يقال) سما - يعني علي بن أبي طالب عليه السلام - في فهم العلم، فهذا ممّا لا شكّ فيه، فلماذا التمرّض بكلمة (يقال) وابن عباس نفسه يعترف بذلك مفتخراً: (ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب) (مقدمتان في علوم القرآن: ٢٦٤)، مضافاً إلى أقوال أخرى له ذكرتها في ينابيع المعرفة في أول الباب الأول من الجزء الأول من الحلقة الثانية = ٦ من الموسوعة.

(٢) راجع الإحياء ج ١/١٤٠.

أقول: لقد مرّ في ج ٢ من الموسوعة ص ٨٠ بحث عنوان (الحبر مع عمر)، وفيه ما يغني عن التطويل بالإعادة؛ فراجع!

(٣) ابن قيم الجوزية إعلام الموقعين ج ١/٢٢، ومثل ذلك يروى في القصّة اليهودية عن عالم أهل الكتاب ابن عزاي: ((كان إذا درّس أو علّم اشتعلت النار من حوله) (ذكر المصدر الأجنبي)، وقد ذكر ذلك كثيراً في الأدب الإسلامي.

أقول: لقد أساء جولدتسيهر فهم قول مجاهد، وقد راجعت المصدر فوجدت، قال مجاهد: (كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيت عليه النور)، فإنّ الضمير في (عليه) يعود للشيء لوضوح تفسيره، فمن أين أتى جولدتسيهر بكلمة (وجهه).

ولئن تراءى في مثل هذا التعظيم إعجاب الأجيال المتأخرة بابن عباس^(١)، لقد كان بعد فعلاً على عهد الشاعر (ابن قيس الرقيات) (في أواسط القرن الأول الهجري) الذي يعرضه في مناقب المجد والمعروف لقبيلة قريش:

حبر الله الذي يستضاء بعلمه إذا عي بالبيان الصحيح^(٢)

وقال: وأخبار التفسير التي ترجع إليه تعدّ أكثر ما ينال الإيثار والتفضيل من تبيان لفهم القرآن، وترى الرواية الإسلامية أنه تلقى بنفسه في اتصاله الوثيق بالرسول وجوه التفسير التي يوثق بها^(*) وحدها)).

(١) ذكر البلوي فصلاً في مناقبه ألف باء ج ٢٢٣/١ - ٢٢٥.

أقول: لم يكن البلوي بدعاً من المؤلفين الذين ذكروا ابن عباس عليه السلام ومناقبه، وقد مرّت أسماء الكثيرين في أجزاء الموسوعة.

(٢) ديوان (نشر...) قصيدة رقم ٣٩ بيت ٤ [وذلك حيث يقول:

وأبو الفضل وابنه الحبر عبد الله إن عي بالرئي الفقهاء

وأبو الفضل العباس بن عبد المطلب، والرئي بكسر الهمزة لغة في الرأي].

(*) وأين الرواية التي زعمها، وما قيمتها في نظر رجال النقد (المرجم).

أقول: إن مراد جولدتسيهر بالرواية التي أشار إليها، وسائله المترجم عنها هي التي رويت عن ابن عباس أنه قال: (جمعت المحكم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن جبيرة: قلت له: ما المحكم؟ قال: المفضل، وقبض وأنا ابن عشر سنين) (مقدمتان في علوم القرآن: ٥٥)، وأما عن وجوه التفسير التي أرادها، فقد أخرج ابن جرير في تفسيره ٣٤/١ ط ١٣٧٣/٢ هـ والطوسي في التبيان ج ٧، والسيوطي في الإتقان ٤/٢ عن ابن عباس مرفوعاً، قال: (أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب،

وقال في صفحة (٨٥): «وأجدر بالتصديق الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامر فيها الشك إلى من يرجو عنده علمها، وكثيراً ما ذكر^(*) أنه كان يرجع (كتابة) في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى أبا الجلد^(١)، والظاهر أنه غيلان بن فروة الأزدي الذي كان يثني عليه بأنه (قرأ الكتب)».

وقال في صفحة (٨٦): «وكثيراً ما تجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس، اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام (كعب الأحبار)، و(عبد الله ابن سلام)».

أقول: لقد مرّ في الجزء السادس من الموسوعة ما يكذب هذا الزعم فراجع ص ١٣١ - ١٤٢ عن كعب، ومن ص ١٤٣ إلى ص ١٤٥ عن عبد الله بن سلام.



وتفسير تفسره العلماء، ومتأشبه لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب)، وقد مرّ في الباب الثالث من الحلقة الثانية ما يتعلّق بالمقام فراجع ج ١٠٧/٧ من الموسوعة. (*) معروف أن ابن عباس كان لا يضارعه أحد في التفسير، وكان يرجع إليه الصحابة في ذلك، فبعد أنه - وهو ترجمان القرآن - أن يرجع إلى من لا يعرف، لا سيما في معاني القرآن كما يبنى المؤلف على ذلك فيما بعد، وما ذكره لا يعدو أن يكون تفسير لفظ لغوي (الترجم). أقول: إن استعمال المؤلف جولدتسيهر لفظ (كثيراً) كثيراً من دون ذكر شاهد واحد يفقده الثقة بأقواله، وسيأتي في الصفحة التالية نحو هذا أيضاً. (١) مثلاً في الطبري ٧٢/١٣ (في الآية ١٣ من سورة الرعد) في الكلام عن برق، إذ كتب إليه أبو الجلد أن معناه هنا المطر.

أقول: لقد مرّ الكلام عن هوية أبي الجلد في شبهات كاذبة في الباب الأول من الجزء الأول من الحلقة الثانية = ١٤٩/٦ - ١٦٨؛ فراجع!

ومن عجيب أمر هذا المستشرق الذي أشار إلى تحذير ابن عباس عن الأخذ عن أهل الكتاب في الهامش نقل عن البخاري في الشهادات رقم/٢٩ ((يا معشر المسلمين! كيف تسألون أهل الكتاب))، واعتصام رقم/٢٦ حيث ختم تحذير ابن عباس بقوله: ((ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألته))، ومع هذا يقول: ولم يعد أوتولوث شاكلة الصواب إذ يتحدث عن مدرسة ابن عباس ذات المسحة اليهودية (*).

وقال في صفحة (٨٧ - ٨٨): ((ولم يعد ابن عباس أولئك الكتائبين اللذين دخلوا في الإسلام حججاً فقط في الإسرائيليات وأخبار الكتب السابقة التي ذكر كثيراً عنها من الفوائد^(١)، بل كان يسأل أيضاً كعب الأخبار

(*) لم تعرف روايات ابن عباس على وجه اليقين، وأين سنده أو تفسيره حتى يكون ذلك الحكم، وكل ما صح عن ابن عباس هو ما أشار إليه المؤلف نفسه في التعليق رقم (١) مما روي عنه في البخاري أنه كان ينهى عن سؤال أهل الكتاب وأخذ العلم عنهم (المترجم).
(١) انظر (...) وما نقله لسان العرب من أوصاف الرسول ﷺ مروي بطبيعة الحال عن كعب (انظر ابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٨٧)، وأي شيء لم يجده كعب في الكتب (انظر ابن سعد ج ٣ ن ١/ ص ٢٤٠).

أقول: لقد أشار جولدتسيهر في تعليقه في المقام إلى ثلاثة أخبار عند ابن سعد في الطبقات: أولاً: ما ذكره في صفة الرسول ﷺ بسنده: عن معن بن عيسى، عن معاوية بن صالح، عن أبي فروة، عن ابن عباس، إنه سأل كعب الأخبار: كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟ فقال: نجده محمّد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، ليس بفخاش ولا صخاب في الأسواق، ولا يكافئ بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر.
وهذا الخبر مخدوش سنداً ومتناً:

أمّا السند، فأول رجاله: معن بن عيسى، فبالرغم مما قيل فيه من ثناء، فقد قال أحمد: ما كتبت عنه



شيئاً - كما في ترجمته في تهذيب ابن حجر - .

وثاني رجاله: معاوية بن صالح، كان يحيى بن سعيد لا يرضاه، قال يحيى بن معين: كان ابن مهدي إذا تحدّث بحديث معاوية بن صالح زبره يحيى بن سعيد، وقال: أيش هذه الأحاديث، وعن موسى ابن سلمة يقول: أتيت معاوية بن صالح لأكتب عنه فرأيت عنده - أراه قال الملاحه - فقال: ما هذا؟ قال: شيء يهديه إلي صاحب الأندلس، قال: فتركته ولم أكتب عنه.

وثالث رجاله: أبو فروة، فمن هو ذا المحظوظ بروايته عن ابن عباس أنّه سال كعباً؟ لا أحد يعرفه إذ لم يذكر بها الاسم غير رجل ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ٣٧٧/١٠، وسمّاه يزيد بن محمّد بن يزيد بن سنان المحدث أبو فروة الرهاوي - توفي سنة ٢٦٩ هـ في رمضان بالرّها، وهو ذكره في كتابه المقتنى في الكنى ٢٠/٢٠٤، ولم يذكر فيه شيئاً، وقال (أيمن صالح شعبان) محقّق الكتاب: لم أقف على ترجمته، فهو مجهول حالاً، مضافاً إلى تأخّره زماناً.

فهذا حال السند، وأمّا من حيث المتن، فهو يستبطن كذبه، إذ قال فيه كعب: ويكون ملكه بالشام، فمتى ملك رسول الله ﷺ الشام وهي لم تفتح في أيامه، ووقعة مؤتة تكفي في تكذيب هذا الخبر، ولا غرابة - إن صحّ الخبر - في رواية كعب له، فهو من الضالعين في ركاب الأمويين من أيام عثمان وولاية معاوية، وفيما أشار به إليه جولدتسيهر من خبر رواه ابن سعد في ترجمة عمر، ما ينمّ عن تأمره مع الأمويين في تدبير قتل عمر، (راجع أضواء على السّنة المحمّدية ص ١١٦، ط الأولى).

والخبر الذي أشار إليه جولدتسيهر رواه ابن سعد في ترجمة عمر، قال: أخبرنا معن بن عيسى، قال: نا مالك بن أنس، عن عبد الله بن دينار، عن سعد الجاري مولى عمر بن الخطّاب: أنّ عمر بن الخطّاب دعا أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب، وكانت تحته، فوجدها تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين هذا اليهودي - تعني كعب الأحبار - يقول: إنّك على باب من أبواب جهنّم، فقال عمر: ما شاء الله، والله إنّني لأرجو أن يكون ربّي خلقني سعيداً، ثمّ أرسل إلى كعب فدعاه، فلما جاءه كعب، قال: يا أمير المؤمنين! لا تعجل عليّ، والذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجّة حتّى تدخل الجنّة، فقال عمر: أي شيء هذا؟ مرّة في الجنّة ومرّة في النار؟! فقال: يا أمير المؤمنين! والذي نفسي بيده إنّنا لنجدك في كتاب الله على باب من

مثلاً عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين أم الكتاب والمرجان^(١).

⇨

أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة. فهذا الخبر مخدوش سنداً كسابقه، فمعن بن عيسى الذي لم يكتب عنه أحمد شيئاً، وهو عن مالك بن أنس وهذا هو الذي جرحه ابن أبي ذئب وابن إسحاق وغيرهما، وكان ضالماً مع السلطان، وهو روى عن عبد الله بن دينار الذي قال فيه العقيلي: في رواية المشايخ عنه اضطراب (تهذيب ابن حجر في ترجمته) وهو عن سعد الجاري مولى عمر بن الخطاب المجهول الهوية.

وأما ما في المتن من هناة وفجوات يكثر العثار فيها، وفي الطبري (ج ٤/١٩١، ط دار المعارف) حوار بين كعب وعمر، وفيه: إنك ميت ثلاث أيام، وفي ص ١٩١: دخل كعب مع الناس بعد الحادثة، فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

فأوعدني كعب ثلاثاً أعدّها ولا شك إن القول ما قال لي كعب

وما بي حذار الموت إنني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

(١) الطبري ١٢٦/١٧ وانظر ٩/١٧ (في الآية ٢٠ من سورة الأنبياء) وج ٢٧/٦٩.

أقول: لقد أشار المؤلف أولاً: إلى ما رواه الطبري ج ١٢٦/١٧: عن القاسم، عن الحسين، عن معتمر ابن سليمان، عن أبيه، عن سيّار، عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار عن أم الكتاب؟ فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتاباً. وهذا خبر لا يصح لما في رجال سنده من تجريح، فمعتمر بن سليمان، قال فيه يحيى القطان: إذا حدثكم معتمر بن سليمان فاعرضوه فإنه سيء الحفظ، وقال فيه ابن معين: ليس بحجة، وأبوه سليمان هو ابن طرخان الذي قال فيه ابن معين: يدكس، وقال أبو زرعة لم يسمع من عكرمة، وقال ابن المبارك: لم يسمع من أبي العالية، وقال يحيى بن سعيد: ما روى عن الحسن وابن سيرين، وقال أبو غسان النهدي: لم يسمع من نافع ولا عطاء، إلى غير هذا، وهو روى الخبر المذكور أعلاه عن سيّار، وهذا هو الأموي الدمشقي مولى معاوية، ويقال: مولى خالد بن يزيد بن معاوية شامي الولاء والهوى، ثم إن كان هو العنزي، فقد قال القواريري فيه: لم يكن له عقل، وقال العقيلي:



أحاديثه مناكير، وقال الأزدي: عنده مناكير (راجع ترجمته في ج ٢٩١/٦ من الموسوعة).
هذا بالنسبة للحديث الأول الذي أشار إليه جولدتسيهر في اعتماده عليه في رواية ابن عباس عن
كعب الأحبار، ولم يذكر الجواب عن المرجان؟!

وأما ما ذكره ثانياً، وقال: انظر ج ٩/١٧ (في الآية ٢٠ من سورة الأنبياء)، فقد نظرت فكان الطبري
روى الخبر بسنده الآتي: عن يعقوب، عن ابن غلبة، عن حميد، عن إسحاق بن عبد الله بن
الحارث، عن أبيه: أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾
سورة الأنبياء/٢٠، (ويسبحون الليل والنهار لا يسمون)؟ فقال: هل يثودك طرفك؟ هل
يثودك نفسك؟ قال: لا، قال فإنهم ألهموا التسييح كما ألهمتهم الطرف والنفس.

أقول: لقد ساق الطبري الخبر، ولم يعقب عليه بما فيه من تحريف في الآية الثانية التي ذكرها ابن
عباس، فإن الموجود في القرآن ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾، فهل يعقل أن
التحريف كان من ابن عباس في قراءته؟ أو من الراوي عبد الله بن الحارث؟ أو من آخرين؟
ومهما يكن أمر ذلك، فما بال هذا الراوي عبد الله بن الحارث قال: قلت لكعب الأحبار:
﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾، أما يشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا بن أخي! إنهم جعل
لهم التسييح كما جعل لكم النفس، ألسنت تأكل وتشرب وتقوم وتقع وتجيء وتذهب
وأنت تتنفس؟ قلت: بلى، قال: فكذلك جعل لهم التسييح.

أقول: والسؤال الذي يفرض نفسه على عبد الله بن الحارث، إن كان صادقاً في خبره الأول عن
ابن عباس في سؤاله كعباً عن هذه الآية، فما معنى سؤاله هو ثانياً من كعب، والجواب واحد!
وإن كان سؤاله من كعب هو الأول، فما معنى روايته للخبر ثانية عن ابن عباس عن كعب،
وليس في الجواب في الخبرين من فرق!

وأما ما أشار إليه جولدتسيهر ثالثاً في الرجوع إلى الطبري في ٦٩/٢٧، فقد راجعت المصدر،
فوجدت الطبري ذكر في تلك الصفحة ١٧ خيراً، منها ستة عن ابن عباس وليس بينها واحد
رواه عن كعب، ووجدت خيراً واحداً عن كعب رواه عنه شيخ من أهل الشام، حدث به
بمكة، فأين هذا من ابن عباس عن كعب.

هل التحقيق بالتلفيق؟! ولماذا التشهير بالتزوير؟

ولا عجب من جولدتسيهر لو تنقّص ابن عباس فيما زعمه من أخذه عن كعب الأخبار وأمثاله، مستنداً إلى روايات تسقطها من هنا وهناك، زاعماً لها صحّة الاستدلال بها، نحو ما ذكره في صفحة (٨٨) حيث قال: «والظاهر أنّ المحور الذي تدور حوله مثل هذه الأخبار في الغالب هو افتراضات المسلمين في الزمن المتأخّر، ويدلّ على ما تستطيع أن تبلغه مثل هذه الافتراضات من طابع السذاجة، ما روي مثلاً من حصول اختلاف بين ابن عباس وعمرو بن العاص على قراءة كلمة (من لدني) في الآية ٧٦ من سورة الكهف، هي بتشديد نون (لدني) أو بتخفيفها، وأنّ الاثنين قصداً إلى كعب الأخبار لتسوية هذا الخلاف (صحيح الترمذي ج ٢/١٩٣)».

أقول: لقد أخطأ جولدتسيهر في فهم ما رواه الترمذي، وهو ما ذكره في كتاب التفسير في أبواب القراءات، فقد قال: «حدّثنا أبو بكر بن نافع البصري، أخبرنا أميّة بن خالد، أخبرنا أبو الجارية العبدي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ أنه قرأ: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾^(١) مثقّلة.

قال أبو عيسى - هو الترمذي - هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، وأميّة بن خالد ثقة، وأبو الجارية العبدي شيخ مجهول لا أدري من هو ولا يُعرف اسمه^(٢).

(١) سورة الكهف/٧٦.

(٢) تحفة الأحوذى بشرح الترمذي ٢٥٢/٨ - ٢٥٣، ط مصر، وعارضة الأحوذى بشرح الترمذي ٥٥/١١ لابن العربي المالكي ت ٥٤٣هـ، ط مطبعة الصاوي.

أقول: فهذا كل ما ذكره الترمذي في الآية المذكورة، فأين هذا ممّا نسبته إليه جولدتسيهر؟! وأحسبه توهم في اسم أبي بن كعب، فظنّه كعب الأحبار! ولكن الذي يبعده أنّه لم يرد فيه اسم عمرو بن العاص، فمن أين أتى به؟!

والجواب: أنّ الترمذي ذكر بعد ما تقدّم ما يتعلّق بقراءة: ﴿فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ﴾^(١)، فقال: ((حدّثنا يحيى بن موسى، حدّثنا معلّى بن منصور، حدّثنا محمّد بن دينار، عن سعد بن أوس، عن مصدّع أبي يحيى^(٢)، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب: أنّ النبي ﷺ قرأ: ﴿فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ﴾..

ثمّ تعقّبه، فقال: قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، والصحيح ما روي عن ابن عباس قراءته، ويروى أنّ ابن عباس وعمرو بن العاص اختلفا في قراءة هذه الآية، وارتفعا إلى كعب الأحبار في ذلك، فلو كانت عنده رواية عن النبي ﷺ لاستغنى بروايته ولم يحتجّ إلى كعب)).

فهذا جميع ما ذكره الترمذي من حديث، غريب، ثمّ من رواية مرسلة ذكر فيها عمرو بن العاص، وهذا أيضاً غير صحيح.

(١) سورة الكهف/٨٦.

(٢) هذا هو المعروف بالمعرقب، قال ابن حجر: إنّما قيل له المعرقب لأنّ الحجاج أو بشر بن مروان عرض عليه سبّ عليّ فأبى فقطع عرقوبه، قال ابن المديني: قلت لسفيان: في أي شيء عرقب؟ قال: في التشيع... تهذيب التهذيب ١٨٦/٨.

وقد مرّ في الجزء الثالث عشر من الموسوعة^(١) ذكر الخبر كما رواه السيوطي في (الدرّ المنثور) في تفسير الآية (٨٦) من سورة الكهف، قال: «أخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عثمان بن أبي حاضر: أن ابن عباس رضي الله عنه ذكر له أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية الكريمة في سورة الكهف (تغرب في عين حامية).

قال ابن عباس رضي الله عنه: فقلت لمعاوية: ما نقرأها إلا: ﴿حَمِئَةٌ﴾.

فسأل معاوية عبد الله بن عمرو: كيف تقرأها؟

فقال عبد الله: كما قرأتها.

قال ابن عباس رضي الله عنه: في بيتي نزل القرآن، فأرسل إلى كعب، فقال: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟

فقال له كعب: سلّ أهل العربية فإنهم أعلم بها، وأما أنا فإنني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين، وأشار بيده إلى الغرب.

قال ابن أبي حاضر رضي الله عنه: لو أنني عندك أيدّتك بكلام وتزداد به بصيرة في ﴿حَمِئَةٌ﴾.

قال ابن عباس: وما هو؟

قلت: فيما نأثر قول تبّع فيما ذكر به ذا القرنين في كلفه بالعلم

(١) موسوعة عبد الله بن عباس، الجزء الثالث عشر، الرسالة السابعة (أدب التفسير)/نقاط نقدية ساخنة.

واتّباعه إياه:

قد كان ذو القرنين عمرو مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتحسد
فأتى المشارق والمغارب يبتغي أسباب ملك من حكيم مرشد
والشمس تغرب كل آخر ليلة في عين ذي خلب وثأط حرمد

فقال ابن عباس: ما الخُلب؟

قلت: الطين بكلامهم.

قال: فما الثأط؟

قلت: الحمأة.

قال: فما الحرمد؟

قلت: الأسود.

فدعا ابن عباس ﷺ غلامه، فقال له: أكتب ما يقول هذا الرجل^(١).

أقول: فأين هذا ممّا ذكره جولدتسيهر من اختلاف ابن عباس وعمرو
ابن العاص في قراءة ﴿مِن لَّدُنِّي﴾، مشدّدة، أو مخفّفة؟

وقال في صفحة (٨٩ - ٩٠): «ومذهب التفسير الذي أقامه هذا الأب
الأول لتفسير القرآن، والمحصول الذي تعلمه من أهل الكتاب قد بيّنه
(ليونى كيتانى)^(٢) أخيراً على وجه مختار، ويستحقّ واحد من المعالم المميزة

(١) الدر المنثور ٣٩٦/٥، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) انظر... وانظر أيضاً بوهل في مادة عبد الله بن عباس في دائرة المعارف الإسلامية ج ١.

لطريقته أن يبرزه إبرازاً خاصاً^(١)، إذ كان قد احتفظ بنفسه فيما بعد^(٢) على أنه من خير ما يقنع حاجتنا من عناصر التفسير.

كانت هناك تعبيرات شديدة الندرة في لغة القرآن تبدو أحياناً غير مفهومة للمثقفين أيضاً من الأمة، الذين كانوا يطلبون تفسيرها عند من هو أعلم بها منهم^(٣)، وفي مثل هذه المسائل كان دأب ابن عباس أن يحيل على الشعراء القدماء، الذين كان يرى الاعتداد باستعمالهم اللغوي في التفسير^(٤)، فهو يصرح في مناسبة تفسيره للفظ: (حرج) في الآية ٨٧ من سورة الحج بهذا المبدأ: «إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي»^(٥).

(١) فنسبت إليه - في وقت متأخر - الكلمة التي نسبت في رواية أخرى كما يظهر إلى الخليفة عمر، تحت على العناية بالأشعار القديمة (انظر مقدمة ديوان الحطيئة...): ((عليكم بأشعار الجاهلية فإن فيها تفسير كتابكم))، وساقها بهاء الدين العاملي في الوحدة الوجودية (في مجموعة نشرها صبري الكردي بالقاهرة ١٣٢٨هـ ص ٣٢٥).

(٢) جمع أبان بن تغلب (المتوفى ١٤١هـ) الذي يفتخر به الشيعة في (كتاب الغريب) شواهد لقدماء الشعراء على تفسير ((مفردات القرآن)) (فهرس كتب الشيعة للطوسي ٤/٦)، ويذهب الجاحظ بعيداً، حيث يقرر أن من يجهل أمور الجاهلية لا يستطيع أن يفهم الكتاب والسنة (انظر كتاب الحيوان ٩٠/١ ص ٨ من أسفل).

(٣) لما سئل عمر عن معنى أبا (في الآية ٣١ من سورة عبس) صرح بكراهيته لذلك (ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٣٧ س ٥).

(٤) ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٢١ س ٤ وانظر...

(٥) الطبري ج ١٧ ص ١٢٩، وقد نسب إليه ذلك المبدأ الأساسي، وطبيعي أن من العسير ضمان صحة هذه النسبة، ولا توجد دوافع منافية لذلك.

أقول: وعلى نمط ما مرّ فقد استمرّ جولدتسيهر ساخراً حيناً، ومشكّكاً حيناً^(١).

وبهذا نترك الحديث عن باقي ما في كتابه من نقد لابن عباس وتلاميذ مدرسته، ومثله نقد سزكين له في عدم فهمه النصوص.

٦- كارل بروكلمان الألماني.

لقد ذكر ابن عباس في كتابه (تاريخ الأدب العربي ج ١/ ١٧١ - ١٧٢)،

⇒

أقول: الصحيح في رواية الكلمة عن ابن عباس ما رواه السيوطي في الإتيقان ١٢١/١: ((الشعر ديوان العرب، وإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانه فالتمسنا معرفة ذلك منه)).

(١) لاحظ في ص ٩٠ قوله: وبذلك المبدأ المنهجي المنسوب إلى ابن عباس، اقترنت على النمط العربي أسطورة مدرسة عظيمة الإفادة، وجدت مدخلاً إلى المعجم الكبير للطبراني (المتوفى ٣٦٠هـ - ٩٧١م)، وذلك أنّ الزعيم الخارجي نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن عدد كبير من مفردات القرآن.

أقول: ولما كنت قد بحثت هذا الجانب في ج ١٣ من الموسوعة باستيعاب فلا حاجة إلى إعادته، ويكفي في تعريف القارئ بآراء جولدتسيهر، إلى أنّه لم يكتف بذكر التشكيك بلغة السخرية بأبي التفسير، وتعبيره بأسطورة... وأساطير... ومظهر مسرحي زاخر بالحياة... وحسبنا قوله:

على هذا النحو كانت الرغبة في تقديم ابن عباس إذا أريد ذكر تفسير جدير أن يوثق به لكلمة أو جملة من القرآن مشكوك في معناها أو كثيرة الاحتمالات، وعند من اعتادوا ممارسة هذا التفسير لم يعد هناك منذ زمن طويل مجال للشكّ في أنّه لا يكاد يرجع شيء، أو لا يرجع على الحقيقة إلّا جدّ قليل إلى ابن عباس ممّا أحاطه العلماء المتأخرون بهالة من اسمه، وقد مرّ من المستشرقين كيتاني وبوهل وغيرهما ممّن يشاركونه الرأي في التنفيذ على التقليد لا التجديد.

ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، ط دار المعارف، فقال: ((أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان، كان مشهوراً بمصاحبه علي بن أبي طالب، وكان عالي المكانة بالبصرة في الحديث والفقه، فاستعمله علي عليها لما ذهب عامله عبد الله بن عباس إلى الحجاز، ولما أتى علي إلى العراق صحبه أبو الاسود في موقعة صفين، ولكنّه تصالح بعد ذلك مع معاوية، وتذكر قصة التاريخ الأدبي عند العرب أنّ أبا الأسود أول من وضع أبواب النحو)).

وقال في (ج ٧/٤)، فتهجم على ابن عباس بظلم وسوء أدب، حين قال: ((استخدم ابن عم النبي ﷺ عبد الله بن عباس (المتوفى ٦٨هـ/٦٦٨م)، وقيل: سنة (٦٩هـ أو ٧٠هـ)، روايات أهل الكتاب لتفسير القرآن، كما استشهد على الصيغ اللغوية بأبيات من الشعر الجاهلي...)).

وقال في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) (نقله إلى العربية نبيه أمين فارس - منير البلعكي):

((وكان جدّهم - العباسيين - عبد الله بن عباس، وهو ابن عم الرسول وعليّ، قد سالم معاوية بعد مصرع عليّ، فألحقه ببيت المال في البصرة، وإذا لم يجد سيلاً إلى تمثيل دور سياسي ما فقد صرف همّته إلى الحديث يدرسه ويستزيد فيه بالخيال الطيّاش والاستمداد من القصص التلمودي الذي قرّبه إليه نفر من اليهود الداخلين في الإسلام))^(١).

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية: ١٦٦.

أقول: ليت بروكلمان كان موضوعياً فصدّق مزاعمه بأدلة تثبت له ما يريد أن يلصقه بهتانا بـابن عمّ النبي ﷺ عبد الله بن عباس! فذكر لنا تلك الروايات التي استخدمها ابن عباس من روايات أهل الكتاب، ولكنه لم يأت بشاهد واحد.

ثمّ ما ذكره من استشاده على الصيغ اللغوية بأبيات من الشعر الجاهلي ليست عاباً يعاب به ابن عباس، لأنّ محاوره نافع بن الأزرق الخارجي طلب منه ذلك فاستجاب لطلبه، واستشهد على كلّ لفظة سأله عنها نافع ببیت شعر من الشعر الجاهلي، وغير الجاهلي كـشعر حسان بن ثابت.

ثمّ ما ذكره في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) عار من الصحّة جملة وتفصيلاً! وذلك إذ قد ذكر نقطتين هامّتين في تاريخ ابن عباس حسبهما نقطتي ضعف فشهرّ بهما، وهما:

- ١- ((قد سالم معاوية بعد مصرع عليّ، فألحقه ببیت المال في البصرة)).
- ٢- ((وإذ لم يجد سبيلاً إلى تمثيل دور سياسي ما فقد صرف همّه إلى الحديث يدرسه ويزيّد فيه بالخيال الطّيش والاستمداد من القصص التلمودي الذي قرّبه إليه نفر من اليهود الداخلين في الإسلام)).

أمّا أولاً: فنقول له ولقرّائه: كان عليه مراجعة التاريخ بدقّة قبل أن يصدر أحكامه على الذوات! فابن عباس لم يسالم معاوية إلّا بعد مهادنة ومسالمة الإمام الحسن عليه السلام الذي هو ولي الأمر وإمام وقته، فهو تبعاً لإمامه سالم من سالمه الإمام، وقد بيّنت بالتفصيل ذلك في الحلقة الأولى من

الموسوعة في الجزء الخامس؛ فليراجع!

ثمّ ما ذكره بقوله: ((فألحقه بيت المال في البصرة))، ليس له من الصّحة مقيل، فإنّ حديث بيت مال البصرة قد ذكرته في مفارقة ابن عبّاس البصرة بعد الصلح في عنوان طرد أو مطاردة، وذلك قبل أن يستولي عليها معاوية بحكمه، ومرّ في أجزاء هذه الحلقة الرابعة مزيد بحث حول ضغث هذه الأكذوبة.

وأما ثانياً، فابن عبّاس كان رأساً في مدرسة الحديث من قبل أن يتولّى البصرة، بل وحتىّ قبل أن يخوض في السياسة في أيام عمر وعثمان، إذ له دور سياسي بارز، وقد ذكرته في الحلقة الأولى في أيامهما؛ فراجع!

وأما ما قاله مع سوء أدب: ((يتزيّد فيه - الحديث - بالخيال الطيّاش والاستمداد من القصص التلمودي...)) إلى آخر ما قاله، ممّا لا ينبغي لباحث موضوعي أن يقوله، ولكنّه كشف عن حقده الدفين على رجالات المسلمين، فرمى علماً من أعلامهم بتلك اللغة الشائنة الشائنة، ولم يأت على مزاعمه ببرهان، فالإعراض أولى عن هكذا إنسان.

٧- دونالدسون دوايت م.

له كتاب (عقيدة الشيعة) (لندن ١٩٣٣م)، وقد نقل إلى العربية في العراق^(١) ولم يكتب اسم المترجم صريحاً، بل رمز إليه بـ ع م^(٢).

(١) المستشرقون: ٥٢٨.

(٢) وقد طبع في سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م بمطبعة السعادة بمصر والناشر مكتبة الخانجي.

ومهما يكن فالرجل قد قال في صفحة (١٣١) من كتابه: «ولمّا تولّى عليّ الخلافة بعد مقتل عثمان، ولّى عبد الله بن عباس على البصرة، وكان هذا البيت لا ينظر إلى عبد الله نظر الفخر، إذ أنّ عليّاً لمّا حاسبه في بعض الأموال التي تسلّمها شعر بإهانة، فغادر البصرة، وحمل معه مبلغاً من المال يقدر بستّة آلاف ألف درهم، والتحق بمعاوية، فضمّه إليه (?) وكان يدفع له مخصّصات سنوية».

وحسب القارئ معرفة بكذب المؤلّف، ما ختم به كلامه، حيث قال: «...والتحق بمعاوية فضمّه إليه (?) وكان يدفع له مخصّصات سنوية»، وقد مرّ في الحلقة الأولى (سيرة وتاريخ) بحث أوّل لقاء بين ابن عباس ومعاوية زماناً ومكاناً، وكان ذلك من بعد مهادنة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية بالصلح، كما بيّنا وجه المال الذي حمله كما مرّ في الجزء التاسع من الموسوعة (محاوَرات ابن عباس مع معاوية وأصحابه)، وأفضع ما فهمه هذا المستشرق في تفسيره العطاء الذي سمّاه مخصّصات سنوية، ولو كان دوايت م دونالدسون فهماً وعالماً لأدرك آثار تلك الوفادات التي كان بنو هاشم - بمن فيهم الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام - يذهبون إلى الشام لقبض العطاء في كلّ سنة، لأنّ معاوية منع عنهم الخمس، ثمّ ألزمهم الحضور إلى الشام لقبض العطاء إغالياً في حقّه، وقد اتّخذ بنو هاشم تلك الوفادات وسيلة إعلامية تفضح نوايا معاوية السيئة معهم، مع سوء الطوية عنده، وكان ابن عباس أكثر جرأة وأقوى حجّة في دحض افتراءات معاوية وصحابته أمام أهل الشام، راجع المحاوراة الثانية عشرة في الجزء التاسع صفحة

(٣٨٤)، ستجد ما أخرجه البلاذري (ت ٢٧٤هـ)، وابن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ)، وغيرهما.

وإلى القارئ صورتها برواية ابن عبد ربّه في (العقد الفريد): ((قال أبو عثمان الحزامي: اجتمعت بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم، فقال: يا بني هاشم! والله إنّ خيرى لكم لممنوح، وإنّ بابي لكم لمفتوح، فلا يقطع خيرى عنكم علّة، ولا يوصد بابي دونكم مسألة، ولمّا نظرت في أمري وأمركم رأيت أمراً مختلفاً، إنّكم لترون أنّكم أحقّ بما في يدي منّي، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقّكم، قلتم أعطانا دون حقّنا، وقصّر بنا عن قدرنا، فصرت كالمسلوب، والمسلوب لا حمد له، وهذا مع إنصاف قائلكم، وإسعاف نائلكم. قال: فأقبل عليه ابن عبّاس، فقال: والله ما منحتنا شيئاً حتّى سألناه، ولا فتحت لنا باباً حتّى قرعناه، ولئن قطعت عنّا خيرك، لله أوسع منك، ولئن أغلقت دوننا بابك، لنكفن أنفسنا عنك، وأمّا هذا المال فليس لك منه إلّا ما لرجل من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقّان، حقّ في الغنيمة، وحقّ في الفبيء، فالغنيمة ما غلبنا عليها، والفبيء ما اجتبيناه، ولولا حقّنا في هذا المال لم يأتك منّا زائر، يحمله خفّ ولا حافر، أكفالك أم أزيدك؟!

قال: كفاني، فإنّك لا تُهر ولا تُنبح))^{(١)(٢)}.

(١) العقد الفريد ٩/٤ بتحقيق أحمد أمين ورفيقه.

(٢) وللمحاورة مصادر أخرى ذكرتها في ج ٣٨٦/٩، كما أنّ للفضل بن العبّاس اللهي عشرة أبيات في شأن هذه المحاورة.

وعلى هذا النمط جرى بقية المستشرقين ممن لا أطيل الحديث بذكر أقوالهم، وحسبي الإشارة إلى أسمائهم في دراساتهم.

مثل: هيرالد موتزكي في بحثه (تاريخ ما يسمّى تاريخ ابن عباس)، المنشور في دراسات القدس في اللغة العربية والإسلام - ٣١- ٢٠٠٦، الجامعة العبرية في القدس كلية الإنسانيات.

وكذلك ما كتبه هربرت بيرغ في بحثه (ابن عباس في كتاب التفسير خلال الحقبة العباسية)، وفيه من النقد اللاذع حتى في عناوين بحثه، مثل (أسطورة ابن عباس)، و(ابن عباس الأسطوري)، فذكر في هذا العنوان آراء غيره من أمثاله ممن تناولوا ابن عباس بالنقد، فقال: ((بدأت الشكوك الغربية بشأن الأحاديث والتفاسير المنسوبة لابن عباس مع شبرنغر الذي وصف ابن عباس بالكاذب، وقال (نولدك وستوالي): إنّ التناقضات متعددة جداً بحيث تدفع إلى إعادة النظر بتعاليمه بخصوص آية معينة بالاستناد إلى ما نسب إليه، لذا لا يبقى بديل سوى القول أنّ شهرة حظوة ابن عباس هي في الجزء الأكبر خيال...)).

وعلى هذا النحو من العرض في النقد والرد، ذكر أسماء (بريكلاندر)، و(ناغل)، و(أحمد جولاندر)، و(غليوث)، و(مورافي)، و(ومايكل كوك)، و(اميكام إبلاد)، وليس دون هؤلاء ما ذكره (ولفرد مادلونج) في كتابه (خلافة محمد ﷺ بحث حول الخلافة في وقت مبكر).

وكذلك ما جاء في (دائرة المعارف الإسلامية ج ١/ ٣٠٧) في ترجمة

أبي الأسود الدؤلي: ((... كما أنه هو الذي نبّه علياً إلى اختلاس ابن العباس، ويقال: أنه ولي البصرة مدّة قصيرة من الزمن بعد طرد هذا الأخير، بيد أن هذا بعيد الاحتمال... ولمّا كان هوى أبا الأسود مع العلويين فقد آلمه اتّفاق عبد الله بن عامر والي البصرة من قبل معاوية مع ابن العباس، لأنّ ابن عامر عمل على فتور العلاقات بينهما فتوراً شديداً...)).

أقول: إنّ هذا بهذيان الموسوس أشبه، فمتى اجتمع ابن عباس مع ابن عامر في البصرة؟! وقد مرّ في الحلقة الأولى الحديث عن ولاية ابن عباس على البصرة بتفصيل يغني عن الردّ على ما في (دائرة المعارف الإسلامية) في المقام، وكذلك قد مرّت محاوره ابن عباس مع معاوية وهي المحاوره الرابعه، وهي التي قلت عنها في الهامش: ((ليت الذين اتّخذوا تهمة بيت مال البصرة ذريعة للنيل من ابن عباس، يقرءوا هذه المحاوره ويقفوا عند هذه الجملة ويمنعوا النظر فيها، فلو كان للتهمة نصيباً من الصحّة، لما سكت معاوية عن تعيره بها في هذا المقام، وقد واثته الفرصة للردّ عليه)).

وإلى القارئ تلك المحاوره بنصّها وفصّها، وبها ختام هذا الجزء بعون الله تعالى وتوفيقه:

(المحاوره الرابعه)

(قد استعملت أنت رجالاً لهواك)

((اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس - وكان جريئاً على معاوية حقّاراً له، فبلغه عنه بعض ما يغمّه - .

فقال معاوية: رحم الله العباس وأبا سفيان كانا صفيين (أخوين - خ ل -) دون الناس. فحفظت الميت في الحي والحي في الميت، استعملك عليّ يا ابن عباس على البصرة، واستعمل عبيد الله أخاك على اليمن، واستعمل أخاك قثم^(١) على المدينة، فلمّا كان من الأمر ما كان، هنأتكم ما في أيديكم، ولم أكشفكم عمّا وعته غرائركم، وقلت: أخذ اليوم مالاً وأعطي غداً مثله، وعلمت أنّ بدء اللؤم يضرّ بعاقبة الكرم لو شئت لأخذت بحناجركم وقيأتكم ما أكلتم. لا يزال يبلغني عنكم ما لا تبرك له الإبل، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم، خذلتكم عثمان بالمدينة، وقتلتكم أنصاره يوم الجمل، وحاربتموني بصفيين. ولعمري بنو تيم وعدي أعظم ذنباً منّا إليكم وأكبر جرماً عندكم، إذ صرفوا عنكم هذا الأمر، وسنّوا فيكم هذه السنّة، فحتّى متى أغضّ الجفون على القذى، وأسحب الذبول على الأذى، وأقول لعلّ الله وعسى. ما تقول يا ابن عباس؟

قال: فتكلّم ابن عباس، فقال: رحم الله أبانا وأباك، كانا صفيين أخوين متفاوضين، لم يكن لأبي من مال إلاّ ما فضل لأبيك، وكان أبوك كذلك لأبي. ولكنّ هنا أباك بإخاء أبي أكثر ممّن هنا أبي بإخاء أبيك، نصر أبي أباك في الجاهلية وحقن دمه في الإسلام^(٢).

(١) يبدو سقوط جملة (على مكّة وأخاك تمام)، لأنّ قثم ولّاه الإمام عليّ عليه السلام مكّة وبقي عليها حتّى سنة (٤٥هـ).

(٢) يشير إلى يوم جاء العباس بأبي سفيان وقد أردفه خلفه في فتح مكّة فاستأمن له النبي ﷺ.

وأما استعمال عليّ إيانا، فلدينه دون هواه، قمنا له بالحقّ، ونصحنا في الله الخلق^(١)، وقد استعملت أنت رجالاً لهواك لا لدينك، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل، وبسر بن أرطاة على اليمن فخان، غزا الحجاز، وأخاف الحرمين مكّة والمدينة وقتل منهما رجالاً، وغزا الطائف وقتل منه رجالاً، وذبح ابني عبيد الله أخي كفراً وظلماً وعدواناً من غير ذنب ولا جريمة ولم يبلغا الحلم، وحبيب بن مرّة على الحجاز فرّد، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحصب، واستعملت ابن عامر^(٢) على الأنبار وما يليها فغزا أهلها ونهبوها كغزو الروم والترك، ونزعوا أقراط المرأة المسلمة من أذنيها واستحلّوا سيبيهم، واستعملت زياد بن عبيد الدعيّ على العراق فبسط الفساد، وركب العناد، وظلم العباد، وحكم فيهم حكم الجاهلية، لا يرعى الله حرمة، ولا لمحمد ﷺ ذمّة، ونصبت أنت الحرب للمسلمين وإمام المتقين وأمير المؤمنين ﷺ ومن بسيفه وحده قام الدين، ولولديه الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، ومن معه من أصحابه وأصحاب رسول الله ﷺ، وأردت قتلهم وتدميرهم، وهم من تعرف أهل البيعتين - بيعة الشجرة وبيعة الرضوان - وقتلت منهم من قتلت، وعمّار جلدة ما بين عيني رسول الله ﷺ، ومن شهد أنّه تقتله الفئة الباغية. قال: (لا أنالها الله شفاعتي)،

(١) ليت الذين اتّخذوا تهمته: بيت مال البصرة ذريعة للنيل من ابن عبّاس يقرءوا هذه المحاوراة ويقفوا عند هذه الجملة يمعنوا النظر فيها، فلو كان للثمّة نصيباً من الصّحة لما سكت معاوية عن تعيره بها في هذا المقام وقد وافته الفرصة للردّ عليه.

(٢) في الكافي وشرح النهج (أخو غامد).

وأنت ومن كان معك الفئة الباغية^(١)، وقتلت أويس القرني الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (أنه يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر)^(٢)، وقال لأصحابه: (إنكم تدركونه فمروه ليستغفر لكم).

وقال أيضاً فيه تبجيلاً له وتفخيماً لأمره: (إني لأشمّ نفس الرحمن من جانب اليمن).

وأما طلبك ما وراء ظهورنا، فلو طلبته بذلناه وقينا به أعراضنا، وكان

(١) حديث (عمّار تقتله الفئة الباغية) أخرجه مسلم في صحيحه في الفتن، وأحمد في مسنده في عدة موارد ناهزت العشرة، والطبراني في الكبير في موارد ثلاثة، والخطيب، والبيهقي، وابن حجر، والهيثمي في مجمع الزوائد، وغيرهم، راجع موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف تجد عشرات المصادر وموارد ذكر الحديث ٤٠٤-٤٠٣/٤، وفيها (تقتل عمّاراً الفئة الباغية وقاتله في النار)، وفيها: (تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق) رواه الخطيب ١٨٧/١٣، وراجع الموسوعة المذكورة ٢٠٥/١١.

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٣/١، ط مصطفى محمد، فقال: ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة، وقال: كان ثقة، وقال: قال ابن عدي: ليس له رواية لكن هناك من ينكر وجوده، إلا أنّ شهرته وشهرة أخباره لا تسع أحداً أن يشكّ فيه.

وقال عبد الغني بن سعيد: القرني - بفتح القاف والراء - هو أويس أخبر به النبي ﷺ قبل وجوده، وشهد صفين مع عليّ، وكان من خيار المسلمين. وروى عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنّ خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر، فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم)، ثم ذكر ابن حجر رواية وطرق هذا الحديث، ثم ذكر بعض أخبار أويس إلى أن قال: فاستشهد أويس وجماعة من أصحابه في الرحالة بين يدي عليّ، ومن طريق الأصبغ بن نباتة قال: شهدت عليّاً يوم صفين يقول: (من يبايعني على الموت؟) فبايعه تسعة وتسعون رجلاً، فقال: (أين التمام؟) فجاءه رجل عليه أطمار صوف مخلوق الرأس فبايعه على القتل، فقيل: هذا أويس القرني، فما زال يحارب حتّى قتل رحمه الله.

أحقر عندنا أن نمنعه، وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك.
وأما ما يبلغك عنا، فلو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها،
ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لقبّحها.
وأما خذلنا عثمان، فلو لزمنا نصره لنصرناه، وقد خذلته أنتَ وكنتَ
قادرًا على نصره ومعلك أهل الشام، ولو ضربت بهم البحر لخاضوه، وإنما
تربّصت به ليقتل وتطلب الملك بسببه.
وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل، فعلى خروجهم ممّا دخلوا فيه.
وأما حربنا أياك بصفّين، فعلى إنكارك الحقّ ونصبك الباطل.
وأما إغراؤك إيانا بتيمة وعدي، فلو طلبنا الأمر يوم توفي نبيّنا ﷺ ما
غلبونا، وكنا بفقد رسول الله ﷺ أشغل من كلّ شيء، علماً أنّهم كانوا
يعرفون لنا فضلنا على غيرنا.
وأعلم يا معاوية! أنّه سبق في علم الله تعالى أنّه يستباح في هذه الأُمّة
الأموال الحرام، وتسفك الدماء الحرام، وتسيى الفروج الحرام، فكره الله
تعالى أن يكون ذلك على أيدينا، فعدل بالأمر على غيرنا، فإذا أراد الله ردّ
الأُمور إلى حقايقها إبتعنا لها، يختم بنا كما فتح.

فقال في ذلك ابن أبي لهب:

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس	حتى رماه بما فيه ابن عباس
ما زال يهبطه طوراً ويصعده	حتى استقاد وما بالحق من باس
لم يترك خطّة ممّا تذللّه	إلا كواه بها في فروة الرأس ^(١)

(١) نزّه السامع للحلواني، والعقد الفريد ٨/٤، تح أحمد أمين ورفيقه، ط لجنة التأليف والنشر.

وبهذا ختام الجزء الرابع من الحلقة الرابعة، ويليه في الجزء الخامس
(ابن عباس في رحاب أهل البيت عليهم السلام)، وأقوال المدائح فيه.

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين
ورضي الله عن الصحابة التابعين المهتدين واللعنة على أعدائهم أجمعين. تم
تنزيده في ٢٩ شعبان سنة ١٤٣٦ هـ.

فهرس الجزء التاسع عشر

الأهداء.....	٧
تقديم.....	٩

المبحث الأول

تشيع ابن عباس وذويه بين السلب والإيجاب

تمهيد:.....	١٥
لست أنا محامي دفاع!.....	١٩
النقطة الأولى بنو هاشم فوق الانتماء لحديث الاصطفاء.....	٢٠
النقطة الثانية تشيع صحابة بني هاشم فوق الشبهات.....	٢٢
النقطة الثالثة لماذا إذا تحصرمت الأبناء نستضرس نحن الآباء؟.....	٢٦
مواقف مكتوبة وهي مكذوبة.....	٢٧
موروث معثور يستبطن كذبه.....	٣٢
تعقيب وتصويب.....	٣٤
النقطة الرابعة مواقف العباس في نصرة الإمام.....	٣٦
النقطة الخامسة بنو هاشم بعد النبي ﷺ.....	٤٠
النقطة السادسة من هم الشيعة من بني هاشم؟.....	٤٢
النقطة السابعة بني هاشم الذين ذكرهم السيد المدني وعدّهم من الشيعة.....	٤٥
النقطة الثامنة مواقف مطلوبة ومحسوبة، صحيحة ومكذوبة.....	٥٠

- النقطة التاسعة ابن عباس في ذويه ٥٧
- الفضل بن العباس بن عبد المطلب ٥٩
- قثم بن العباس بن عبد المطلب ٦٨
- كثير بن العباس بن عبد المطلب ٧٠
- عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ٧١
- عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب ٩٩
- النقطة العاشرة ابن عباس في عشيرته التي تؤيه ١٠١
- العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ١٠٢
- الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب ١٠٦
- النقطة الحادية عشرة مواقف بني هاشم من النهضة الحسينية ١١٢
- النقطة الثانية عشرة في أسماء المشاركين بالفعل أو بالقوة ١١٤
- عبد الله بن أبي سفيان ١١٥
- المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ١١٦
- ماذا عن الباقيين؟ ١١٩
- مواقف محزونة ١٢١
- عمر الأطراف ١٢٣
- محمد بن الحنفية ١٢٧
- ابن عباس في مهب العاصفة القاصفة ١٣٣
- فمع الأحداث المتتابعة: ١٣٦
- خروج الحسين من المدينة إلى مكة وإقامته بها: ١٣٨
- كتاب يزيد إلى ابن عباس في أمر الحسين عليه السلام: ١٤٣

- جواب ابن عباس إلى يزيد: ١٤٤
- لماذا الإصرار وحوار بعد حوار؟ ١٤٩
- روايات في المحاورات: ١٥٤
- سؤال يتبعه سؤال لماذا تخلف ابن عباس عن الخروج مع الحسين عليه السلام ١٦٢
- واحسيناه! ١٦٧
- النقطة الثالثة عشرة في سهام التجريح بين الصائبة والخائبة ١٧٠
- أسباب ومواقف ١٧٣
- شبهات وأوهام ١٨٣
- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ٢٠٩
- كبوّة عاثر وهفوة عابر ٢٢٩
- النقطة الرابعة عشرة نتائج محزنة، وامتحان عسير ٢٣٩

المبحث الثاني

في بقية ما قيل في ابن عباس عليه السلام من تنقيد

- الأول: دعاء الإمام علي عليه السلام على ولد العباس بالشتات ٢٥٦
- الثاني: لعن الإمام علي عليه السلام لولد العباس ٢٥٨
- الثالث: بين الإمام زين العابدين عليه السلام وابن عباس ٢٥٩
- الرابع: حديث الجرادة ٢٦٦

المبحث الثالث

أكاذيب عكرمية، وأوهام مستشرقية والكلام في فصلين

الفصل الأول

أكاذيب عكرمية

- بعض أخبار عكرمية، فمن الراوي لها؟ ٢٨٢
- أكاذيب عكرمية مفتراة على ابن عباس نقلاً عن كتاب (العقود الفضية). ٢٨٩
- نماذج من أكاذيب عكرمية على ابن عباس ٣٠٦
- لك الله يا عليّ، قصاصة في الخصاصة ٣٤١

الفصل الثاني

من جنيات المستشرقين على ابن عباس عليه السلام

- ١- أوتولوث ٣٦٠
- ٢- شبرنجر الهولندي ٣٦١
- ٣- يوليوس ولهوزن ٣٦٢
- ٤- فردريخ شواللي الألماني ٣٦٨
- ٥- أجناس جولدتسيهر ٣٦٨
- ٦- كارل بروكلمان الألماني ٣٨٦
- ٧- دونالدسون دوايت م ٣٨٩
- فهرس الجزء التاسع عشر ٣٩٩